+21

ترجمة: أحمد القرملاوي

IT STARTS WITH US

كولين هوفر

COLLEEN HOOVER

يبدأ بنا

EVERY ENDING HAS A BEGINNING

كل نهاية لها بداية

رواية

يبدأ بنا

هوفر ، كولين
يبدأ بنا: رواية /كولين هوفر «International Edition»
ترجمة : أحمد القرملاوي.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2023.
448 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-220-5
1- القصص الأمريكية
أ- القرملاوي، أحمد (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 25352 / 2023
الطبعة الأولى : نوفمبر 2023.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Arabic Language Translation copyright © 2023 by Kayan Publishing
IT STARTS WITH US
Copyright ©Colleen Hoover.
Published by arrangement with the original publisher, Simon & Schuster, Inc

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 - 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الناشرين**.
©جميعُ الحقوق محفوظةٌ، وأيّ اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقيةً أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.
https://t.me/fantazynov

كولين هوفر

يبدأ بنا

ترجمة

أحمد القرملاوي

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

الفصل الأول

أطلس

الطريقة التي كُتِبت بها تلك السُّبَّة ـ مؤخِّـ ... ـــرة ـ بالبخاخ الأحمر على الباب الخلفي لمطعم «بيبز» تُعيد إليَّ ذكرى أمي.

كانت دائمًا ما تَسكُت سكتةً قصيرة بين نصفَي الكلمة، فتبدو كأنها كلمتان منفصلتان. وكنت أكاد أضحك عند سماعها في كل مرة، غير أن استيعاب ما فيها من فكاهة كان صعبًا عليَّ أثناء طفولتي، خاصة وأنني مَن كان يتلقَّى منها السُّبَّة طوال الوقت.

«مؤخِّـ ... ـــرة»، يُغمغم دارين، «لا بد أن مَن كتبها طفل لا يُحسن الهِجاء. أيُّ بالغ سيعرف كيف تُكتَب هذه الكلمة».

«قد تُدهشك حقيقة الأمر»، ألامس الصبغ الأحمر فلا يلتصق بأصابعي؛ أيًّا كان مَن قام بذلك فقد فعلها فور إغلاقنا أمس.

يسألني:

- هل تعتقد أن الخطأ الإملائي مقصود؟ هل يريدون القولَ إنك شديد الحُمق لدرجة وصفك بمؤخرة، كاملة؟!
- ما الذي يجعلك تفترض أنهم يقصدونني أنا؟ ربما قصدوك أنت أو براد.
- إنه مطعمك أنت.

https://t.me/fantazynov

يخلع دارين جاكتته ويمسك بطرفه لكي يقتلع قطعةً من الزجاج المُهشَّم من إطار النافذة، ويقول:

- قد يكون أحد موظفيكَ الساخطين.

أتساءل قائلًا:

- هل لديَّ موظفون ساخطون؟!

لا أتصوَّر أن يقوم شخص مُقيَّد لدينا في جدول الرواتب بشيء كهذا. كان آخر مَن ترك العمل عندي فتاةٌ غادرَت قبل خمسة أشهر في وفاقٍ تام، بعد حصولها على شهادتها الجامعية.

- هناك الفتى الذي كان يغسل الصحون قبل أن تُعيِّن براد، ما اسمه؟ كان يُطلَق عليه اسم معدن من المعادن أو شيء شبيه بذلك، اسم شديد الغرابة!

أقول:

- كوارتز، كان مجرد لقب وليس اسمه.

منذ زمن طويل لم يخطر ببالي ذلك الفتى. لا أتصوَّر أن يضمر نحوي أية ضغينة بعد مرور هذا الوقت، لقد فصلتُه من العمل بعد افتتاح المطعم بمدة وجيزة، إذ وجدتُه لا يغسل إلا الصحون التي تظهر فيها بقايا الطعام واضحة جليَّة، أما الأكواب والأطباق وأدوات المائدة التي تُعاد إلى المطبخ شبه نظيفة فقد كان يضعها مباشرةً فوق رفِّ التجفيف. لو لم أقُم برفته لكانت الإدارة الصحية قد أغلقت المطعم نتيجةَ تصرفاته.

«عليك أن تتصل بالبوليس»، هكذا يقول دارين، «لا بد من عمل مَحضر وإعداد تقرير لشركة التأمين».

وقبل أن أُبدي اعتراضي يظهر براد عند الباب الخلفي، ويطأ بحذائه شظايا الزجاج المحطَّم. وكان يقوم قبلها بجَرْد المخزون كي يتبيَّن إن كان ثمة شيء قد سُرِق.

يقول فيما يهرش اللِّحية النابتة أسفل فكِّه:

- نهبوا الخبز المحمَّص.

وتحدُث عندها وَقْفَة مُربِكة.

- هل قُلت: الخبز المحمَّص؟

- نعم، أخذوا وعاء الخبز المحمَّص الذي أُعِدَّ بالأمس. لكننا لم نفقد شيئًا آخر.

لم أكن أتصوَّر أن يقول شيئًا من هذا، فحين يقتحم أحدهم مطعمًا دون أن يسطو على الأجهزة والأشياء الثمينة، فلا بد أن يكون جائعًا. أعرف جيدًا هذه الدرجة من البؤس.

- لن أُبلغ البوليس عن هذه الواقعة.

يستدير دارين نحوي:

- لماذا لا تبلغ؟

- قد يتم القبض على مَن فعلها.

- وهو الهدف من الإبلاغ بالتحديد.

أتناول صندوقًا فارغًا من سلة المهملات وأشرع في جَمْع شظايا الزجاج المحطَّم. «لقد اقتحمتُ مطعمًا ذات يوم، وسرقتُ ساندوتش ديك رومي».

يُحدق فيَّ براد ودارين. يسألني دارين:

- هل كنتَ سكرانًا حين فعلتَ ذلك؟!

https://t.me/fantazynov

- لا، كنتُ جائعًا فحسب. والآن لا أريد أن يُقبَض على شخص لمجرد سرقة الخبز المحمَّص.

- حسنًا، لكنْ قد تكون سرقةُ الطعام مجردَ بداية. ماذا لو عادوا لسرقة الأجهزة في الكرة التالية؟ ألا تزال كاميرا المراقبة عطلانة؟

يُلحُّ عليَّ دارين منذ شهور في إصلاحها.

- كنتُ مشغولًا تمامًا.

يأخذ مني دارين صندوق الزجاج ويبدأ في جَمْع الشظايا المتبقية. «عليك أن تقوم بإصلاحها قبل عودتهم. اللعنة! قد يقومون باقتحام «كوريجانز» الليلة طالما وجدوا «بيبز» هدفًا سهلًا لهذه الدرجة».

- «كوريجانز» به أفراد أمن. وأشكُّ أن يُقدِم مَن فعلها أيًّا كان على تحطيم المطعم الجديد. ما حدث ليس اقتحامًا مقصودًا بل نتيجة الظروف المهيَّأة.

- نأمل ذلك.

هكذا يقول دارين فأفتح فمي لأرد عليه، تقاطعني رسالة نَصيَّة. لا أتذكَّر أني قصدتُ هاتفي بمثل هذه السرعة من قبل، وحين أجد الرسالةَ من شخصٍ آخر غير لِيلِي أفقد حماسي بدرجةٍ ما.

لقد صادفتها هذا الصباح فيما أنجز بعض المهام؛ كان أول لقاء يجمعني بها منذ عام ونصف، غير أني وجدتها مستعجلة لتأخرها على العمل، وكنتُ قد تلقَّيتُ للتوِّ رسالةَ دارين التي أخبرني فيها باقتحام المطعم، فافترقنا على نحو غريب، على وعدٍ بأن تُراسلني بمجرد وصولها للمحل.

مرَّت ساعة ونصف حتى الآن ولم أتلقَّ منها أي شيء؛ مدة لا تُذكر بالطبع، لكنْ من غير الممكن أن أتجاهل هذا الهاجس الذي يُلح عليَّ في كونها تتشكك في جميع ما قيل خلال الخمس دقائق التي تبادلنا فيها الحديث على جانب الطريق.

عن نفسي أثق في كل كلمة بدرت مني أثناء اللقاء، ربما أُخِذْتُ بعض الشيء بسبب السعادة التي بدت عليها واكتشافي أنها ما عادت متزوجة، لكنني عنيتُ كل كلمة تفوَّهتُ بها.

أنا جاهز لهذا الأمر الآن؛ بل أكثر من جاهز.

أبحث عن رقمها على الهاتف، لقد فكرتُ في مراسلتها عدة مرات خلال العام ونصف العام، لكن أعود وأتذكر أني تركتُ الكرة في ملعبها في آخر مكالمة. لقد مرَّت لِيلِي بالكثير، ولم أُرِد أن أعقِّد لها الأمور فوق ما كانت تُعانيه.

صارت الآن بمفردها، وربما بدا من حديثها أنها باتت مستعدة لأن تمنح الفرصة لشيء ما قد يكون بيننا. مع ذلك، كان لديها ساعة ونصف الساعة لتفكر في ما دار بيننا، وهي مدة كافية تمامًا لجَعْلها تندم على ما بدَرَ منها. سأشعر بكل دقيقة تمرُّ دون رسالة منها كأنها يوم ثقيل بأكمله.

لا زالت مسجلة على الهاتف بِاسم زواجها: لِيلِي كينكيد، لذا أقوم بتعديل الاسم إلى: لِيلِي بلوم.

أشعر بحَوَمان دارين حول كتفي لكي يلمح شاشة الهاتف:

- هل هذه صديقتنا لِيلِي؟

يشرئب براد:

- هل عاد لمراسلة لِيلِي؟!

أتساءل باستغراب:

- صديقتنا لِيلِي؟ لم تلتقيا بها سوى مرة واحدة!

فيسألني دارين:

- ألا تزال متزوجة؟

أهز رأسي نفيًا.

- هذا من حظها.. أذكر أنها كانت حُبلى، تُرى ماذا أنجبت؟ ولدًا أم بنتًا؟

لا أرغب في الحديث عن لِيلِي، فلا يوجد ما أتحدَّث عنه بعد. لا أريد أن أصنع شيئًا من لا شيء. أقول:

- أنجبت بنتًا، وهذا آخر سؤال سأقوم بإجابته، ثم أعطي انتباهي لبراد وأقول: هل سيأتي ثيو اليوم؟

- اليوم الخميس. سيجيء بالتأكيد.

أتوجَّه لداخل المطعم. لو كنتُ سأناقش أحدًا في موضوع لِيلِي، فلن يكون سوى ثيو.

الفصل الثاني

لِيلِي

لا تزال يداي ترتجفان، برغم مُضِي ساعتين منذ صادفتُ أطلس. لا أعلم يقينًا إن كنتُ أرتجف بسبب الارتباك، أم لكوني لم أجد الوقت لآكل أي شيء منذ عبرتُ من باب المحل. بالكاد حصلتُ على خمس ثوانٍ من السكون لاستيعاب ما حدث في الصباح، فليس أقل من ألا أجد الوقت لتناول الفطور الذي أحضرته معي.

هل حدث ذلك فعلًا قبل قليل؟ هل سألتُ أطلس تلك الأسئلة التي ستجعلني أشعر بالخزي عامًا على الأقل؟!

لم تبدُ عليه الدهشة قط، بل بدا سعيدًا جدًّا لرؤيتي، ثم إذا به يُعانقني فيستيقظ جزء مني ظل خامدًا لمدة طويلة، فكأنما عاد للحياة بعد مَوات.

هذه أول استراحة أحصل عليها اليوم حتى لدخول الحمَّام، والآن، بعدما رأيتُ نفسي في مرآة الحمَّام، أوشك حقيقةً على البكاء؛ هيئتي مزرية، ببقايا الجزر التي تُلطِّخ بلوزتي، وطلاء أظافري المقشَّر منذ يناير الماضي.

https://t.me/fantazynov

لا يتعلَّق الأمر بأطلس ولا بتوقعاته وتطلُّعه إلى الكمال، إنما يتعلَّق بكوني تخيَّلتُ لقاءنا هذا عن طريق المصادفة عدة مرات، لكن أبدًا لم يخطر ببالي أن أصطدم به في صباحٍ محموم لهذه الدرجة، وبعد استهداف بلوزتي بلطخة من الجزر المهروس، على يد طفلتي التي لا يزيد عمرها عن أحد عشر شهرًا!

أما هو فقد بدا وسيمًا جدًّا، وكان يفوح بعطر جذَّاب.

فيما تفوح مني رائحة حليب الرُّضَّع.

إني مرتبكة جدًّا بسبب هذا اللقاء العارض، استغرقني تحضير الطلبات للسائق الذي سيقوم بتوصيلها ضعف الوقت المعتاد، كما لم أتحقق من الطلبات الجديدة على موقعنا الإلكتروني اليوم. أطالع المرآة لمرة أخيرة، فلا أرى إلا أمًّا عازبة مُنهَكة من ضغط العمل.

أغادر الحمَّام عائدةً إلى مكتب السجلات. أسحب طلبًا من ماكينة الطباعة وأبدأ في تحضيره. لم يحدث أبدًا أن وجدتُ ذهني في حاجة ماسَّة للتشتيت مثلما هو الآن، لذا فمن حظي السعيد أن يكون النهار مشحونًا بالعمل لهذه الدرجة.

الطلب باقة ورود باسم جريتا من شخص يُدعى جوناثان، والرسالة تقول: *أنا آسف بشأن الليلة الماضية، هلَّا تسامحينني؟*

أُطلق أنينًا كئيبًا، لا أُحب تنسيق باقات الاعتذار، فدائمًا ما ينتهي الأمر بإثارة فضولي لدرجة الهوس حول السبب. هل واعَدها ولم يذهب؟ هل تأخر في العودة إلى البيت؟ هل تشاجرا؟

هل قام بضربها؟!

https://t.me/fantazynov

أرغب أحيانًا في كتابة أرقام سلطات الحماية من العُنف الأسريّ خلف الكروت، ثم أعود وأذكِّر نفسي بأنه ليس شرطًا أن تكون تلك الاعتذارات لنفس الأسباب التي كنتُ أتلقَّى من أجلها اعتذاراتٍ شبيهة، قد يكون جوناثان مجرد صديق لجريتا يرغب في رفع معنوياتها بباقة ورود، وربما يكون زوجها وقد أعدَّ لها مَقلبًا تعدَّى قليلًا حدود المقبول.

أيًّا كان سبب باقة الورود، آمل أن تعني شيئًا جيدًا فحسب. أطوي الكارت بداخل الظرف وألصقه في الباقة. أضعها أخيرًا فوق الرف الخاص بتوصيل الطلبات، وأبدأ في تحضير الطلب التالي حين أستقبل رسالة على الهاتف.

أسارع إلى الهاتف كأن الرسالة توشك على الانفجار ذاتيًّا وليس أمامي سوى ثلاث ثوانٍ حتى أقرأ محتواها! أنكمش فيما أُطالع الشاشة؛ الرسالة ليست من أطلس، بل من رايل.

هل تستطيع أن تأكل البطاطس المقلية؟

أُرسل ردًّا موجزًا: الطري منها فقط.

أسقِط هاتفي على الكاونتر فيصنع صوت ارتطام مكتومًا، لا أُفضِّل أن تأكل البطاطس المقلية كل حين، غير أن رايل يُجالسها ليوم واحد فقط أو يومين خلال الأسبوع، لذلك أحرص على إطعامها أغذية أكثر فائدة حين تكون معي في باقي الأيام.

من الجيد أني نسيتُ رايل لبضع دقائق، غير أن الرسالة النصيَّة ذكرتني بوجوده، وطالما هو موجود فإني أخشى ألا يُكتَب لأي علاقة

أخرى *الوجود*، حتى لو كانت مجرد صداقة بيني وبين أطلس. ماذا سيكون رد فعل رايل لو بدأتُ في مواعَدة أطلس؟ كيف سيتصرف لو وُجِدا معًا في مكان واحد؟

ربما أستبق الأحداث دون داعٍ لذلك.

أحدق في الهاتف، وأسرح في ما يمكن أن أقوله لأطلس. أخبرته بأني سأراسله فور وصولي إلى المحل، لكنني وجدتُ الزبائن ينتظرون وأنا أفتح الباب. والآن، وبعد رسالة رايل، تذكَّرتُ حضور رايل في هذا السيناريو، ما يجعلني أكثر ترددًا في مراسلة أطلس.

ينفتح الباب الأمامي أخيرًا وتدخل لوسي. لوسي هي الموظفة التي تبدو متماسكةً ولائقة المظهر طوال الوقت، حتى حينما أستطيع التكهُّن بسوء مزاجها في بعض الأحيان.

- صباح الخير يا لوسي.

تُبعِد خصلة شعر سقطت أمام عينيها وتضع حقيبتها فوق الكاونتر وهي تقول متنهدة:

- هل ثمة خير فعلًا؟

لا تكون لوسي في أكثر حالاتها وديَّةً في الصباح، ولذلك نتولى طلبات الزبائن أنا وسيرينا، الموظفة الأخرى، حتى الحادية عشرة على أقل تقدير، ونترك للوسي إجراء بعض الترتيبات في الخلفية بعيدًا عن الزبائن، غير أنها تصير أكثر ودًّا معهم بعد شُرب القهوة، سواءً احتاجت لكوب واحد أو خمسة أكواب.

- اكتشفتُ للتوِّ أن بطاقات الجلوس في حفل الزفاف لم تصل قط، ولم يعُد في الوقت متَّسع لطلب المزيد. الزفاف بعد أقل من شهر.

لا شيء يمضي في الطريق الصحيح وصولًا لهذا الزفاف، ثمة شعور مُبهَم يدفعني لنصيحتها بعدم الاستمرار، لكنني لا أؤمن بالخرافات، وآمَل أن تكون لوسي مثلي.

أقترح عليها:

- بطاقات الجلوس المصنوعة يدويًّا هي الموضة الآن.

تُدير لوسي عينيها وتُغمغم قائلةً:

- أكره الحِرف اليدوية، حتى الزفاف لم أعُد أطيقه الآن. لقد أمضينا وقتًا في التخطيط للزفاف أطول مما قضيناه في لقاءاتنا الغرامية! (هذا وصف دقيق) ربما نلغي الحفل ونسافر رأسًا إلى فيجاس. لقد هربتِ مع عشيقكِ، أليس ذلك صحيحًا؟ هل ندمتِ؟

لا أعرف عن أي سؤال أبدأ بالرد.

- كيف تكرهين الحِرف اليدوية وأنتِ تعملين في محل لبيع الزهور؟ وأنا مطلَّقة، وبالطبع ندمتُ على الهروب.

أعطيها كومة صغيرة من الطلبات التي لم أقُم بإعدادها بعد، وأكمل قائلةً:

- لكنني استمتعتُ كثيرًا!

تذهب لوسي إلى الخلف وتبدأ في تحضير باقي الطلبات، وأعاود أنا التفكير في أطلس. ورايل. وأرماجادون[1] ، وهو ما يحدث داخل عقلي حين يجتمع الاثنان في نفس المكان!

ليس لديَّ أدنى فكرة كيف سينجح هذا الأمر. حين صادفتُ أطلس، بدا كل شيء كأنما يذوي

بعيدًا، بما في ذلك رايل نفسه. أما الآن فإن رايل يتسرَّب عائدًا لأفكاري، ليس بنفس الطريقة التي *كان* رايل يحتل بها ذهني فيما سبق، لكن بطريقةٍ أشبه بعائق على الطريق. بدَت حياتي العاطفية تسير أخيرًا على طريق مستقيم بلا مطبَّات ولا منعطفاتٍ خطِرة، والسبب أنني لم يعُد لي حياة عاطفية منذ ما يزيد عن العام ونصف، أما الآن فلا أرى أمامي سوى العوائق والتضاريس الوَعرة والمنحدرات الخطِرة.

هل الأمر يستحق؟ أطلس يستحق بكل تأكيد.

لكن هل «*نحن*» هذه تستحق؟ هل نصنع من *نحن* هذه شيئًا يستحق كل الضغط الذي سيُصيب حياتي في كل ناحية؟

منذ فترة طويلة لم أشعر بمثل هذا الارتباك. جزء مني يريد الاتصال بأليسا لإخبارها بأني صادفتُ أطلس على الطريق، لكنني لا أستطيع. إنها تعرف حقيقة شعور رايل تجاهي، وتعرف كيف سيكون شعوره حين أسمح بدخول أطلس إلى المشهد.

(1) كلمة في الإنجيل تشير إلى المكان الذي ستقع فيه المعركة الأخيرة في نهاية الزمان بين الخير والشر.

https://t.me/fantazynov

لا أستطيع الحديث مع أمي، لأنها أمي، وهذا سبب كافٍ. فبرغم التقارب الذي شهدَتْه علاقتنا مؤخرًا، لا زلتُ لا أستطيع الحديث معها بارتياح عن حياتي العاطفية.

ثمة امرأة وحيدة سأشعر بالراحة معها فيما أحكي عن أطلس.

- لوسي.

تظهر في الخلف، وهي تجذب سماعة صغيرة من داخل أُذُنها.

- هل تحتاجينني؟

- هل بإمكانكِ تعويض غيابي لبعض الوقت؟ أحتاج لإنجاز مهمة عاجلة، وسأعود خلال ساعة.

تتخذ مكانها خلف الكاونتر، وأحمل حقيبتي استعدادًا للذهاب. لم أعُد أحصل على الكثير من الأوقات الانفرادية الآن منذ أنجبتُ إيميرسون، لذلك أخطف ساعةً بين الحين والآخر خلال أسبوع العمل كلما وجدتُ مَن يعوِّض غيابي عن المحل.

أتوق أحيانًا إلى مجالسة أفكاري وتأمُّل حياتي، ما لا أستطيع القيام به في وجود طفلتي، فحتى أثناء نومها أبقى مُبرمَجةً على وضعيَّة الأم، ومع ضغط العمل المعتاد يكون من النادر جدًّا أن أحظى بلحظة سلام لا يُقاطعني خلالها شيء.

اكتشفتُ أن وجودي بمفردي مع موسيقايَ المفضلة داخل سيارتي، وبين الحين والآخر قطعة حلوى من تشيز كيك فاكتوري[1] ، هو كل ما يلزمني لكي أُفكِّك العُقَد المتشابكة داخل عقلي.

(1) سلسلة مطاعم شهيرة تقدِّم الأكلات المكسيكية وحلوى التشيز كيك المميزة.

https://t.me/fantazynov

أصفُّ سيارتي بحيث أمنح نفسي إطلالة فريدة على ميناء بوسطن، وأميّل ظهر المقعد وأمسك بمفكّرتي وقلمي اللذين حملتهما معي. لا أعرف إن كان ذلك سيساعدني بالدرجة التي تستطيعها حلوى التشيز كيك، غير أني أحتاج لتفريغ أفكاري بنفس الطريقة التي اعتدتُها في السابق. لطالما ساعدَتني هذه الطريقة في ترتيب الأشياء في مواضعها الصحيحة، أما الآن فلا أطمع في أكثر من حماية الأشياء من السقوط كلًّا في اتجاه.

عزيزتي إيلين،

حزّري مَن عاد للتوّ؟

أنا.

وأطلس.

نحن الاثنان.

صادفتُه في الطريق أثناء ذهابي مع إيمي إلى رايل هذا الصباح. كان شعورًا رائعًا أن أراه من جديد، لكن برغم سعادتي لرؤيته ومعرفة أين وصلت بنا الحياة عند هذه النقطة، فقد أنهينا الموقف بشكل غريب؛ كان لديه حالة طارئة في المطعم الذي يملكه، وكنتُ أنا أيضًا في حاجةٍ للذهاب سريعًا بسبب تأخري في فتح المحل، وافترقنا على وعد بأن أرسل له رسالة عند وصولي للمحل.

لديّ رغبة في مراسلته. نعم أريد، خاصة وأن رؤيته نبّهتني لِكَمْ أفتقد هذا الشعور الذي يغمرني حين أكون معه.

لم أدرك كم أنا وحيدة حتى أمضيتُ معه تلك الدقائق القليلة هذا الصباح. لكن منذ انفصلنا أنا ورايل.. أوه! انتظري.

يا للغرابة! أنا لم أخبركِ من قبل عن الطلاق.

مضى وقت طويل جدًّا منذ آخر مرة كتبتُ رسالة لكِ. دعيني أعود أدراجي لحيث توقفتُ.

لقد قررت أن أنفصل نهائيًّا عن رايل بعد ولادة إيمي. طلبتُ منه الطلاق بعد الوضْع مباشرةً، ولم أكُن أُضمر الشر في اختيار التوقيت، كل ما في الأمر أني لم أكُن متأكدة من اختياري حتى حملتُ إيمي بين ذراعي، وأدركتُ بكل كياني أني سأفعل أي شيء لكَسْرِ دائرة الإذلال والإهانة تلك.

نعم، طلب الطلاق مؤلم جدًّا. نعم، لقد كُسِر قلبي أيَّما كَسْر. لكنْ لا، لم أندم قط. لقد مكَّنني هذا الاختيار من إدراك أن القرارات الأصعب التي يتَّخذها الإنسان غالبًا ما تعود عليه بأفضل النتائج.

لا يمكنني أن أكذب وأقول إني لا أفتقده على الإطلاق، فأنا أشعر بافتقادي له بين الحين والآخر. أفتقد ما كنا عليه في بعض الأوقات. أفتقد العائلة التي كان يمكن أن نصيرها لأجل إيميرسون. لكنني أعرف أني اتَّخذتُ القرار الصحيح، مع أنني أشعر أحيانًا بالثِّقَل الرهيب للموقف بأكمله. وما يزيد من صعوبته أني لا أزال مضطرة للتعامل مع رايل. لا زال لديه نفس الخصال الجميلة التي وقعتُ في غرامها في البداية، والآن وقد تخلَّصنا من ارتباطنا السابق صار من النادر أن أرى جانبه السلبي الذي تسبب في إنهاء زواجنا. أظن أن الأمر

يتعلَّق بكونه يُبدي الآن أفضل سلوك لديه، فقد كان مضطرًّا للتوصل لدرجة ما من الوفاق وألا يزيد من حدة الشجار لأنه يعلم جيدًا أنني كان بإمكاني أن أُبلغ السلُطات عن العديد من حالات العنف التي تعرَّضتُ لها على يديه. كان يمكن أن يخسر ما هو أكثر بكثير من زوجته، لذلك حين وصلنا لترتيبات الحضانة مضَت الأمور في إطار ودي فوق ما توقعتُ بكثير.

ربما مضت الأمور على هذا النحو لأني أقلُّ حِدَّة منه بكثير عندما يتعلَّق الأمر بالشجار. كانت المحامية صريحةً تمامًا معي حين فاتَحتها في رغبتي في الوصاية الكاملة على طفلتي؛ قالت إنني لن أتمكَّن من منع رايل من زيارة إيميرسون عن طريق القضاء، إلا لو كنتُ على استعداد لأن أنشر أقذر ما في غسيلنا داخل قاعة المحكمة. وحتى لو دفعتُ بحجة العنف المنزلي، فمن النادر في رأي المحامية أن يُحرَم والدٌ راغب في رؤية أبنائه من حقوقه، خاصة لو كان ناجحًا ومستعدًّا لإعالة أبنائه وبلا سجل جنائي.

كنتُ بصدد اختيار واحد من اثنين: أن أوجه إليه الاتهام عن طريق المحكمة وأضطر نهاية المطاف لقبول ترتيب ما يخص الوصاية المشتركة، أو أتوصل معه لاتفاق يُرضينا نحن الاثنين ويحافظ على علاقتنا في إطار الأبوة المشتركة.

يمكن القول إننا توصلنا معًا لأرض مشتركة، مع أنه ليس ثمة اتفاقية في هذا العالم تجعلني مرتاحةً لترك ابنتي مع شخص أعرف جيدًا طبيعته الانفعالية، لكن لم يكن أمامي سوى أن أختار أقل

الضررين حين تعلَّق الأمر بحضانة الطفلة، وأن آمل ألا ترى إيمي أبدًا هذا الجانب منه.

أريد لإيمي أن ترتبط بأبيها، لم أرغب قط في منعها عنه، أريد أن أضمن فقط أن تكون في أمان بين يديه، لهذا رجوتُ رايل أن يرضى بالزيارات أثناء النهار في أول عامين. لم أفصح إليه قط بأن السبب وراء هذا الرجاء أني لا أثق في تركها معه، ربما عزوتُ الأمر إلى الرضاعة الطبيعية وإلى طبيعة عمله التي تجعله دائمًا معرَّضًا للاستدعاء، لكنني لا أشك في كونه يعرف السبب وراء عدم رغبتي في تركها معه أثناء الليل.

لا يتضمن حديثنا أنا ورايل أية إشارة للإهانات الماضية. نتحدث عن إيمي، عن العمل، نلصق ابتسامات فوق أفواهنا حين تكون ابنتنا معنا، ابتسامات تكون أحياناً مصطنعة وجَبْرِيَّة، على الأقل من ناحيتي أنا، مع ذلك فالحال أفضل بكثير مما كنت سأواجهه لو أنني جررتُه إلى المحاكم وخسرتُ القضية في نهاية المطاف. سأتصنَّع الابتسامات حتى تبلغ إيمي الثامنة عشر إن كان ذلك سيضمن لي ألا نتشارك الوصاية وألا تتعرَّض ابنتي للجانب الأسوأ من أبيها بين الحين والآخر.

مضَت الأمور على نحو معقول حتى الآن، لو غضضنا الطرف عن بعض المواقف التي يظهر فيها تلاعبه ومعاكساته غير المرغوبة. وبرغم الوضوح الذي أبديتُ به مشاعري إبان طلبي للطلاق، فلا يزال لديه بعض الأمل في عودة الأمور بيننا لمجراها الأول. يقول أحياناً بعض الأشياء التي تُشير لكونه لم يتخلَّ بعد عن فكرة استمرارنا معًا.

أخشى أن يكون الجزء الأكبر من تعاونه معي في شؤون إيمي ينطلق من إيمانه بأنه سينجح في استعادتي لو أبدى لُطفًا كافيًا لمدة كافية؛ يُسيطر على عقله اعتقاد بأنني لا بد أن ألين مع الوقت.

غير أن الحياة لن تستمر على هذا المنوال يا إيلين، سأمضي قُدُمًا ذات يوم، ولكي أكون أمينة معكِ، فإنني أتمنى أن أمضي قُدُمًا في اتجاه أطلس. لا يزال الوقت مبكرًا جدًّا على تقييم تلك الاحتمالية، لكنني أعرف يقينًا أني لن أعود أبدًا للسعي في اتجاه رايل، مهما طال بنا الزمن.

مرَّ قرابة عام منذ طلبتُ الطلاق من رايل، أما الوقت الذي مضى منذ المعركة التي أدَّت إلى انفصالنا فنحو تسعة عشر شهرًا، ما يعني أنني بقيت بمفردي لأكثر من عام ونصف.

يبدو العام ونصف مدة طويلةً للغاية بالنسبة للعلاقات المحتملة، وربما يكون الأمر كذلك بالنسبة لأي شخص آخر سوى أطلس، لكن كيف يمكنني إنجاح هذه العلاقة؟ ماذا لو راسلتُ أطلس ووجدته يدعوني على الغداء؟ ثم يمر الغداء كأروع ما يكون، ولا بد أن يكون كذلك، ثم يقودنا الغداء إلى العَشاء، ويقودنا العَشاء إلى العودة للخطوة التي توقَّفنا عندها عندما كنا أصغر سنًّا؟ ثم نجد نفسَينا سعيدَين غاية السعادة ونقع مجددًا في الغرام ويصير جزءًا أساسيًّا ودائمًا من أجزاء حياتي؟

أعرف أن الأمر يبدو كما لو أنني أسبق الأحداث، لكنه «أطلس» مَن نطرح موضوعه هنا، فلو استبعدنا احتمالية أن يكون قد أجرى

https://t.me/fantazynov

عملية استبدال لشخصيته، سندرك أنا وأنتِ يا إيلين مدى سهولة وقوعي في غرامه، ولذلك فأنا مترددة بشدة في هذا الشأن، لأنني أخشى وقوع هذه الاحتمالية.

وفي حالة وقوعها، كيف سيشعر رايل حيال علاقتي الجديدة؟ إيميرسون على وشك أن تكمِل عامها الأول، ويمكنني القول إننا عبرنا هذا العام الأول دون صخب ولا دراما زائدة، أما السبب وراء هذا الهدوء فهو أننا أوجدنا مجرًى جيدًا لشؤوننا لم يعترضه أي شيء، فلماذا أشعر الآن أن أي ذِكرٍ لأطلس سيُحدث تسونامي مفاجئًا في حياتي؟

ليس سبب قلقي أهمية رايل بالنسبة لي، بل قدرته على تحويل حياتي العاطفية لجحيم فعليّ. ولا أعرف حقيقةً لماذا يحتل رايل هذه المساحة من تفكيري؟ إليكِ ما أشعر به: كأنما تحدث لي أشياء رائعة بحق، وحالما تبدأ في التغلغُل بداخلي تُلامس منطقةً ما في نَفْسِي لا تزال تتخذ قراراتها بناءً على وجود رايل وردود أفعاله المنتظَرة.

أخشى ما أخشاه هو رد فعل رايل. أتمنى لو كان ثمة احتمالية لأن يتقبّل الأمر دون أن يغار، لكنه سيغار لا محالة. لو بدأتُ في مواعدة أطلس فلن يمرَّ الأمر بسلام. ورغم أني أعرف يقيناً أن الطلاق كان خياري الصحيح، فإني أعي تمامًا أن لهذا الاختيار تبعات، وإحدى هذه التبعات أن رايل سيظل ينظر إلى أطلس باعتباره مَن تسبب في إنهاء زواجنا.

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

رايل هو والد طفلتي، وبصرف النظر عمَّن سيدخل حياتي أو يخرج منها بعد رايل، سيظل هو الأمر الثابت الوحيد والذي عليَّ أن أهادنه حتى أضمن لابنتي حياة هادئة يَعُمُّها السلام. ولو سمحتُ بعودة أطلس كوريجان إلى حياتي، فلن يرضى رايل مهما فعلت.

كم أتمنى لو تنصحينني بالقرار الأصوب. هل أضَحّي بما أعرف يقيناً أن فيه سعادتي، حتى أتجنَّب الهزة التي ستحدث لا محالة لو سمحت لأطلس بدخول حياتي؟

هل سأُمضي باقي أيام حياتي بثُقب داخل قلبي على شكل «أطلس»، لا يمكن لرجل سواه أن يسُدَّه؟

إنه يتوقع رسالة مني، لكنني بحاجةٍ إلى المزيد من الوقت حتى أستوعب الأمر. كما أنني لا أعرف ماذا سأقول له، ولا ما عليَّ فِعْلُه.

ستكونين أول مَن يعلم لو توصَّلتُ لشيء.

لِيلي

الفصل الثالث

أطلس

يقول ثيو:

- «لقد وصلنا أخيرًا إلى *الشاطئ*».. هل *قُلتَ* لها ذلك حقًّا؟ وبصَوتٍ عالٍ؟

أُغيِّر وضعي على الأريكة بحثًا عن جِلسةٍ مريحة وأقول:

- لطالما التففنا حول *البحث عن نيمو* حين كنا أصغر سنًّا.

- لقد اقتبستَ من فيلم كرتون.

يُدير ثيو رأسه في حركة دراماتيكية، ويُكمل قائلًا:

- ولم تُفلح! مرَّت ثماني ساعات منذ صادفتها في الطريق، ولم تراسلك بعد.

- ربما شغلها شاغل؟

- أو ربما دفعتَ الأمر أقوى من اللازم.

هكذا يقول ثيو وهو يميل إلى الأمام. يشبِّك يديه بين ركبتيه ويستعيد تركيزه قائلًا:

- إذًا ماذا حدث بعد أن قلت كل هذه السطور الرخيصة؟

إنه فظ.

https://t.me/fantazynov

- لا شيء. كان كل منا مضطرًا للذهاب إلى عمله، سألتُها إن كان رقم هاتفي لا يزال معها، فقالت إنها لا تزال تحفظه، ثم قُلنا مع...

يقاطعني ثيو:

- مهلًا.. هل قلت إنها لا زالت *تحفظ* رقمك؟
- يبدو كذلك.
- جيد.. (يعلو وجهه التفاؤل) لا بد أن يعني هذا شيئًا بالتأكيد، ما عاد أحد يحفظ أرقام الهاتف.

كنتُ أفكر في نفس الشيء، لكن ذهب بي التفكير إلى سؤال ما إذا حفظت أرقام هاتفي لأسباب أخرى. أذكر أنني يوم كتبتُه على ورقة ووضعته في حافظة الهاتف الخاصة بها، كان بسبب حدث طارئ. قد يكون جزء منها عمِل حسابًا ليومٍ تحتاج فيه هذا الرقم، فحفظَتْه لأسباب ليس لها علاقة بي.

- إذًا بمَ تنصحني الآن؟ أراسلها؟ أتصل بها؟ أنتظر حتى تبحث هي عني؟
- لقد مرَّت ثماني ساعات يا أطلس فاهدأ قليلًا.

تلسعني نصائحه مثل السوط.

- قبل دقيقتين كنتَ تُصوِّر لي الأمر كأن الثماني ساعات بلا رسالة منها وقتٌ غير مُحتمَل. والآن تريدني أن أعود للهدوء؟!

يهز ثيو كتفيه دون اكتراث، ثم يدفع طاولة المكتب بقدمه حتى يدوِّر كرسيه حول محورِه.

- عمري اثنا عشر عامًا، لا أملك هاتفًا محمولًا بعد، وتريد رأيي حول تقاليد وآداب الرسائل الهاتفية؟

يدهشني كونه لا يملك تليفونًا حتى الآن. لا يبدو براد والدًا متزمتًا على الإطلاق. أسأله:

- لماذا لا تملك تليفونًا محمولًا؟

فيقول بحزن:

- أبي يقول إن بإمكاني أن أحصل على هاتف حين يكون عمري ثلاثة عشر عامًا، أي بعد شهرين آخرَين.

منذ ترقّي براد قبل ستة أشهر، صار ثيو يأتي إلى المطعم بعد المدرسة يومين في الأسبوع. قال لي ثيو إنه يريد أن يعمل مُعالجًا نفسيًّا حينما يكبر، لذلك أسمح له بأن يتدرَّب عليَّ. كنا نهدف لمصلحته هو حين بدأنا تلك الجلسات الحِوارية، غير أنني صرتُ أشعر مؤخرًا بأنني المستفيد الأكبر.

يُطلُّ براد برأسه داخل مكتبي بحثًا عن ولَده:

- فلنذهب، لنترك أطلس ينجز ما لديه من عمل.

يومئ إلى ثيو حتى ينهض، لكنَّ الأخير يستمر في الدوران فوق كرسي المكتب قائلًا:

- أطلس هو مَن طلب حضوري هنا، كان في حاجةٍ لنصائحي.

يشير براد إلينا الواحد تلو الآخر ويقول:

لن أفهم أبدًا ما يدور هنا. أي نصيحة يمكن أن يُسديها إليك ابني؟ هل تتعلَّق بكيفية تجنُّب واجباتك اليومية والفوز في لعبة ماينكرافت؟

https://t.me/fantazynov

يقف ثيو ويفرد ذراعيه عن آخرهما أعلى رأسه قائلًا:

- بل نصيحة حول معاملة الفتيات، ثم إن الفوز ليس ما نسعى إليه في لعبة ماينكرافت يا أبتِ، إنها لعبة استكشافية.

يلتفُّ ثيو إلى الوراء حتى ينظر إليَّ فيما يغادر المكتب ويقول: «راسِلها فقط»، كأن ما يقوله هو الحل البديهي، وربما يكون كذلك بالفعل.

ينتزعه براد من أمام الباب.

أعود للجلوس على كرسي مكتبي والتحديق في شاشة الهاتف الخالية. *ربما تكون قد أخطأت في حفظ الرقم.*

أبحث عن رقمها وأنظر إليه بتردد. ربما يكون ثيو على حق. ربما أثقلتُ عليها أكثر من اللازم حين التقينا في الصباح. لم نقل الكثير، غير أننا عنينا كل كلمة تبادلناها معًا. وربما فتَحَ الكلام جراحها القديمة، أو... أو يكون حدسي على صواب فيما يتعلَّق بحِفْظها رقمًا خاطئًا!

تُحلِّق أصابعي فوق شاشة الهاتف، أريد أن أكتب لها رسالة، غير أني لا أريد أن أزيد من الضغط عليها. ما يعرفه كلانا على وجه اليقين أن حياتنا كانت ستتحول تمامًا لو لم أقَع في كل الأخطاء التي ارتكبتها في السابق.

أمضيتُ سنواتٍ في اختلاق أسبابٍ تجعل حياتي لا تناسبها ولا تحقق لها السعادة المرجوَّة، أما الحقيقة فإن لِيلِي هي الأنسب على الدوام، هي النموذج المثالي. لن أدعها تَمضي بعيدًا هذه المرة دون أن

https://t.me/fantazynov

أبذل المزيد من الجهد لكي أحتفظ بها، ولتكن البداية في التأكد من أنها حصلت على الرقم الصحيح.

سعدتُ كثيرًا للقائكِ اليوم يا لِيلِي.

أنتظر حتى أرى ما إذا كانت سترد على الرسالة، وحين أرى النقاط الثلاث تومض أمامي، أكتم نَفَسي في ترقُّبٍ لما سوف يكون..

وأنا أيضًا.

أُحدق في الرد أطول كثيرًا من اللازم، آمِلًا في إلحاقه برسالةٍ إضافية، ما لا يحدث في الواقع. هذا كل ما سأحصل عليه اليوم.

كلمتان فحسب، غير أن بإمكاني أن أقرأ المزيد بين السطور.

أُطلق تنهيدةً تحمل شعورًا بالهزيمة، وأضع هاتفي على طاولة المكتب.

https://t.me/fantazynov

الفصل الرابع

لِيلِي

صارت حالتي أنا ورايل غير تقليدية منذ وُلِدَت إيميرسون. لا أظن أن الكثير من الأزواج يقومون بتوقيع أوراق الطلاق في الوقت ذاته الذي يوقِّعون فيه شهادات ميلاد أطفالهم حديثي الولادة.

ويقدر ما أصابني الإحباط في رايل، لكونه السبب وراء إجباري على اتخاذ قرارٍ بإنهاء الزواج، بقدر ما وددتُ ألا أحرمه من ارتباطه بابنته. لذا فإنني أتعاون معه قَدْرَ الإمكان تقديرًا مني لجدوله المشحون طوال الوقت، حتى إنني آخذ إيمي أحيانًا لزيارته في مكان عمله أثناء راحة الغداء.

https://t.me/fantazynov

يحتفظ رايل بنسخة من مفتاح شقتي من قبل ولادة إيمي، والسبب أنني أعيش بمفردي وكنتُ أخشى أن يُفاجئني المخاض ويحتاج رايل لدخول الشقة. لكنه أبدًا لم يُعِد إليَّ المفتاح منذ وُلِدَت إيمي، وكان في نيَّتي أن أطلبه منه، لكنه يستعمله في أحيانٍ نادرة حين يكون لديه جراحة في موعد متأخر فيكون أمامه وقت فراغ يرغب في قضائه مع إيمي خلال النهار بعد ذهابي إلى العمل، لهذا لم أطلب منه إعادة المفتاح، كما صار يستخدمه مؤخرًا حين يُعيد إيمي إلى البيت.

https://t.me/fantazynov

أرسَل لي رسالة قبل أن أغلق المحل بقليل ليُخبرني بأن إيمي متعَبة، وأنه سيُعيدها إلى البيت ويضعها في السرير. صار استعماله لمفتاح شقتي يتكرر مؤخرًا لدرجةٍ تثير تساؤلي إن كانت إيمي هي الشخص الوحيد الذي يسعى لقضاء وقتٍ أطول معه.

أجد الباب الأمامي غيرَ موصَدٍ حين أصل أخيرًا إلى الشقة. رايل في المطبخ، يرفع عينيه إليَّ فور سماعه باب الشقة يُغلَق.

«أحضرتُ طعامًا للعَشاء»، يقول فيما يرفع نحوي لفافة تحمل اسم المطعم التايلاندي المفضل لديَّ، «أظن أنكِ لم تأكلي بعد».

لا يروقني ذلك؛ إنه يُبدي ارتياحًا أكبر لقضاء الوقت هنا بداخل الشقة، وأنا مستنفَدة عاطفيًّا بما فيه الكفاية اليوم، لذا أهزُّ رأسي وأقرر إرجاء هذه المواجهة لوقت آخر.

- لا لم آكل بَعْد، شكرًا لك.

أضع حقيبتي على الطاولة وأمضي في اتجاه غرفة إيمي.

ينبِّهني:

- لقد وضعتُها لتَوّي في السرير.

أتوقَّف خارج باب إيمي وأضغط أذني عليه؛ الغرفة ساكنة تمامًا، لذا أعود أدراجي إلى المطبخ دون أن أوقظها.

ينتابني شعورٌ سيئ للغاية بسبب ردِّي الموجَز على رسالة أطلس، لكنَّ ما يجري الآن مع رايل يؤكد لي جميع مخاوفي. كيف لي أن أبدأ علاقةً مع شخص جديد ولا زال طليقي يجلب لي العَشاء إلى شقتي التي يحتفظ بنسخة من مفتاحها؟!

أحتاج لأن أضع قواعد أكثر صرامة مع رايل قبل أن أسمح لنفسي بالتفكير في أطلس.

يختارِ رايل زجاجة نبيذ أحمر من حامل الزجاجات الموضوع فوق الطاولة. يسألني:

- هل تمانعين في فَتْح هذه الزجاجة؟

أومئ بعدم اكتراث، بينما أغرف في طبقي ملء ملعقة من الطعام التايلاندي.

- تفضل، أما أنا فلا أرغب في شُرب النبيذ.

يُعيد رايل الزجاجة إلى مكانها ويتناول بدلًا منها كوب شاي. أُخرِج زجاجة مياه من الثلاجة ونجلس إلى الطاولة. أسأله:

- كيف أمضَت اليوم معك؟

- كانت متقلبة المزاج قليلًا. وكان عليَّ أن أُنجِز الكثير من المهام اليوم، أظنها تعِبَت من كثرة ما وضعتُها في مقعد السيارة ذهابًا وإيابًا هنا وهناك، لذا صارت أفضل حالًا حين ذهبنا إلى بيت أليسا.

- متى يحين يوم عطلتك القادم؟

- لستُ متأكدًا بعد. سأُخبركِ حينما أعرف.

يميل إلى الأمام ويُزيل بإبهامه شيئًا عالقًا على ذقني. أجفل قليلًا ، لكنه لا ينتبه لذلك، أو قد يكون يتظاهر بعدم الانتباه. لستُ متأكدة إن كان يُلاحظ أن رد فعلي حين يُقرِّب مني يده يكون سلبيًّا في كل مرة. ومن معرفتي برايل فالأرجح أنه فسَّر جفولي بانجذابي إليه.

https://t.me/fantazynov

بعد ولادة إيمي، مرَّت لحظات هنا وهناك شعرتُ خلالها بتجاوب مع رايل، ربما لقَوْله شيئًا لطيفًا أو لقيامه بفعل حسن، أو لأنه احتضن إيمي وهو يُغنِّي لها، أشعر ساعتها بتلك الرغبة المعتادة فيه تتصاعد فيَّ. غير أني اكتشفتُ في نفسي القدرة على سَحْب نفسي خارج اللحظة في كل مرة. لا أحتاج سوى ذكرى سيئة واحدة حتى تحبط على الفور أية مشاعر قد تتسلل إليَّ وقت حضوره.

لقد قطعنا معًا طريقًا طويلًا ووَعرًا، وأخيرًا صارت تلك المشاعر غير موجودة بالفعل، وأعزو ذلك إلى القائمة التي كتبتُها بجميع الأسباب التي دفعَتني لاختيار الطلاق. أحيانًا، وبعد مغادرته، أذهب إلى غرفتي وأعيد قراءة تلك الأسباب حتى أستنتج من جديد أن ما توصَّلنا إليه هو الأصلح لنا جميعًا.

ربما ليس ما توصَّلنا إليه بحذافيره، فلا أزال أرغب في استعادة مفتاحي منه.

أوشِك على تناول المزيد من النودلز حين أسمع صوتًا مكتومًا يصدر من حقيبتي التي تركتها على الناحية الأخرى من الطاولة. أضع شوكتي وأسارع في التقاط هاتفي قبل أن يصل إليه رايل، ليس لكونه سيقرأ رسائلي، غير أن آخر ما أحتاجه الآن أن يدَّعي التهذيب معي فيناولني الهاتف. قد يرى أن الرسالة من أطلس، ولستُ مستعدةً للعاصفة التي سيُسببها ذلك.

على العموم، الرسالة ليست من أطلس، بل من أمي. إنها تُرسل لي صورًا لإيمي التقطتها بداية هذا الأسبوع. أضع الهاتف وأتناول الشوكة، لكنَّ رايل يستمر في التحديق فيَّ. أقول:

- إنها أمي.

لا أعرف لماذا أقول ذلك من الأساس. أنا غير مدينة له بأي تفسير، كما لا أحب الطريقة التي ينظر بها إليَّ.

- ومَن كنتِ تمنّين نفسكِ أن يكون حتى تندفعي هكذا فوق الطاولة للوصول إلى الهاتف؟

- لا أحد.

أصبُّ لنفسي كأسًا. لا يزال يُحدق في وجهي. ليس لديَّ أدنى فكرة ما إذا كان رايل يستطيع قراءة تعبيرات وجهي، لكنْ من الواضح أنه يشك في صِدقي.

يُدوِّر الشوكة وهو يُحدق في طبق النودلز أمامه بفَكٍّ متصلِّب ونظرةٍ جامدة.

- هل تُواعدين أحدًا؟

تبدو نبرته حادة الآن.

- بصرف النظر عن كون الأمر لا يعنيك على الإطلاق، لا، لستُ أُواعد أحدًا.

- لا أقول إن الأمر يعنيني. إنه مجرد حوار وديّ.

https://t.me/fantazynov

لا أُبدي ردة فعل لكلامه فليس إلا كذبًا. أي مُطلَّق حديث يسأل زوجته السابقة ما إذا كانت تُواعد أحدًا يُجري أي شيء إلا الحوار الوديّ.

يقول:

- أعتقد أننا سنحتاج في مرحلة ما أن نُجري حوارًا أكثر جدية حول المواعدة الغرامية، قبل أن يقوم أحدنا بإقحام شخص ما في حياة إيميرسون. لنضع بعض الشروط على سبيل المثال.

أومئ برأسي موافقةً وأقول:

- أظن أننا نحتاج لوضْع شروطٍ لما هو أكثر بكثير من هذا الأمر.

تضيق عيناه ويقول:

- مثل ماذا؟

أبتلع ريقي:

- مثل دخولك شقتي. أرغب في استعادة مفتاحي.

ينظر إليَّ رايل مُحاولًا ضبط نفسه، ثم يمسح فاه ويقول:

- ألا يحق لي أن أضع ابنتي في سريرها؟

- لا أقول هذا على الإطلاق.

- لِيلِي، أنتِ تعرفين جيدًا طبيعة عملي وارتباك مواعيدي. لا أكاد أراها إلا بصعوبة والحال على ما هو عليه، فكيف لو تغيَّر؟

- أنا لا أقول إني لا أريدك أن تراها كلما أردت، أريد فقط أن أستعيد مفتاحي وأحافظ على خصوصيتي.

يبدو عليه الاستياء. رايل غاضب مني الآن، وكنتُ أتوقع ذلك بالطبع، غير أنه يُخرج الأمر عن نِطاقه الصحيح، فلا علاقة بين طلبي ورغبتي في السماح له برؤية إيمي، كل ما أريده ألا يدخل شقتي بهذه السهولة. لقد كان لديَّ أسباب حقيقية للطلاق منه ومغادرة بيته.

لن يكون ثمة اختلاف جذري لو أعاد لي المفتاح، لكنه الصواب في هذه الحالة، وإلا سنظل عالِقَين في هذا الروتين الفاسد إلى الأبد.

- إذًا في هذه الحالة سأجعلها تبيت معي.

يقولها كأنه أمر مفروغ منه حتى يرى ردة فعلي. أعرف أنه يرى بوضوح عَدَمَ الارتياح الذي أغرق فيه دون مقدمات.

أحتفظ بنبرة صوتٍ هادئة:

- لا أظن أنني مستعدة لذلك في الوقت الحالي.

يُسقط رايل شوكته فوق الطبق فتُحدِث صوت ارتطامٍ عاليًا:

- ربما نحتاج لتعديل ترتيبات الوصاية التي اتفقنا عليها.

تُثير حنقي هذه الكلمات، لكني أُحكِم السيطرة كي لا ينفجر غضبي. أنهض وأحمل طبقي وأنا أقول:

- حقًّا يا رايل؟ أطلب استعادة مفتاح شقتي فتُهدِّدني بتسوية الأمر في المحكمة؟!

لقد اتفقنا معًا حول هذه الترتيبات بخصوص الوصاية، لكنه يصوِّر الأمر الآن كما لو أننا راعَينا مصلحتي أنا فقط على حسابه هو. وهو يُدرك تمامًا أنني كان باستطاعتي أن أدفع بالقضية في اتجاه الحضانة

https://t.me/fantazynov

الكاملة بعد كل ما فعله بي. اللعنة، لم أسعَ قط لأن أُحرر محضرًا ضده في أي موقف، فالأجدر به أن يكون ممتنًّا لكرمي الشديد معه.

حين أصل إلى المطبخ أضع الطبق وأمسك بحافة الكاونتر، تاركةً رأسي يسقط بين كتفيّ. *اهدئي لِيلِي، إنه مجرد رد فعل لا أكثر ولا أقل.*

أسمع رايل يتنهد في حسرة، ثم أجده يتبعني لداخل المطبخ. يميل على الكاونتر بينما أشطف طبقي في الحوض قائلًا:

- هل يمكن على الأقل أن تمنحيني جدولًا زمنيًّا؟

ينخفض صوته الآن فيما يتكلم:

- متى سأحصل على حق المبيت معها؟

أستند بخاصرتي إلى الكاونتر حتى أواجهه، أقول:

- حين تستطيع هي الكلام.

- وما السبب؟

أكره اضطراري لأن أقول ذلك صراحةً، مع ذلك أقول له:

- حتى تستطيع إخباري لو حدث شيء يا رايل.

حين يستوعب ما تعنيه كلماتي بالتحديد، يعضُّ على شفته السفلى ويومئ برأسه تفهُّمًا. أستطيع أن أرى إحباطه واضحًا في بروز عروق رقبته. يسحب مفاتيحه من داخل جيبه ويستخرج من بينها مفتاح شقتي. يُلقيه على الكاونتر ويمضي ذاهبًا.

عندما يأخذ الجاكيت ويختفي من فتحة الباب الأمامي، أشعر بوخزة الضمير المعتادة حين يزحف الشعور بالذنب ويملأ صدري،

https://t.me/fantazynov

ودائمًا ما يتبعه شكوك على غرار: هل أقسو عليه أكثر من اللازم؟ ماذا لو أنه تغيَّر بالفعل؟

أعرف الإجابات على هذه الأسئلة، لكنني أشعر أحيانًا بحاجتي لقراءة التذكيرات. أذهب إلى غرفتي وأسحب القائمة من صندوق المجوهرات.

لقد صفعكِ على وجهكِ لمجرد أنكِ ضحكتِ منه.

لقد دفعكِ فوق درج السلم.

لقد عضَّكِ.

لقد حاول إرغامكِ على النوم معه.

احتجتِ لعددٍ من الغرز بسببه.

لقد أصابكِ زوجكِ جسديًّا أكثر من مرة، لذلك سيتكرر الشيء نفسه مرات ومرات.

لقد قُمتِ بذلك من أجل ابنتكِ.

أتحسس بإصبعي مكان الوشم المرسوم فوق كتفي، شاعرةً بالندوب الصغيرة التي أحدثها بأسنانه. لو كان رايل قد فعل ذلك بي في أشد لحظاتنا حميمية، فماذا يمكنه أن يفعل بي في أسوأ اللحظات؟

أطوي القائمة وأضعها مجددًا في صندوق المجوهرات، في انتظار المرة التالية التي أحتاج فيها للتذكير.

https://t.me/fantazynov

الفصل الخامس

أطلس

«إنها مقصودة بكل تأكيد»، هكذا يقول براد وهو يرمق رسوم الجرافيتي على الحائط.

أيًّا كان مَن قام بهذا التخريب في مطعم بيبز قبل يومين، فإنه نفس مَن أقدم على اقتحام أحدث مطاعمي في الليلة السابقة. ثمة نافذتان مدمَّرتان في مطعم كوريجانز، وهناك رسالة مكتوبة بالبخاخ الملون على الباب الخلفي.

سحقًا لك يا أطلس.

أضافوا حرفَ «سين» إضافي في نهاية اسمي وسطروا خطًّا تحت آخر ثلاثة حروف فيه التي تكوِّن كلمة «مؤخِّرة». أُجد نفسي راغبًا في الضحك لحذاقة تلك اللمحة، غير أن حالتي المعنوية هذا الصباح لا تترك مجالًا للحس الفكاهي.

بالكاد أزعجني هذا التخريب بالأمس. لا أعرف إن كان السبب هو المصادفة التي جمعتني مع لِيلِي على غير توقُّع واستمرَّ تأثيرها في رفع معنوياتي أمس، أما اليوم فقد استيقظتُ على تجنُّبها الواضح لي،

https://t.me/fantazynov

وبسبب ذلك يبدو لي الضرر الواقع على أحدث مطاعمي موجعًا فوق المعتاد.

- سأتحقق من تسجيلات كاميرات المراقبة.

آمَل أن تكشف التسجيلات عن شيء مفيد. لم أحسم موقفي بعد من الذهاب إلى البوليس. قد يتبيَّن أنه شخص يمكنني التعرف عليه، فأبدأ بمواجهته على الأقل قبل أن أضطر لخطوة البوليس.

يتبعني براد لداخل المكتب. أُشغِّل الكمبيوتر وأفتح تطبيق كاميرات المراقبة. لا بد أن براد يشعر بإحباطي لأنه لا يتحدَّث بكلمة فيما أراجع التسجيلات لعدة دقائق.

- هنا.

يقول براد وهو يشير للركن الأيسر أسفل الشاشة. أبطِّئ العرض حتى يظهر شخص ما.

مع استمرار العرض، يُحدق كلانا باستغراب. يبدو الشخص منزويًا فوق درجات السلم الخلفي دون حِراك. نستمر في مشاهدة التسجيل لمدة نصف دقيقة، ثم أعيد عرض التسجيل من جديد. طبقًا للتوقيت المصاحب لتسجيل كاميرات المراقبة، مَكَثَ هذا الشخص في مكانه فوق الدرج لما يزيد عن ساعتين، بلا بطانية، رغم برودة بوسطن في شهر أكتوبر.

يسألني براد:

- هل *نام* هنا؟ يبدو أنه لم يكن قَلِقًا من الإمساك به، ألا تتفق؟

أرجع التسجيل إلى الوراء حتى اللحظة التي يظهر الشخص فيها أمام الكاميرا لأول مرة، بعد الواحدة صباحًا بدقائق قليلة. ولأن المشهد غارق في الظِلمة، تصعب رؤية ملامح الشخص وقسمات وجهه، لكنه يبدو صغير السن، أقرب لمراهقٍ منه إلى شخصٍ بالغ.

يسترق النظر هنا وهناك مدة دقائق، يُقلِّب في سلة المهملات، يستوثق من قفل الباب الخلفي، يمسك بالبخاخ الملوَّن ويترك لنا رسالته الذكية.

بعد قليل يُحاول كسر زجاج النوافذ باستخدام عبوة البخاخ، لكن نوافذ كوريجانز من الزجاج ثلاثي الطبقات، لذلك سرعان ما يملُّ الشخص الذي يُحاول كسره ويتعب من محاولته لإحداث ثقب كافٍ لعبوره إلى الداخل كما فعل في بيبز، وهنا يستلقي على الدرج الخلفي للمطعم حتى يسقط في النوم.

يستيقظ قبل شروق الشمس مباشرةً ويتلفَّت من حوله ثم يُغادر ببساطة كأنما أحداث الليلة بأكملها لم تحدث من الأساس.

يسألني براد:

- هل تعرف هذا الشخص؟
- لا، وأنت؟
- ولا أنا.

أوقِف العرض عند اللقطة التي يظهر فيها الشخص في أوضح صورة ممكنة، لكنها تبقى صورة مُحَبَّبَة وغير واضحة. يرتدي بنطال جينز وسترة تُغطي الرأس تمامًا بحيث لا يظهر شَعْره على الإطلاق.

https://t.me/fantazynov

ليس ثمة طريقة للتعرُّف عليه لو رأيناه وجهًا لوجه، فاللقطة ليست واضحة بالدرجة الكافية، ولم ينظر في اتجاه الكاميرا مباشرةً في أية لحظة. لا أظن أن البوليس سيجد في هذا التسجيل ما يساعد في الكشف عن هويَّته.

أرسل الملف إلى بريدي الإلكتروني على أي حال، وفي اللحظة التي أضغط فيها على خانة الإرسال أسمع أزيزًا هاتفيًّا. أُلقي نظرة على تليفوني، فأدرك أن براد هو مَن تلقَّى رسالة على الهاتف.

- دارين يقول إن بيبز بخير.

يضع هاتفه داخل جيبه ويتوجَّه صوب باب المكتب قائلًا:

- سأبدأ في توضيب المكان.

أنتظر حتى يكتمل إرسال الملف إلى بريدي الإلكتروني، ثم أبدأ في عرض التسجيل من بدايته، ويُداخلني شعور بالإشفاق يفوق ما أشعر به من استياء. ما أراه يُعيد إليَّ ذكرى تلك الليالي الباردة التي قضيتها في البيت المهجور قبل أن تعرض عليَّ لِيلِي المبيت في غرفتها. أشعر بلسعة البرودة تتسلل إلى عظامي بمجرد استعادة تلك الذكريات.

ليس لديَّ أدنى فكرة عمَّن يكون هذا الشخص، إنه لأمر مثير للأعصاب أن يكتب اسمي على الباب، والأكثر إثارة للغيظ أن يشعر بالاطمئنان لدرجة التسكع داخل المكان وأخذ تعسيلة لمدة ساعتين. يبدو الأمر كما لو أنه يراهِن على مواجهتي له.

أجد هاتفي يهتز فوق طاولة المكتب، أمد يدي لكي ألتقطه، إنه رقم غير مُسجَّل ولا يمكنني تمييزه. عادةً لا أُجيب على الأرقام التي

لا أعرفها، لكن هاجس لِيلِي لا يزال يشغل تفكيري، فقد تتصل بي من هاتف العمل.

رباه! إن حالتي مثيرة للإشفاق.

أرفع الهاتف إلى أُذُني، أقول:

- ألو؟

أسمع تنهيدةً على الجهة المقابلة، صوت أنثوي، يبدو عليه الارتياح لسماع صوتي على الهاتف:

- أطلس؟

أُطلق أنا الآخر تنهيدةً عميقة، لكنها ليست تنهيدة ارتياح، بل لأنه ليس صوت لِيلِي. لستُ أعرف مَن المتَّصِلة، لكنْ من الواضح أن أي شخص آخر غير لِيلِي هو شخص مثير للإحباط.

أتَّكئ إلى الخلف على ظهر الكرسي وأقول:

- كيف يمكنني مساعدتكِ؟

- هذه أنا مَن تتحدَّث إليك.

ليس لديَّ أدنى فكرة عمَّن تكون «أنا» تلك، أستعيد لذاكرتي صديقاتي القدامى بحثًا عن المتَّصِلة، لكن ليس بينهنَّ مَن لها هذا الصوت، ولا من بينهنَّ مَن ستفترض أني سأعرفها بمجرد أن تقول: هذه أنا..

- مَن المتحدِّث؟

- *أنا*!

https://t.me/fantazynov

تقول من جديد، وتُشدِّد على الكلمة كأن هذا ما سيُحدِث الفارق الآن.

- ساتن.. *أمك.*

أجذب الهاتف بعيدًا عن أُذُني وأُطالع الرقم على الشاشة من جديد. إنه مَقلَب دون أدنى شك. كيف ستحصل أمي على رقم هاتفي؟ ولماذا ترغب في الحصول عليه من الأصل؟ مرَّت سنوات طويلة منذ أعلنَت بطريقة قاطعة أنها لا تريد رؤية وجهي مُجددًا.

لا أُجيب بأي شيء. *ليس لديَّ ما أقوله حقيقةً.* أفرد ظهري وأميل إلى الأمام، تاركًا لها الفرصة لتبصق السبب الذي جعلها تبذل أخيرًا هذا الجهد لكي تتصل بي.

- أنا.. اممم..

تتوقف عن الكلام، أسمع صوت برنامج تليفزيوني في الخلفية، صوت يُذكِّرني بعرض «السعر صحيح». يمكنني أن أتصوَّرها جالسةً على الكنبة بعُلبة بيرة في إحدى يديها وسيجارة في اليد الأخرى في الساعة العاشرة صباحًا. حين كنت صغيرًا كانت تعمل غالبًا في المساء، لذا تتناول العَشاء وتجلس لمشاهدة «السعر صحيح» قبل أن تذهب إلى النوم.

كانت هذه أسوأ فترات اليوم بالنسبة لي.

أسألها بنبرة قاطعة:

- ماذا تريدين؟

تصنع صوتًا حَلْقِيًّا أعرفه برغم مرور هذه السنوات، وأفهم منه أنها منزعجة. أعرف حتى من صوت تنفُّسها أنها لم ترغب في الاتصال بي. لا تفعل ذلك إلا *مضطرة*، ليس بهدف الاعتذار أو ما شابه، بل تحت وطأة اليأس.

أسألها:

- هل تحتضرين؟

فهذا هو السبب الوحيد الذي سيمنعني من إنهاء المكالمة في التو واللحظة.

- هل أحتضر؟

تكرر سؤالي ضاحكةً كأنما تراني شخصًا معتوهًا لا عقلانيًّا يمكن وصفه بـ«مؤخرة».

- لا، لستُ أحتضر.. أنا في أفضل حال.
- هل تحتاجين إلى نقود؟
- ومَن لا يحتاج؟

يُعاودني أثناء هذه الثواني على الهاتف كل ما ملأتني به قديمًا من خوف وقلق. أُنهي المكالمة على الفور. ليس لديَّ ما أقوله لها. أحظر رقمها من الاتصال بي، نادمًا على الوقت الذي سمحتُ لها فيه بالحديث إليّ. كان عليَّ أن أُنهي المكالمة فور معرفتي بهويَّتها.

أميل إلى الأمام وأسند رأسي إلى يديَّ فوق طاولة المكتب، تتقلَّص معدتي بسبب هذه الدقائق غير المتوقَّعة.

https://t.me/fantazynov

أستغرب ردة فعلي بكل صراحة. توقَّعتُ أن يحدث ذلك ذات يوم، لكنني تخيَّلتُ ألا أهتم بها. افترضتُ أني سأُقابل عودتها إلى حياتي بعدم الاهتمام نفسه الذي شعرتُ به حين طردَتني من حياتها. غير أني آنذاك كنتُ لا أهتم بأشياء كثيرة، لا هذه فحسب.

أما اليوم فأنا سعيد بحياتي. أشعر بالفخر بما حققته، وليس لديَّ أدنى رغبة في أن أسمح لأحدٍ قادم من الماضي بأن يدخل حياتي ويُهدد سعادتي.

أتحسس وجهي بيدَيَّ محاولًا التخلُّص من هذه الدقائق القليلة الفائتة، ثم أدفع الكرسي إلى الخلف وأنهض. أخطو إلى الخارج وأساعد براد في إصلاح المكان وأفعل ما أستطيع لكي أتجاوز اللحظة، غير أن الأمر ليس بهذه السهولة، كأنما الماضي يُداهمني من جميع الجهات دون أن يكون لديَّ مَن أتحدَّث معه بهذا الشأن.

بعد مدة من العمل في صمت تام أقول لبراد:

- عليك أن تشتري هاتفًا لِثيو؛ إنه يشارف الثالثة عشر.

يضحك براد:

- وعليكَ أن تجد مُعالِجًا نفسيًّا أصغر سنًّا.

الفصل السادس

لِيلي

تسألني أليسا:

- ألم تُقرري بعد ما ستفعلينه في عيد ميلاد إيميرسون؟

نظَّم أليسا ومارشال حفلًا كبيرًا بمناسبة أول عيد ميلاد لابنتهما رايلي؛ حفلًا يليق بعيد ميلادها السادس عشر لا الأول.

- سأحضر لها كعكة عيد ميلاد صغيرة تغوص فيها بكلتا يديها، وهدية أو اثنتين، هذا كل شيء، فليس لديَّ مكان لحفل كبير.

- لِمَ لا نقيم الاحتفال في بيتنا؟

هكذا تعرِض أليسا، فأقول:

- ومَن أدعو لحضور الحفل؟ ستُكمل عامها الأول، لا أصدقاء لها ولا تستطيع حتى الكلام.

ترفع أليسا عينيها اعتراضًا وتقول:

- نحن لا نُقيم الحفلات من أجل أطفالنا الرُّضَّع، بل لكي نُبهر أصدقاءنا البالغين.

- أنتِ صديقتي الوحيدة، ولا أحتاج لأن أُبهركِ بالمرة.

أناول أليسا طلبًا خارجًا للتو من آلة الطباعة.

https://t.me/fantazynov

- هل نتناول العشاء معًا الليلة؟

نلتقي في بيت أليسا على العَشاء، مرتين في الأسبوع على الأقل، ينضم إلينا رايل بين الحين والآخر، لكني أتعمَّد أن أجعل زياراتي في الأيام التي يعمل فيها أثناء المساء. لا أعلم إن كانت أليسا قد لاحظت ذلك، لو لاحظَت فلن تلومني بالطبع، فهي تقول إنه من المؤلم رؤية رايل في حضوري لأنها تشك في كونه لا يزال لديه أمل في عودتنا معًا، لذا تُفضِّل أن تقضي معه الوقت في عدم وجودي.

- والدا مارشال يصلان اليوم للمدينة، هل تذكرين؟

- آه نعم، أتمنى لكم حظًّا سعيدًا.

تحب أليسا أهل مارشال، لكني لا أظن أن أي شخصٍ سيحفَل كثيرًا باستضافة حمَوَيه لأسبوع كامل.

يطن جرس الباب الأمامي فننظر أنا وأليسا في نفس الاتجاه، مع ذلك أشك في أن عالمها قد بدأ في الدوران كما حدث لي.

تقول:

- هل هذا...

فأغمغم بصوت مخنوق:

- يا إلهي!

تهمس أليسا:

- نعم، إنه إله بحق.

ماذا يفعل هنا؟

ولماذا يبدو في جلال الآلهة؟ فيجعل القرار الذي كنتُ على وشك اتخاذه أصعب بكثير. لمدة غير يسيرة لا أجد صوتي حتى أرحِّب به. أبتسم فحسب وأنتظر بلوغه لحيث نقف، غير أن الخطوات بين الباب والكاونتر تبدو كأنها اتسعَت ميلًا أو يزيد.

لا يرفع عينيه عني حتى يبلغ مكان وقوفنا خلف الكاونتر. وحين يصل أخيرًا يومئ بابتسامة نحو أليسا، ثم يعاود النظر إليَّ بينما يضع وعاءً بلاستيكيًّا ذا غطاء فوق الكاونتر.

- أحضرتُ إليكِ طعام الغداء.

هكذا يقول ببساطة وكأنه يأتيني بالغداء كل يوم، فكان عليَّ أن أتوقَّع مجيئه.

آه من هذا الصوت، كنتُ قد نسيتُ كيف يصل عميقًا بداخلي.

أمسك بالوعاء، لكني لا أعرف ما يمكنني قوله وأليسا تحوم بالقرب منا وتراقبنا ونحن نتبادل الكلام. أنظر في اتجاهها وأشير بعيني إشارةً تفهمها، فتتصنَّع أنها لم تلحظ ذلك، لكنْ حين أستمر في التحديق إليها أجدها تستجيب.

- حسنًا، سأذهب لكي أعتني بالـ.. زهور.

تمضي بعيدًا، وتمنحنا بعض الخصوصية.

أوجِّه انتباهي مرة أخرى للغداء الذي أحضره أطلس.

- شكرًا لك، ماذا بداخله؟

- طبقنا الخاص لعطلة نهاية الأسبوع، نُطلق عليه مكرونة الـ *لماذا تتجنَّبينني*.

https://t.me/fantazynov

أضحك. ثم أستسلم:

- أنا لا أتجنَّب...

ثم أهز رأسي فيما أُطلِق زفرة سريعة لعِلمي بأنني لا أستطيع الكذب عليه.

- نعم إني أتجنَّبك.

أتكئ بمرفقيَّ على سطح الكوانتر وأخبئ وجهي بكلتا يديَّ:

- أنا آسفة.

يبدو أطلس هادئًا، لذا أرفع إليه نظري بالتدريج. يبدو صادقًا أيضًا حين يقول:

- هل ترغبين في مغادرتي؟

أهز رأسي علامةَ الرفض، وحالما أفعل ذلك تتجعَّد زاويتا عينيه قليلًا في شبه ابتسامة تتسبب في سريان دفءٍ مفاجئ داخل صدري.

لقد تكلمتُ كثيرًا جدًّا حين اصطدمتُ به صباح أمس، أما الآن فأنا مرتبكة لدرجة لا أجد معها الكلمات. لا أعلم كيف يُنتظَر مني أن أخوض معه نقاشًا طويلًا حول ما دار في عقلي خلال الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، فيما أشعر بلساني مُقيَّدًا على هذا النحو.

كان له نفس التأثير عليَّ حين كنتُ أصغر سنًّا، غير أني كنتُ أكثر سذاجةً آنذاك، لم أكن أعرف أن الرجال من نوعية أطلس نادرون بالفعل، لذا لم أدرك كم أنا سعيدة الحظ بوجوده في حياتي.

الآن أُدرك ذلك، ولهذا أشعر بالرعب من احتمالية أن أُفسِد الأمر ثانيةً هذه المرة، أو بالأحرى أن يُفسده *رايل*.

https://t.me/fantazynov

أرفع وعاء المكرونة الذي جلبه معه وأقول:

- رائحتها شهية جدًّا.

- إنها شهية *بالفعل*. طبختُها بنفْسي.

يُفترَض أن أضحك على هذا التعليق، أو على الأقل أبتسم، غير أن رد فعلي لا يتناسب مع طبيعة الحوار. أضع الوعاء جانبًا، وحين أنظر ناحيته من جديد يرى الحرب الدائرة في التعبير المرسوم في ملامحي. يُجيب بنظرة مُطَمْئِنَة. لا نتبادل الكثير من الكلام، لكنْ يكفي ما نتبادله من إشارات غير منطوقة. تعتذر إليه عيناي عن هذا الصمت الذي طال خلال الأربعة والعشرين ساعة الماضية، فيقول في صمتٍ لا بأس عليكِ، ويتساءل كلانا عما سيكون في قابِل الأيام.

يحرك أطلس يده ببطء فوق سطح الكاونتر، قريبًا من يدي، يرفع سبَّابته ويتحسس خنصري؛ إنها أبسط وأوهن حركة على الإطلاق، وبرغم ذلك تجعل قلبي يخفق بشدة.

يسحب يده ويُعيدها لمكانها الأول، ويضُمُّ قبضته كأنما انتابَه نفس الشعور. يتنحنح قبل أن يشرع في الكلام، يقول:

- هل تسمحين لي بأن أتَّصل بكِ الليلة؟

أوشك أن أومئ برأسي إجابةً لسؤاله، في نفس اللحظة التي تُفاجئنا فيها أليسا وتندفع عبر الباب الخلفي بعينين مبحلقتين. تميل نحوي وتهمس لي:

- رايل على وشك الوصول.

يتجمَّد دمي في عروقي فأقول:

https://t.me/fantazynov

- ماذا؟!

دون أن أقصد أن تُعيد عليَّ أليسا ما قالتْه، بل تعبيرًا عن صدمتي فحسب، غير أنها تُعيد مَقولتها على أي حال:

- رايل في طريقه إلى هنا، أخبرني بذلك في رسالته.

تشير بيدها نحو أُطلس وتكمل قائلةً:

- أمامكِ عشر ثوانٍ لتُخفيه من هنا!

أثق في قُدرة أطلس على رؤية الفزع الشديد المرسوم في ملامحي وأنا أنظر إليه، غير أنه يقول بهدوء تام:

- أين تُريدينني أن أختبئ؟

أشير إلى غرفة مكتبي وأدفع به سريعًا في اتجاهها، وحالما نصبح في غرفة المكتب أعيد التفكير من جديد. قد يدخل إلى هنا.. أغطي فمي بيدٍ ترتعش فيما أفكر، ثم أشير إلى خزانة المستلزمات:

- هل يُمكنكَ الاختباء هنا؟

ينظر أطلس إلى الخزانة ثم يرمقني من جديد، يشير إليها قائلًا:

- في الخزانة؟!

أسمع طنين الباب الأمامي، فأُحفِّزه على المزيد من العجلة:

- أرجوك!

وأفتح له باب الخزانة. ليست بالمكان الأمثل لإخفاء شخص بالغ، لكنها خزانة واسعة تستوعبه بسهولة.

لا أستطيع النظر في عينيه وهو يعبر أمامي ويدلف داخل الخزانة، سأموت في مكاني الآن، أشعر بخِزيٍ لا حدَّ له، وكل ما أستطيعه هو أن أغمغم:

- أنا آسفة جدًّا.

وأغلق باب الخزانة وراءه.

أتماسك قَدْرَ ما أستطيع. حين أخرج من باب مكتبي أجد أليسا تثرثر مع رايل. يُحييني بإيماءة من رأسه، لكن انتباهه يبقى مع أليسا. تبحث في حقيبتها عن شيء ما. تقول:

- كانت هنا قبل قليل.

ينقر رايل بإصبعه في نفاد صبر.

أتساءل:

- ما الذي تبحثين عنه؟

- مفاتيح. أخذتُها معي بالخطأ، والآن مارشال يحتاج إلى السيارة الكبيرة حتى يُقِلَّ والديه من المطار.

يبدو رايل منزعجًا:

- هل أنتِ متأكدة من أنكِ لم تضعيها جانبًا في مكان ما حين أخبرتكِ بأني قادم لأَخْذها؟

أدير رأسي وأركز وجهي على أليسا:

- هل كنتِ تعلمين بمجيئه؟

كيف نَسِيَتْ أن تخبرني بأن رايل في الطريق إلينا حين وصل أطلس؟

https://t.me/fantazynov

تحمرُّ وجنتاها قليلًا:

- انشغلتُ بـ.. أحداث غير متوقعة.

ثم ترفع يدها في انتصار:

- وجدتها!

تضع المفاتيح في راحة رايل:

- حسنًا، يمكنكَ الآن أن تذهب إليه، الوداع.

يتحرك رايل كأنما يتأهب للرحيل، لكنه يعود فيستدير ويتنشَّق الهواء:

- ما الذي تنبعث منه هذه الرائحة المثيرة؟

تلتقي عيناه مع عيني أليسا عند وعاء الطعام في نفس الوقت. تسحب أليسا الوعاء وتحتضنه قائلةً:

- أعددتُ الغداء لي أنا ولِيلِي.

يرتفع حاجب رايل في ذهول:

- *أنتِ* طبختِ هذا؟!

يمدُّ يده إلى الوعاء ويكمل قائلًا:

- لا بد أن أراه، ماذا بداخله؟

تتردد أليسا قبل أن تناوله الوعاء:

- بالطبع، إنه دجاج الـ.. بارابا دولا.. باللحم..

ثم تنظر نحوي بعينين مبرقتين. *إنها فاشلة تمامًا في افتعال الأكاذيب.*

- دجاج الـ.. ماذا؟

يفتح رايل الوعاء ويتفقَّد محتواه:

- يبدو أشبه بالمكرونة بالجمبري.

تتنحنح أليسا لتُجلي حَلْقها، وتقول:

- بالفعل، لقد طبختُ الجمبري في.. شوربة الدجاج، لذلك يُسمَّى دجاج الباربا دولا باللحم.

يُعيد رايل الغطاء وينظر نحوي في عدم ارتياح، ويدفع بالوعاء عبر الكاونتر لمكانه الأول أمام أليسا، ثم يقول:

- لو كنت مكانكِ لطلبتُ بيتزا.

أتصنَّع الضحك، وكذلك تفعل أليسا، فيبدو رد فعلنا قسريًّا ومفتعلًا جدًّا على هذه النكتة غير المضحكة من الأساس.

يظهر الضيق في ملامح رايل، يتراجع خطوتين إلى الخلف وينظر إلينا نظرة مِلؤها الشك. لا بد أنه يُدرك جيدًا ما بيني وبين أليسا من فكاهات سرية لا يفهمها سوانا ولا يكون هو جزءًا منها، ولذلك لا يُقدِم على السؤال عما يُضحكنا. يستدير فقط ويغادر سريعًا محل الزهور كي يُسرع بتوصيل المفاتيح إلى مارشال. فيما نقف أنا وأليسا في ثبات التماثيل، حتى نتأكَّد من مغادرته المبنى وابتعاده عن مرمى السَّمْع. هنالك أنظر نحوها بارتياب.

- دجاج الباربا.. *ماذا*؟! هل قُمتِ لتوّكِ باختراع لغة جديدة من الصفر؟

- لم يكن هناك بدٌّ من قول أي شيء.

https://t.me/fantazynov

هكذا تقول دفاعًا عن نفسها، ثم تُكمل قائلةً:

- أما أنتِ فوقفتِ هناك مثل كتلة جَماد! وعفوًا، لا داعي للشكر.

أنتظر دقيقتين حتى أتأكَّد أن رايل كان لديه الوقت الكافي لمغادرة المكان، أخرج وأقف أمام المحل حتى أستوثق من عدم وجود سيارته، ثم أخطو لداخل حجرة مكتبي بشعور ثقيل بتأنيب الضمير، وأتوجَّه رأسًا إلى خزانة المستلزمات لأُخبر أطلس بزوال الخطر. آخذ نَفَسًا عميقًا قبل أن أفتح باب الخزانة.

ينتظر أطلس في صبر وهدوء، معقود الذراعين متكئًا على أحد الرفوف، كأن الاختباء داخل الخزانات شيء لا يُسبب له أقل إزعاج.

- أنا آسفة بشدة!

لا أعرف كم عدد الاعتذارات التي سيكون عليَّ تقديمها حتى أُبدي الأسف اللائق عما فعلتُه بأطلس، لكني مستعدة لتقديم ألف اعتذار آخر لو تطلَّب الأمر.

- هل غادر المحل؟

أهز رأسي، وبدلًا من أن يخرج من الخزانة يتناول أطلس يدي ويسحبني داخلها ويُغلق الباب.

كلانا الآن بداخل الخزانة.

الخزانة المظلمة، لكن ليس لدرجة أن تمنعني من رؤية التِماعة عينيه التي تكشف عن ابتسامة يُحاول السيطرة عليها. *ربما لا يكرهني تمامًا بعد ما فعلتُه به.*

يحرر يدي. المكان مكدَّس تمامًا ولا يتسع لوقوفنا معًا، جسده يرعى أجزاءً من جسدي لضيق المكان، تتقلَّص معدتي فأضغط ظهري على رفوف الخزانة كي لا أنضغط في جسد أطلس، مع ذلك أشعر كأنني أتلحَّف به كبطانية دافئة. إنه قريب جدًّا، أستطيع شَمَّ رائحة الشامبو الذي تحمَّم به في الصباح. أظل أُحاول التنفُّس بهدوء شديد برغم ذوبان أعصابي.

يسألني بنبرةٍ أقرب إلى الهمس:

- حسنًا، هل تسمحين لي؟

ليس لديَّ أدنى فكرة عما يطلب السماح به، مع ذلك أريد أن أُجيبه بـ «نعم» قاطعة، لكنْ بدلًا من أن أتفوَّه بموافقةٍ على طلبٍ لا أعلم كُنْهَه، أعُدُّ في صمتٍ من واحد إلى ثلاثة، ثم أقول:

- هل أسمح بماذا؟

- بأن أتصل بكِ الليلة.

أوه! لقد قفز عائدًا إلى نفس السؤال الذي توقفنا عنده، كأن شيئًا لم يقطع علينا حديثنا. أعضُّ على شفتي السفلى وأظل صامتة، أودُّ لو أقول له *نعم* لأني أريد أن يتصل بي، غير أنني أريد أن يعرف أطلس أن إخفاءه داخل الخزانة بسبب وجود رايل مؤشر لما ستمضي عليه الأمور فيما بعد، فدائمًا ما سيظل رايل في الصورة باعتباره أبًا يُشاركني طفلتي.

- أطلس..

https://t.me/fantazynov

أنطق اسمه بطريقة توحي بأن شيئًا فظيعًا سيعقبه، لكنه يُقاطعني قائلًا:

- لِيلِي..

ينطق اسمي بابتسامة مطْمَئنَّة، تؤكد استحالة أن يكون فظيعًا ما سأضيف بعد اسمه.

- إن حياتي معقَّدة.

لا أتعمَّد أن تبدو العبارة أشبه بالتحذير، لكنها كذلك بالفعل.

- أرغب في مساعدتكِ على تخليصها من التعقيدات.

- أخشى أن يتسبب وجودك في تعقيدها بدرجة أشد.

يرفع حاجبه قائلًا:

- هل سأزيد من تعقيد حياتكِ *أنتِ*، أم حياة *رايل*؟

- تعقيداته تصير تعقيداتي *أيضًا*، طالما هو والد ابنتي.

يخفض رايل رأسه قليلًا ويقول:

- بالضبط. إنه والدها، لكنه ليس زوجكِ، لذلك عليكِ ألا تسمحي لخوفكِ على مشاعره أن يُقنعكِ بالتنازل عما قد يكون ثاني أفضل شيء يحدث في حياتكِ.

يقول ذلك بقناعة تجعل قلبي يسقط في قفصي الصدري مثل أقراص البلينكو[1] . *ثاني أفضل شيء يمكن أن يحدث في حياتي؟* كم أتمنى لو كانت ثقته في علاقتنا مُعدِية.

---

(1) أقراص دائرية تُستخدم في لُعبة البلينكو في نوادي القمار، مصممة بحيث يصعب التكهن باتجاهها عن التصادم.

- وما هو *أفضل* شيء يمكن أن يحدث في حياتي، قبل أن نصل إلى الثاني؟

يُركز عليَّ نظرته ويقول:

- إيميرسون بالطبع.

إن سماعه يَذكُر ابنتي كأفضل شيء يحدث لي في حياتي يجعلني أكاد أذوب. أجدني أضمُّ نفسي

وأُمسك بابتسامة تكاد تُفلت مني، وأقول:

- يبدو أنك ستجعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة لي، ألا تتفق؟

يهزُّ أطلس رأسه ببطء، ثم يقول:

- الأكثر صعوبة هو آخر ما أتمناه لكِ يا لِيلِي.

يتحرَّك خارجًا فيُفتَح الباب ويدخل القليل من الضوء لداخل الخزانة. يواجهني ويده تمسك بالباب والأخرى مسنودة على الحائط:

- متى يكون الوقت مناسبًا للاتصال بكِ الليلة؟

يبدو مرتاحًا تمامًا أثناء النقاش، ما يجعلني أرغب في جذبه نحوي لداخل الخزانة وتقبيله طويلًا حتى يتسرَّب إليّ بعضٌ من ثقته وصبره.

أشعر بفمي جافًّا مثل قطعة قُطن، بينما أقول:

- في أي وقت.

تستقر عيناه على شفتيَّ لبُرهة، فأشعر بالنظرة تسري حتى أخمص قدميَّ. عندها يُغلق أطلس الباب ويحبسني وحدي داخل الخزانة.

أستحقُّ ذلك حقيقةً.

تحمرُّ وجنتاي بمزيجٍ من الخجل والتوتر وربما القليل من الرغبة أيضًا. أبقى هناك بلا حِراكٍ حتى أسمع الطنين الخافت حين يُفتَح الباب الأمامي.

أُهوِّي على وجهي، وبعد لحظات أليسا تفتح باب الخزانة. أخفض يديَّ سريعًا وأضعها حول خصري لأخفي ما يفعله بي حضور أطلس.

تشبك أليسا ذراعيها حول صدرها وتسألني:

- خبأتِه في الخزانة؟!

تسقط كتفاي خجلًا من تعليقها وأقول:

- أعرف..

- لِيلِي..

يبدو من نبرتها إحباطها فيَّ، لكن ماذا كانت تنتظر مني؟ أن أُعيد تقديم كل منهما إلى الآخر؟

- أعني.. من الجيد أنكِ تصرَّفتِ على هذا النحو، فلستُ متأكدة مما كان سينتج عن وجودهما معًا في نفس المكان، لكن.. لقد أخفيتِه داخل *الخزانة*! حشرتِه بداخلها كأنه معطف قديم!

إعادتها وصف الموقف لن تُساعدني أبدًا على تجاوُزه. أتحرك في اتجاه الجزء الأمامي من المحل وأليسا تتعقَّبني.

- لم يكن أمامي خيار آخر. أطلس هو الشخص الوحيد فوق الكرة الأرضية الذي لن يقبل رايل بأن يكون بيننا مواعيد غرامية.

- أكره أن أصارحكِ بهذا، لكن ثمة شخصًا وحيدًا على هذه الكرة الأرضية سيوافق رايل على ذهابكِ للقائه في مواعيد غرامية، هذا الشخص هو رايل نفسه.

لا أتجاوب مع كلامها لشدة خوفي من أن تكون على حق.

تُكمل أليسا:

- انتظري.. هل *تتواعدين* أنتِ وأطلس؟!

- لا!

- لكنكِ قُلتِ للتو أنه الشخص الوحيد الذي لن يقبل رايل أن تُواعِديه.

- قلتُ ذلك لأن رايل لو كان رآه هنا لكان ظَنَّه قد ذهب به لهذا الاستنتاج.

تُشبِّك أليسا ذراعيها فوق سطح الكاونتر في كآبة وتقول:

- أشعر بوحدة شديدة الآن. ثمَّة فجوة هائلة عليكِ أن تملئيها بداخلي.

- فجوة؟ ماذا تعنين؟

أحاول أن أبدو مشغولة بوضع مزهرية أمامي وإعادة تنسيق الزهور بداخلها. تجذب أليسا المزهرية من يدي، وتقول:

- لقد أحضر لكِ الغداء. ما الذي سيجعله يُحضر لكِ الغداء إلا لو كنتما تتحدَّثان بالفعل؟ ولو كنتما تتحدَّثان بالفعل، فلماذا لا تُخبرينني *أنا* بهذه التطورات؟!

أستعيد منها المزهرية وأقول:

https://t.me/fantazynov

- التقينا عن طريق الصدفة صباح أمس. لم يحدث أي شيء، حتى إنني لم أتحدَّث إليه منذ قبل ولادة إيمي.

تمسك أليسا بالمزهرية من جديد وتقول:

- أصادف أصدقاء قدامى كل يوم، لكن أيًّا منهم لا يأتيني بالغداء.

وتُعيد إليَّ المزهرية ثانيةً كأنها قوقعة بحرية نحتاج للإمساك بها حتى يُسمَح لنا بالكلام.

- ربما لا يُحسن أصدقاؤكِ الطبخ، لكنْ هذا ما يفعله الطباخون المحترفون.. يطبخون للناس طعام الغداء.

أُحرِّك المزهرية في اتجاهها، لكنها تبقى صامتة. يبدو عليها التركيز الشديد كأنها تُحاول قراءة أفكاري وتخطِّي جميع الأكاذيب التي تتصوَّر أنني أُحوكها حول القصة. أسحب منها المزهرية وأقول:

- أقولها لكِ بكل أمانة، لم يحدث أي شيء *بعد*.. ستكونين أولَ مَن يعرف بالأمر لو حدث أي جديد.

للحظةٍ تبدو راضية عن هذه النتيجة، غير أن وجهها يختلج بتعبير لا أفهمه قبل أن تُحوِّله عني. لا يمكنني التحديد إن كان قلقًا عليَّ أو حزنًا بسببي. لا أسألها التفسير، لأنني أعرف مدى صعوبة ذلك عليها. يبدو أنَّ فكرة أن يأتيني رجلٌ بالغداء، *أي رجل* غير رايل، تُسبب لها بعض الحزن.

في تصوُّر أليسا عن العالم المثالي، سيكون لديها أخ لا يتسبب أبدًا في إيذائي، وسأبقى دومًا زوجة هذا الأخ.

الفصل السابع

أطلس

- حين تُقطّع سمك الفلاوندر، عليك أن تمسِك السكين بهذه الطريقة.

أُرِي ثيو كيف يبدأ من ناحية الذيل، غير أنه يدير بصره بعيدًا حالما أبدأ في تقشير السمكة.

يتمتم وهو يُغطي فاه قائلًا:

- هذا مُقرف.

ثم يُكمل:

- لا أستطيع.

وينتقل إلى الناحية المقابلة من الكاونتر واضعًا حدًّا قاطعًا بينه وبين درس الطهي.

- أقوم الآن بتقشيرها فقط، لم أبدأ بعْد ذلك في فتح بطنها.

ينخنق صوت ثيو وهو يقول:

- ليس لديَّ أي رغبة في تعلم مهنة الطبخ. أفضِّل أن أستمر في العمل معك كمعالج خاص.

يرتمي ثيو بجسده على الكاونتر ويُكمل قائلًا:

https://t.me/fantazynov

- بالمناسبة، هل قُمت بمراسلة لِيلِي؟
- نعم، فعلت.
- وهل ردَّت عليك؟
- نوعًا ما. كانت رسالة قصيرة، لذلك قررتُ اليوم أن أذهب إليها بطعام الغداء لأرى ماذا تنوي أن تفعل معي.
- هذه حركة جريئة منك.
- لقد عشتُ حياتي دون أن أقوم بحركات جريئة مع لِيلِي. لذلك حرصتُ اليوم على أن أُظهر لها موقفي بكل وضوح.
- يا إلهي.. ألا تُذكِّرني بتلك المقولة الرخيصة التي قلتها لها عن الأسماك والشُّطآن وما إلى ذلك؟

كان عليَّ ألا أخبره بما قُلته لِلِيلِي عن بلوغي الشاطئ أخيرًا وبعد طول ترحال. لن أتحمَّل سماع تُرَّهاته إلى النهاية. أقول:

- اصمتْ. أنت في الغالب لم تتحدَّث لأي فتاة من قبل؛ لستَ إلا في الثانية عشرة.

يضحك ثيو، غير أني أُلاحظ بعد قليل نظرة الارتباك التي تستقر فوق وجهه، وذلك حين يتصوَّر أنني لم أعُد أنظر نحوه. يتملَّكه الصمت برغم الصَخب الدائر حولنا. الآن يتواجد في المطبخ خمسة أشخاص غيرنا، لكن الجميع منكب على عمله وليس ثمة مَن يسترق السمع إلى الحوار الدائر بيني وبين ثيو. أسأله:

- هل أنت مُعجَب بأحد؟

يهز كتفيه بلا مبالاة، ويقول:

- نوعًا ما.

غالبًا ما يمضي نقاشي مع ثيو في اتجاه واحد، فبقدر ما يهوى هو طَرْحَ الأسئلة عليَّ، لا يُجاوب على الكثير منها، لذلك أخطو بحرصٍ فأقول:

- أوه، فعلًا؟

أحاول أن أبدو غير مبالٍ في ردودي حتى أفتح له باب الاستطراد في الحديث، أقول:

- مَن التي أُعجبتَ بها؟

يبقى ثيو مُطأطئًا رأسه مُثبت النظر على يدَيه، مُتفرّسًا في ظفر إبهامه، غير أني ألاحظ هبوط كتفيه قليلًا بعد سماع سؤالي، كأنما أخطأتُ التقدير أو التعبير، لذلك أخفض صوتي لدرجة الهمس حتى أضمن ألا يسمعني سواه، وأوضِّح قائلًا:

- لو أردتَ أن تُخبرني عن الشخص فإني مُصغٍ إليك.

يحدجني ثيو بنظرةٍ مباغتة.

لا يحتاج لأن يُوضِّح أي شيء، أستطيع أن أقرأ الحقيقة في الرهبة الماثلة خلف عينيه. أصبُّ انتباهي من جديد على السمك الذي أقوم بتحضيره، وبقلة اكتراث قدر المستطاع أقول:

- هل تذهبان معًا لنفس المدرسة؟

فلا يجيب سؤالي بشكل مباشر. لستُ أعرف إن كنتُ أولَ شخص يقترب من هذه المساحة من حياته، لذلك أتعمد معالجة الأمر بالحرص الذي يستحقه. أريده أن يعرف أنه سيجدني حليفًا له في

https://t.me/fantazynov

جميع الأوقات. آمل أن يُدرك أيضًا أنه سيجد في أبيه حليفًا لا يقل ضراوةً وإخلاصًا.

يستطلع ثيو الموجودين من حوله حتى يتأكد من أن أحدًا لا يحوم حولنا أطول من اللازم كي يتنصت على الحديث.

- حضرنا معًا نشاط الرياضيات طوال العام الماضي.

يُلقي الكلام بعُجالة وباختصار واضح، كأنما يرغب في التخلص منه وعدم التفوُّه به ثانيةً وإلى الأبد.

- هل يعلم والدك بالأمر؟

يهزُّ ثيو رأسه نافيًا معرفة أبيه. أستطيع أن أراه يزدرد ريقه كأنما يبتلع معه أفكاره المؤرِّقة.

أضع السكين حين أنتهي من تقشير السمك وأنتقل إلى حوض الغسيل قريبًا من ثيو حتى أغسل يديّ.

- أعرف أباك منذ زمن بعيد وأعتبره أقرب أصدقائي، وليس هذا من قبيل الصدفة يا ثيو، بل لسبب واضح هو أني لا أحيط نفسي إلا بالأشخاص الجيدين.

أستطيع أن أرى الاطمئنان يعود إليه عند سماع ما أقوله له، وبرغم ذلك أرى أنه غير مرتاح للحديث ويرغب في تغيير الموضوع.

- أرى أن تُرسل رسالةً تُفصح فيها عن مشاعرك. لكن وأنت الشخص الوحيد في سن الثانية عشرة ولا يملك هاتفًا محمولًا، فكيف تستطيع أن تُواعِد أي أحد؟ الأغلب أنك ستبقى وحيدًا وبلا هاتف إلى الأبد.

يزول توتُّره قليلًا حين أبادر بالسخرية منه، يقول:

- أنا سعيد بقرارك أن تصبح طاهيًا لا مُعالِجًا نفسيًّا، فأنت سيئ جدًّا في إسداء النصائح.

- إنك تظلمني بهذا الحُكم، فأنا ناصح جيد للغاية.

- حسنًا يا أطلس، قُل ما يحلو لك.

تبدو الراحة عليه الآن. يتبعني فيما أعود إلى موضعي الأول، ويسألني:

- هل عرضتَ على لِيلِي الخروج معك حين ذهبتَ إليها في مكان عملها؟

- لا ليس بَعْد، سأعرض عليها الليلة. سأتصل بها حين أعود إلى المنزل.

أمشي بجوار ثيو وأنكش شعره في طريقي إلى الثلاجة.

- توقَّف أطلس.

أتوقف. عيناه تبوحان بالقلق، غير أن أحد النُّدُل يدلف عبر الباب ويقترب حتى يقف بيننا ويُسكِت ثيو عما كان على وشك أن يقوله، دون أن يكون بحاجة لأن يقوله في الحقيقة.

- لن أنبس بكلمة يا ثيو، سرية العميل تسري في الاتجاهين.

يبدو أن عبارتي تُطمئنه، يقول:

- جيد، لأنك لو تحدثتَ بشيء مع أبي سأخبره عن المقولات الرخيصة التي تختارها.

يضغط ثيو وجنتَيه في حركة ساخرة، ويقول:

https://t.me/fantazynov

- أخيرًا وصلنا للشاطئ يا سمكتي الصغيرة.

أحدق فيه باستياء قائلًا:

- لم تَجْرِ العبارة بهذه الصياغة على الإطلاق!

يُشير ثيو عبر المطبخ ويقول:

- انظري! ها هو الرمل يظهر، لقد وصلنا أوَّلَ البر!

- كفى!

- لِيلِي، تُرى ماذا أصابنا؟ لقد تحطَّم مركبنا!

ويستمر في مُلاحقتي عبر جنَبات المطبخ ساخرًا مني حتى نهاية ورديَّة أبيه، فما وجدتُ سعادةً بمغادرته مثل اليوم.

الفصل الثامن

لِيلي

إنها قُرابة التاسعة والنصف مساء وليس لديَّ أية مكالمات فائتة. إيميرسون نائمة منذ ساعة ونصف، وعادةً ما تستيقظ في السادسة صباحًا، لذا أدخل إلى السرير في حوالي العاشرة مساءً لأنني لو لم أحصل على ثماني ساعات من النوم على الأقل تصبح طاقتي على العمل أقرب إلى الزومبي. لكنْ إن لم يتصل أطلس قبل العاشرة، فلستُ أدري إن كنتُ سأستطيع النوم من الأساس، وسأظل أفكر ما إذا كان لزامًا عليَّ أن أعتذر سبعين مرة أخرى على إخفائه داخل الخزانة اليوم.

أنشد حوض الحمام حتى أبدأ روتيني اليومي للعناية بالبشرة، وآخذ هاتفي معي إلى الحمام. لقد حملتُ الهاتف معي لكل مكان منذ فاجأني أطلس بالظهور وقت الغداء وقال إنه سيتصل بي في المساء. كان عليَّ أن أستوضح ما الذي يقصده بالمساء.

بالنسبة لأطلس، ربما يعني المساء الحادية عشرة ليلًا.

أما بالنسبة لي فإنه يعني الثامنة.

https://t.me/fantazynov

الأغلب أن لدينا تعريفين مختلفين تمامًا لما يعنيه الليل والنهار. هو طاهٍ ناجح يعود لمنزله بعد منتصف الليل، بينما أرتدي أنا البيجاما في السابعة مساءً على أقصى تقدير.

يُصدر الهاتف أزيزًا مختلفًا عن رنينه المعتاد، كأن أحدًا يتصل بي عبر «فيستايم».

أرجو ألا يكون أطلس!

لستُ مستعدة لمحادثةٍ عبر الفيديو؛ للتو وضعتُ كريم تقشير الوجه. أنظر إلى شاشة الهاتف وأتأكد تمامًا؛ إنه أطلس.

أردُّ وأقْلِب الهاتف سريعًا كي لا يستطيع رؤيتي. أضعه على سطح الحوض وأسارع في تنظيف الكريم. أقول:

- لقد سألتني إن كان مناسبًا أن *تتصل* بي، ولم تأتِ سيرة محادثات الفيديو.

أسمعه يضحك، ثم يقول:

- لا أستطيع أن أراكِ.

- صحيح، ذلك لأنني أغسل وجهي وأتجهَّز لدخول السرير، فلا تحتاج لأن تراني.

- بل أحتاج يا لِيلِي.

صوته يثير قشعريرتي. أقْلِب الهاتف وأُمسك به وأرسم على وجهي تعبير *ألم أقُل لك*.. لا يزال شعري المبتل ملفوفًا بالفوطة، وأرتدي قميص نوم لا بد وأن تكوني جدَّتي قد امتلكت مثله، كما لا يزال وجهي مغطًى بالرغوة الخضراء.

ابتسامته نَدِيَّة وجذَّابة. يجلس معتدلًا في السرير، مرتديًا تيشيرت أبيض اللون، مُتَّكِئًا على مسند خشبي داكن. في المرة الوحيدة التي ذهبتُ فيها لمنزله لم أدخل غرفة نومه؛ حوائطها زرقاء، في لون الجينز الداكن. يقول:

- حتمًا كان الأمر يستحق محادثة فيديو.

أضع هاتفي من جديد، موجهًا نحوي هذه المرة، وأُكمل غسيل وجهي.

- شكرًا على الغداء الذي أحضرته اليوم.

لا أريد المبالغة في المديح، لكنها بالفعل أفضل مكرونة أكلتها في حياتي، برغم بقائها بجواري لساعتين كاملتين قبل أن أحصل على راحة الغداء وآكلها.

- أعجبتكِ مكرونة الـ *لماذا تتجنَّبينني*؟

- أنت تعرف جيدًا أنها رائعة.

أتمشى إلى السرير حالما أنتهي من الحمام. أسند إلى المخدة وأرقد على جانبي.

- كيف كان يومك؟

- كان جيدًا.

لا يبدو لي مقنعًا كثيرًا ونبرته تنخفض عند كلمة *جيد*.

أرسم تعبيرًا على وجهي يُخبر بأني لا أصدِّقه.

يُشيح بوجهه بعيدًا عن الشاشة لبرهة قصيرة، كأنه يتأمل فكرةً ما، ويقول:

https://t.me/fantazynov

- إنه أحد هذه الأسابيع الثقيلة يا لِيلِي. لكن الحال أفضل الآن.

يتشكل فمه على هيئة ابتسامة طفيفة، تجعلني أبتسم أنا أيضًا.

أشعر بأنه ليس ضروريًّا أن أستمر في محادثته، فمجرد التحديق في وجهه في صمتٍ تام لمدة ساعة سيجعلني سعيدة.

- ما اسم مطعمك الجديد؟

أعرف مُقدَّمًا أن المطعم يحمل اسم عائلته، لكني أخفي عنه حقيقة أني قمتُ بالبحثْ عنه في محرك جوجل.

- كوريجانز.

https://t.me/fantazynov

- هل يُقدِّم نفس قائمة الطعام في «بيبز»؟

- نوعًا ما؛ قائمة طعام فاخرة، لكنْ هنا مستوحاة من المطبخ الإيطالي.

يستدير على جانبه ساندًا الهاتف على شيء ما كأنما يُحاكي وضعي بالتحديد، ما يُعيد لي ذكرى الأوقات السالفة حين كنا نبقى مستيقظَين لنُثرثر معًا في السرير حتى وقت متأخر.

- لا أرغب في الحديث عن نفسي.. ماذا عنكِ أنت، كيف حالكِ؟ وكيف حال سوق الزهور؟ وابنتكِ، ما أخبارها؟

- هذه أسئلة كثيرة للغاية.

- لديَّ المزيد منها، لكن دعينا نبدأ بهذه.

- حسنًا، في الحقيقة.. أنا بخير، مرهقة جدًّا أكثر الوقت، لكن أظن أن هذا ما يتطلَّبه الأمر حتى أكون صاحبةَ عملٍ خاص، وأمًّا عازبة.

https://t.me/fantazynov

- لا تبدين مرهقة على الإطلاق.

أضحك..

- مجاملة رقيقة.

- متى تُكمل إيميرسون عامها الأول؟

- في الحادي عشر من الشهر. أكاد أبكي؛ مرَّ هذا العام الأول بسرعة رهيبة!

- لا يمكن تصديق مدى التشابه بينها وبينكِ.

- أترى ذلك؟

يومئ موافقًا ويقول:

- ماذا عن محل الزهور، هل الأمور بخير؟ هل أنتِ سعيدة هناك؟

أحرك رأسي يمينًا ويسارًا وأرسم تعبيرًا خاصًّا على وجهي وأقول:

- بخير.

- فقط بخير، لماذا؟

- لا أعلم، أظن أني تعبتُ منه، أو تعبتُ في العموم. إنه عمل مُضنٍ وكثير للغاية بالنسبة إلى العائد الذي أتحصَّل عليه منه. أقصد.. إني أشعر بالفخر لكونه ناجحًا وأني حققتُ هذا النجاح، غير أني أحلم أحيانًا بالعمل على خطِّ إنتاج لتجميع أي شيء.

- أفهمكِ تمامًا، فكرة أن يكون لديكِ رفاهية العودة إلى البيت دون الحاجة للتفكير في أي شيء يخص العمل، مغرية للغاية.

- هل تملُّ أحيانًا من عملك في الطهي؟

- يحدث بين الحين والآخر، وهذا ما جعلني أفتتح كوريجانز لو أردتِ الحقيقة، فقد قررتُ أن أمارس دورَ المالك أكثر من دور الطاهي. لا أزال أطهو في بعض أيام الأسبوع، لكن أكثر وقتي أكرِّسه الآن في إدارة المطعمين.

- هل تعمل لعدد لا عقلاني من الساعات؟

- هذا صحيح، لكنْ ليس هناك ما لا أستطيع تعويضه لأجل موعد غرامي.

هذا التعليق يجعلني أضحك. أتململ تحت لحاف السرير وأتجنب النظر في عينيه لشعوري باحمرار خدَّيَّ خجلًا.

- هل تطلب مني موعدًا غراميًّا؟

- نعم، وهل تقولين أوافق؟

- أستطيع أن أخلي ليلةً من التزامات العمل.

كلانا الآن يبتسم. لكن سرعان ما يتنحنح أطلس حتى يجلو حنجرته كأنما يستعد لإلقاء تنبيه ما، ويقول:

- هل أستطيع أن أطرح سؤالًا صعبًا؟

أحاول أن أُداري ارتباكي بسبب السؤال التالي وأقول:

- نعم تستطيع.

- ذكرتِ مبكرًا اليوم أن حياتكِ معقدة. ماذا لو صرنا.. *معًا*.. شيئًا أكبر مما نحن عليه الآن، هل سيمثل ذلك إزعاجًا بالنسبة لرايل؟

لا أتردد وأنا أقول:

https://t.me/fantazynov

- نعم بالفعل.
- لكن لماذا؟
- لأنك لا تروق له.
- أنا بالتحديد أم أي شخص يرغب في مواعدتك؟

أضغط أنفي لأعلى وأقول:

- أنت. أنت بالتحديد.
- بسبب المشاجرة في مطعمي؟
- بسبب العديد من الأشياء.

هكذا أعترف له، وأستدير لكي أستلقي على ظهري وأرفع الهاتف أمامي وأكمل قائلةً:

- إنه يعزو أكثر خلافاتنا إليك أنت.

تبدو الحيرة بوضوح على وجه أطلس، لهذا أستطرد دون أن أعقِّد الأمر لدرجة غير محتملة:

- أتذكر حين كنا صغارًا وكنتُ أكتب يومياتي؟
- نعم أذكر، مع أنكِ لم تسمحي لي قط بأن أقرأ شيئًا منها.
- حسنًا، وجد رايل هذه اليوميات، وقرأها جميعًا، ولم يُعجَب على الإطلاق بما قرأه.

يتنهَّد أطلس، ويقول:

- لِيلِي، لقد كنا طفلين.
- الواضح أن الغيرة لا تنتهي صلاحيتها مع الوقت.

https://t.me/fantazynov

يُطبق أطلس شفتيه في خط رفيع لبرهة قصيرة، كأنما يحاول الضغط على إحباطه، ويقول:

- أكره حقيقةً أن تحملي هَمَّ رد فعله المحتمل على أشياء لم تحدُث بعد، لكني أتفهَّم الموقف المؤسف الذي تجدين نفسكِ فيه.

ثم ينظر إليَّ بطريقة مُطَمْئِنَة قائلًا:

- سنأخذها خطوة فخطوة، موافِقة؟

فأقترح عليه:

- خطوة *بطيئة* جدًّا، فخطوة.

- اتفقنا. خطوات بطيئة.

يُعدِّل أطلس من وضع المخدة تحت رأسه، ويقول:

- لطالما رأيتكِ تكتبين تلك اليوميات، وكنتُ أتساءل عمَّا تكتبينه عني، *لو* كنتِ تكتبين أي شيء عني.

- أغلب اليوميات كانت عنك.

- ألا تزالين تحتفظين بها؟

- نعم، داخل صندوق في خزانة ملابسي.

يعتدل أطلس جالسًا، ويقول:

- اقرئي عليَّ شيئًا منها.

- لا، بالله عليك لا.

- لِيلِي..

يبدو آمِلًا ومتحمسًا بشدة لهذه الاحتمالية، غير أنني لا أستطيع قراءة أفكار المراهقة جهرًا عليه عبر «فيستايم». أحمرُّ تمامًا لمجرد التفكير في الأمر.

- أتسمحين؟

أداري وجهي وراء يدي وأقول:

- لا، لا تتحايل عليَّ!

سأُذعن أمام هذه النظرة البريئة البلهاء من عينيه الزرقاوين، إذا لم يتوقف عن النظر إليَّ بتلك الطريقة. يدرك تمامًا أنه قريب من النِّيل مني، لذا يقول:

- لِيلِي، لطالما تحرَّقتُ منذ سنوات مراهقتي أن أعرف كيف ترينني. فقرة واحدة فقط. هذا كل ما أطلبه منكِ.

كيف أقول لا لطلبٍ كهذا؟ أتأوَّه في هزيمةٍ وألقي بالهاتف على السرير. أقول:

- أمهِلني دقيقتين.

أذهب إلى خزانة ملابسي وأُخرج الصندوق، أحمله إلى السرير وأشرع في تقليب صفحات اليوميات حتى أجد شيئًا مناسبًا لن يثير إحراجي بشدة.

- ماذا تريدني أن أقرأ عليك؟ ما دوَّنته عن أول قُبلة لنا؟

يقول مازحًا:

- لا، لقد اتفقنا أن نخطو خطوات بطيئة، ألا تتذكرين؟ ابدئي بشيء من بدايات تعارُفنا.

https://t.me/fantazynov

هذا أسهل بكثير. أتناول أول مُفكرة وأقلِّب في اليوميات المدوَّنة فيها حتى أعثر على شيء يبدو قصيرًا وغير مُخزٍ.

- هل تذكر الليلة التي جئتُكَ فيها باكيةً بسبب شجار والديَّ؟

- نعم أذكر.

يستقر على المخدة ويستند برأسه إلى ذراعه.

أقلب عينيَّ وأغمغم قائلةً:

- خذ راحتكَ أنت فيما أذلُّ نفسي لأجل خاطرك!

- لِيلِي، هذا *أنا*، ويبقى الكلام بيننا *نحن*، فليس ثمة ما يُخجلكِ.

لا يزال صوته يحمل ذاك التأثير المهدِّئ الذي طالما تميَّز به. أجلس متربِّعةً وأمسك الهاتف بيدٍ والمفكرة باليد الأخرى، وأبدأ في القراءة.

بعد ثوانٍ فتح الباب الأمامي، ونظر من خلفي، ثم عن شمالي وعن يميني. وحين نظر لوجهي أدرك أني أبكي.

- هل أنتِ بخير؟

سألني وهو يخطو إلى الخارج. مسحتُ دموعي في طرف التيشيرت الذي أرتديه، ولاحظتُ أنه خطا إلى الخارج عِوَضًا عن أن يدعوني إلى الداخل. قلتُ له:

- إني بخير، أنا غاضبة فقط، أبكي أحيانًا حين أكون غاضبة.

خطا نحوي وسوَّى شعري وراء أُذُني. شعرتُ بالرضا حين فعل ذلك وإذا بي لستُ غاضبة كما كنتُ قبل لحظات. عندها أحاطني بذراعه وجذبني ناحيته حتى أراح رأسي على كتفه. لا أدري كيف أعاد إليَّ

هدوئي دون أن ينطق بكلمة، لكن هذا ما فعله بالفعل. بعض الناس لديهم حضور يبعث الهدوء والسكينة، هو من هؤلاء، على العكس تمامًا من أبي.

جلسنا على هذه الهيئة لفترة، حتى رأيتُ غرفة نومي تُضاء.

- عليكِ أن تذهبي الآن.

كان باستطاعة كل منا أن يرى أمي وهي تبحث عني في غرفة نومي، وحتى هذه اللحظة لم أكن أدرك كم لديه من إطلالة مميزة هكذا على غرفة نومي.

وفيما أتمشى عائدةً إلى البيت، حاولتُ استرجاع الفترة التي قضاها أطلس في هذا المنزل، حاولتُ أن أتذكر إن كنتُ قد تمشَّيتُ في البيت بعد حلول الظلام ونور الغرفة مضاء، فكل ما أرتديه بداخل الغرفة في المعتاد أثناء الليل هو التيشيرت.

هذا هو الجانب المجنون من الأمر يا إيلين: كنتُ آمل بدرجةٍ ما أن أكون قد فعلتُ ذلك.

ليلي

لا يبتسم أطلس حين أنتهي من القراءة، بل يُحدِّق فيَّ بكل إحساسه، والثِّقَل البادي في عينيه يجعل صدري ضيقًا.

- كنا صغارًا جدًّا.

يقول ذلك بصوت متألِّم بدرجة ما.

- بالفعل، صغار جدًّا على التعامل مع المواقف التي اضطررنا لمواجهتها، أنت على وجه الخصوص.

https://t.me/fantazynov

لا يعود أطلس للنظر في هاتفه، يومئ برأسه موافِقًا على ما أقوله. لقد تغيَّر الحال الآن، وأستطيع الجزم بأنه يفكر في شيء بعيد تمامًا. يُعيدني الموقف لما ألمح إليه أطلس قبل قليل دون دخول في التفاصيل، حينما قال إنه *أحد تلك الأسابيع*. أقول له:

- ما الذي يُضايقك؟

يعاود النظر في هاتفه. يبدو كأنما سيتهرب مجددًا من سرد التفاصيل، غير أنه يُطلق تنهيدة ويعتدل في جلسته بحيث يستند باستقامة إلى ظهر السرير، قائلًا:

- تعرض المطعمان للاقتحام.

- الاثنان؟!

يومئ قائلًا:

- نعم، منذ أيام قليلة.

- هل تظنه أحد معارفك؟

- لستُ أشك في شخص محدد، والتسجيل الذي حصلتُ عليه من كاميرات المراقبة ليس واضحًا بما يكفي للتعرف على الجناة، حتى إنني لم أبلغ البوليس بعد.

- لماذا لم تُبلغ؟

يتقوَّس حاجباه وهو يقول:

- إنه صبي مراهق. أخشى أن يكون في موقف مشابه لما عانَيته أثناء مراهقتي من فقر شديد.

يتراجع التوتر البادي في عينيه وهو يقول:

https://t.me/fantazynov

- وكيف يكون الحال لو لم يكن لديه لِيلِي أخرى تنقذه من هذا البؤس؟

يستغرق عقلي عدة ثوانٍ حتى يقوم بتسجيل مقولته، وحتى حين تُسجَّل لا أبتسم إليه، بل أبتلع غصة رهيبة في حلْقي آملةً ألا يلاحظ انفعالي الداخلي. ليست المرة الأولى التي يذكر فيها أني أنقذته آنذاك، وفي كل مرة أشعر برغبة شديدة في معارضته. لم أنقذه قط. كل ما فعلته أني وقعتُ في غرامه.

الآن يمكنني أن أرى بوضوح *لماذا* وقعتُ في غرامه. أي صاحب أملاكٍ هذا الذي يهتم بحالة الشخص الذي اقتحم مِلكيته أكثر من اهتمامه بحجم الضرر الذي تسبب فيه؟ أهمس قائلةً:

- أطلس المتفهِّم.

فيقول:

- ماذا قلتِ؟

لم أقصد أن أقولها بصوت مسموع، أمسح بيدي السخونة التي تسري داخل عنقي وأقول:

- لا شيء.

يتنحنح أطلس ليجلو صوته ويميل إلى الأمام. تتشكَّل فوق شفتَيه ابتسامة خافتة وهو يقول:

- فلنعُد ليومياتكِ. إني أتساءل لو كنتِ تعرفين آنذاك أني أستطيع أن أرى غرفة نومكِ عبر نافذتي، لأنكِ منذ تلك الليلة صِرتِ تتركين النور مضاءً أكثر بكثير من ذي قبل.

أضحك، سعيدةً بمحاولته تخفيف الموقف، وأقول:

- لم تكن تملك تليفزيونًا، فأردتُ أن أمنحك شيئًا تشاهده.

يتنهد قائلًا:

- لِيلِي، يجب أن تتركيني أقرأ باقي اليوميات.

- لا!

- لقد حبستِني داخل الخزانة نهار اليوم، وسيكون السماح لي بقراءة يومياتكِ طريقةً مناسبة للاعتذار عما بدَرَ منكِ.

- ظننتُك لم تنزعج مما حدث أو تشعر بالاستياء.

قال وهو يهزُّ رأسه ببطء:

- قد يكون رد فعل متأخرًا بعض الشيء.. يبدو أني لم أشعر به إلا الآن؛ الحق أني مستاء للغاية!

أضحك على كلامه، وفي هذه الأثناء تبدأ إيمي في الصراخ عبر الردهة، أطلق زفرة لأني لا أرغب في إنهاء المكالمة، لكنني لستُ من نوع الأمهات اللاتي يتركن أطفالهن يبكون دون أن يتزحزحن من مكانهن.

- إيمي تستيقظ، يجب أن أذهب الآن، لكن عليك أن تعرف أنك مدين لي بموعد غرامي.

- حددي الموعد الآن.

- إجازتي أيام الأحد، لذا فإن مساء السبت مناسب لي.

- غدًا يوم سبت، لكننا نتحرك ببطء في هذه العلاقة.

- ربما معك حق. أعني.. لو بدأنا العدَّ منذ أول مرة التقينا فيه، لوجدنا أننا نمضي ببطء شديد فعلًا في هذه العلاقة، فكم من عام مضى حتى الآن بين أول لقاء بك وأول موعد غرامي.

- السادسة مساءً؟

أبتسم.

- السادسة توقيتِ مثالي.

حالما أقول ذلك يُقلص أطلس وجهه مُغمضًا عينيه لثوانٍ ويقول:

- انتظري! لن أستطيع مساء الغد. *اللعنة*، لدينا مناسبة في المطعم ويتوجب عليَّ أن أتواجد هناك. الأحد؟

- ستكون إيمي معي يوم الأحد، أفضِّل الانتظار بعض الوقت قبل اصطحابها للقائك.

- أتفهَّم ذلك. ماذا عن الأحد القادم؟

- هذا يمنحني الوقت الكافي لكي أرتِّب مع أحد ليهتم بها أثناء غيابي.

يتبسم أطلس، ويقول:

- اتفقنا.

وينهض واقفًا ويتمشَّى في أرجاء غرفته، ويكمل قائلًا:

- إجازتكِ أيام الآحاد، أليس كذلك؟ هل أستطيع أن أتصل بكِ الأحد القادم؟

- حين تقول: أتصل، هل تقصد محادثة فيديو؟ أريد أن أكون جاهزة هذه المرة.

https://t.me/fantazynov

- لن تكوني غير مستعدة أبدًا مهما حاولتِ، والإجابة: نعم، أعني محادثة فيديو عبر فيستايم. لماذا أضيع الوقت في مكالمة هاتفية فيما يمكنني أن أراكِ في تلك الأثناء؟

يُعجبني هذا الجانب العابث في أطلس. أضطر إلى عضّ شفتي السفلى لثوانٍ حتى أمنع نفسي من الابتسام، وأقول:

- تصبح على خير يا أطلس.
- وأنتِ من أهل الخير يا لِيلِي.

حتى إمعانه في التحديق فيَّ بهذه الطريقة أثناء الوداع يجعل معدتي تتقلَّص في صمت. أنهي المحادثة وأضغط وجهي في الوسادة وأطلق صريرًا مكتومًا، كأنني ابنة السادسة عشرة من جديد.

الفصل التاسع

أطلس

- دعني أرى الصورة.

هكذا يقول ثيو وهو جالس على درج السلم الخلفي، يتابعني فيما أجمع شظايا الزجاج وأكياس القمامة التي تخلَّفَت عن ثالث هَجْمَة تعرَّضنا لها ليلة أمس. اتصَل براد صباح اليوم لكي يخبرني باقتحام مطعم «بيبز» من جديد، ثم قابلاني هو وثيو لتنظيف المكان على الرغم من أنني قلت له ألا يعبأ بالمجيء والتنظيف، فأكره ما عليَّ أن يضطر أحد العاملين لديَّ إلى المجيء في اليوم الوحيد الذي نغلق فيه المطعم كل الأسبوع. أقول لثيو:

- ليس لديَّ صورة لها.
- أهي قبيحة لهذه الدرجة؟

أُلقي العلبة التي جمعتُ فيها الزجاج في صندوق القمامة، وأقول:

- إنها بارعة الجمال وتفوق أحلامي بمسافة بعيدة.

يسخر قائلًا:

- القبيحة تبعد عن أحلامك بنفس المسافة.. هل لديها حساب على السوشيال ميديا؟

- نعم لديها، لكنه ليس متاحًا للاطلاع لغير الأصدقاء.
- ألستَ صديقًا لها على أي حساب؟ فيسبوك؟ إنستجرام؟ هل لديك حساب على سنابشات؟
- ماذا تعرف أنت عن سنابشات؟! ليس لديك هاتف ذكي من الأساس!
- لكن لديَّ أساليبي الخاصة.

يعود أبوه حاملًا كيس قمامة، يفتحه لنا حتى نُلقي فيه بعض القمامة المبعثرة هنا وهناك، فيبقى ثيو جالسًا على الدرج ويقول:

- كنتُ سأقوم بمساعدتكما لو أنني لم آخذ حمامًا للتو.

فيقول براد:

- لقد استحممتَ بالأمس.
- نعم، وأريد أن أحافظ على نظافتي.

يعود ثيو للانتباه إليّ قائلًا:

- هل لديك حساب على السوشيال ميديا؟
- لا، ولا وقت لديّ لمثل ذلك.
- إذًا كيف عرفتَ أن حساباتها متاحة فقط للأصدقاء؟

حاولتُ عدة مرات أن أبحث عنها على الإنترنت، وعلى الرغم من عدم رغبتي في الاعتراف بذلك، أستطيع الجزم بأنه لا يوجد شخص على هذا الكوكب لم يسعَ للبحث على جوجل عن أشخاص من ماضيه.

- بحثتُ عنها من قبل؛ يلزمني أن يكون لديَّ حساب حتى أُتابعها ثم أُطالع صورها.

- إذًا قُمْ بعمل حساب، وتابِعْها.. أقسِم لك أنك تُعقِّد الأمور أحيانًا أكثر مما ينبغي.

- الأمور معقدة بالفعل، لديها زوج سابق لا يرتاح لي على الإطلاق، ولو لاحظ أننا صرنا أصدقاء على السوشيال ميديا لربما تسبب لها ذلك في سخافة ما.

- لماذا لا يرتاح إليك؟

هكذا يسألني ثيو، فأُجيبه وأنا أدير رأسي نحو المبنى:

- لقد تشاجرنا أنا وهو، هنا داخل المطعم في حقيقة الأمر.

يرتفع حاجباه دهشةً ويقول:

- صحيح؟ أتعني شجارًا فعليًّا؟

يستقيم براد ويقول:

- تمهَّل، ذاك الرجل كان *زوجَ لِيلِي*؟!

أقول:

- ظننتك تعرف ذلك.

- لا يعلم أيٌّ منا مَن يكون الرجل، ولا لماذا تشاجرتَ معه. كانت تلك المرة الوحيدة التي رأيناكَ فيها تطرد شخصًا من المطعم، لذا فإن الأمر يبدو الآن منطقيًّا تمامًا.

هذه أول مرة أتحدَّث فيها في هذا الشأن منذ وقعت المشاجرة. أتذكَّر أني غادرتُ المطعم بعد مشاجرتي مع رايل مباشرةً، لذا لم يكن لدى أحدٍ الفرصة للاستفسار عن حقيقة الأمر. وحين عدتُ إلى العمل

https://t.me/fantazynov

يوم الإثنين التالي كان بإمكان العاملين أن يقرؤوا انزعاجي ويستنتجوا أني لا أزال غير مستعد للحديث عن هذه الواقعة.

يسألني ثيو:

- لماذا تشاجرتما؟

أنظر إلى براد، لأنه يعرف جيدًا ما مرَّت به لِيلِي. لقد أخبرَتْه لِيلِي هو ودارين داخل منزلي. لكن يبدو على براد أنه قد ترك لي الخيار في مصارحة ثيو أو التمويه عليه. عادةً ما أصارح ثيو بكل شيء، غير أنه ليس من حقي أن أشارك شيئًا خاصًّا بلِيلِي. أتمتم قائلًا:

- لا أذكر على وجه التحديد.

أعتقد أنها فرصة لتعليم ثيو درسًا هامًّا عن الطريقة التي لا يمكن للمرء أن يعامل بها شريكك مهما كان السبب، لكن يبقى الأمر متعلقًا بحياة لِيلِي وخصوصياتها فلا أرتاح إلى الحديث عنه أثناء غيابها. إنه كذلك شأن من شئون حياتها ما كان يجب أن أتدخَّل فيه، مع أنني لو أُعيدَت الكرة لكنتُ فعلت نفس الشيء، فمهما بدا تصرُّفي صبيانيًّا في تلك الليلة حين ضربتُ رايل، فقد أمسكتُ نفسي عن فعل الأسوأ من مجرد لَكْمِه تلك اللكمة المستحقة. لم أغضب هذه الغضبة قط على أي شخص، بما في ذلك أمي وزوجها. ولا حتى والد لِيلِي.

قد أمقت شخصًا بسبب طريقة معاملته لي، أما الغضب الذي يستعر بداخلي حين يتعرض أحب شخص إليَّ لسوء معاملة فأمر مغاير تمامًا.

يئزُّ هاتفي داخل جيبي، فألتقطه سريعًا وأجد لِيلِي تعيد الاتصال بي على فيستايم بعد ساعة من آخر اتصال. كانت تقود سيارتها وقالت إنها ستتصل بي حالما تصل إلى البيت.

تبادلنا عدة رسائل نَصِّيَّة منذ آخر مكالمة لنا يوم الجمعة، لكنني كنتُ أشتاق للحديث معها وجهًا لوجه من جديد.

- هي التي تتصل؟

يسألني ثيو مُشرئبًّا نحو الهاتف، فأومئ نحوه وأمضي صاعدًا درجات السلم حتى أتجاوزه، لكنه يسارع بالنهوض ويتبعني لداخل المطعم. أقف قبالته وأسأل باندهاش:

- حقًّا؟!

- أريد أن أتعرَّف على شكلها.

أضطر إلى الرد كي لا أفقد المكالمة، فأمرِّر إصبعي عبر شاشة الهاتف فيما أحاول أن أحجز ثيو خارج المطعم. أقول له:

- سألتقط «سكرين شوت» لوجهها وأريك إياه، اذهب الآن وساعد أباك.

تبدأ محادثة الفيديو فيما لا يزال ثيو يحاول دفع جسده إلى الداخل..

- أهلًا.

أقول مُبتسمًا نحو صورة لِيلِي على الشاشة، فتُجيب:

- أهلًا.

يهمس ثيو مادًّا ذراعه ومُحاولًا انتزاع الهاتف:

- دعني أرى!
- امنحيني ثانية من فضلكِ يا لِيلِي.

أضغط شاشة الهاتف فوق صدري حتى لا تتمكن من رؤية ما يدور، ثم أفتح الباب الخلفي لمسافة تكفي لأن أدفع بكفِّي وجه ثيو حتى يعود أدراجه لحافَّة السلم، وأقول:

- براد، تسلَّم ولدك.

ينادي براد:

- ثيو، تعالَ إلى هنا، أحتاج مساعدتك.

تتدلَّى كتِفا ثيو، لكنه يستسلم أخيرًا ويذهب إلى أبيه، يتمتم قائلًا:

- لكنني نظيف.

أغلق الباب وأجذب الهاتف بعيدًا عن صدري فتقول لِيلِي وهي تُغرق في الضحك:

- ما الذي يجري؟
- لا شيء.

أمضي إلى غرفة مكتبي وأُحكِم إغلاق الباب حتى أحصل على الخصوصية اللازمة، أقول وأنا أجلس على الكنبة:

- كيف مضى يومكِ؟
- جيدًا. عُدنا لتوِّنا من دعوةٍ للغداء مع أمي وصديقها. ذهبنا لمطعم صغير يقدِّم الساندوتشات في شارع بوردن؛ مكان لطيف.
- كيف حال والدتكِ؟

لم نكن قد تحدّثنا عن والديها قط، بخلاف ما ذكرته عن رحيل أبيها.

- إنها في خير حال، تُواعد شخصًا يُدعى روب، وهي سعيدة معه، على الرغم من غرابة رؤيتها تهيم برجل، لكنه شخص لطيف بالفعل.
- هل تعيش في بوسطن الآن؟
- نعم، انتقلت هنا بعد رحيل أبي حتى تكون قريبةً مني.
- هذا جيد، يُسعدني أن تكون لكِ عائلة هنا.
- ماذا عنك؟ ألا يزال عمك يعيش في بوسطن؟

عمي؟!

أوه، لقد أخبرتها بذلك فعلًا! أضغط رقبتي من الخلف وتصدر عني اختلاجة غير إرادية.

- عمي.

لا أستطيع تذكُّر الكذبة التي قلتها آنذاك بالتحديد؛ لقد مضى زمن طويل.

- مات عمي وأنا في التاسعة يا لِيلِي.

يتقلَّص حاجباها في ارتباك، وتُعقِّب قائلةً:

- لا، لقد انتقلتَ إلى بيت عمك في سن الثامنة عشرة، ولذلك غادرتَ آنذاك.

أُطلِق تنهيدةً يائسة، نادمًا أن ليس باستطاعتي العودة بالزمن وإصلاح أغلب الذي دار بيننا في تلك الآونة، أشياء قُلتُها وأخرى فشلتُ في

الإفصاح عنها خوفًا على مشاعر لِيلِي. لكنْ، ألسنا نأمل جميعًا لو كان باستطاعتنا العودة لسنوات المراهقة وإصلاح ما أفسدناه.

- لقد كذبتُ عليكِ، لم يكن لديَّ عمٌّ في بوسطن آنذاك.

- ماذا تقول؟!

إنها لا تزال تهزُّ رأسها، في محاولة يائسة لإضفاء أي معنى على الحديث، مع ذلك لا تبدو غاضبة، بل يغلب عليها الارتباك فحسب.

- إذًا مَن الذي أقمتَ عنده؟

- لا أحد، لم يكن باستطاعتي أن أستمر في التسلل إلى غرفتكِ إلى الأبد، كنتُ أعلم أن النهاية لن تكون على ما يُرام، وباستثنائكِ أنتِ لم يكن في تلك المدينة ما يساعدني على تحسين حالتي، أما بوسطن فكان فيها الكثير من الأماكن التي أستطيع الاحتماء بها والموارد التي يمكنني استغلالها، أخبرتُكِ بأن عمِّي لا يزال على قيد الحياة كي لا تقلقي عليَّ، وغادرت.

يسقط رأس لِيلِي إلى الخلف وتستند إلى ظهر السرير، وتُغمض عينيها لبرهة قصيرة.

- أطلس.

تنطق اسمي بتعاطف واضح، وحين تفتح عينيها من جديد يبدو كأنها تُحاول التماسك حتى لا تنشطر نصفين.

- لا أعرف ما عليَّ أن أقوله الآن، لقد تصورتُ أن لديكَ عائلة.

- أعتذر عن كذبي آنذاك، لم أكن أسعى لخداعكِ، كل ما هنالك أنني أردتُ أن أعفيكِ من...

https://t.me/fantazynov

- لا حاجة للاعتذار. لقد فعلتَ الصواب. كان الشتاء على الأبواب، وربما لم تكن لتنجو من طقس الشتاء في هذا المنزل.

تمسح دمعة تسللت منها وتُكمل قائلةً:

- لا يُمكنني تصوُّر ما عانيته بانتقالك لبوسطن في هذه السن بلا مورد، بلا معارف.

- لقد مضت الأمور على نحو جيد.

أخبرها ذلك بنبرة ضاحكة، أحاول انتشالها من تلك الحالة التعيسة التي غمرتُها فيها قبل لحظات.

- لا تُفكِّري كثيرًا في ما كنا عليه؛ تأمَّلي فقط أين نحن الآن.

تبتسم..

- إذًا أين أنت الآن، هل هذا مكتبك؟

- إنه مكتبي.

أُدير الهاتف في كل اتجاه حتى تأخذ فكرة عن غرفة المكتب.

- إنه صغير، مجرد كنبة وكمبيوتر، لكن نادرًا ما أكون هنا، أقضي أغلب وقتي في المطبخ.

- هل أنت في مطعم بيبز؟

- نعم، المطعمان يُغلقان أيام الآحاد؛ أنا هنا فقط لتنظيف المكان.

- لا يمكنني الصبر حتى أزور مطعم كوريجانز. هل ستأخذني هناك حين تواعدني يوم السبت القادم؟

أضحك وأقول:

https://t.me/fantazynov

- بالطبع لا، لن أصطحبكِ لأي من المطعمين اللذين أملكهما في موعد غرامي، فجميع مَن يعملون معي يتمتَّعون بفضول زائد تجاه حياتي الشخصية.

تبتسم وتقول:

- هذا مضحك، فأنا كذلك شديدة الفضول في ما يتعلَّق بحياتك الشخصية.

- أنا كتاب مفتوح أمامكِ، ماذا تريدين أن تعرفي؟

تتفكَّر لمدة ثوانٍ، ثم تعود قائلةً:

- أريد معرفة الأشخاص الذين يُشكِّلون حياتك الشخصية. لم يكن لديك شخص مقرَّب منك حقيقةً في سنوات المراهقة، أما الآن فأنت شخص ناضج لديه أعمال وأصدقاء وحياة كاملة لا أعرف عنها إلا أقل القليل. مَن هم أولئك الأشخاص يا سيد أطلس كوريجان؟

لا أجد ما أردُّ به على سؤالها سوى الضحك.

مع هذا لا تتبسَّم لي، فأفهم أنها لا تسأل من باب الفضول فقط بل لاهتمامها بشئوني الخاصة. أنظر إليها برقَّة أملًا في التخفيف من قلقها بشأني، وأقول:

- لديَّ أصدقاء، قابلتِ بعضهم قبل مدة في منزلي، لكن ليس لديَّ عائلة، ما لا يُشكِّل فراغًا في حياتي أشعر بحاجتي لمَلْئه. أحب عملي، وحياتي.

أتوقَّف قليلًا، ثم أقول شيئًا في منتهى الأمانة:

- أنا شخص سعيد، إن كان ذلك ما ترغبين في السؤال عنه.

أرى جانب فمها يرتفع وهي تقول:

- جيد.. لطالما رغبتُ في معرفة أين انتهَت بك الطرق. حاولتُ البحث عنك عبر السوشيال ميديا لكن الحظ لم يحالفني قط.

تُضحكني مقولتها حين أتذكَّر حديثي مع ثيو حول هذا الأمر.

- لا أستخدم السوشيال ميديا كثيرًا.

لو قلتُ لها أنني على استعداد لاستخدامها بصفة يومية لو كانت حساباتها على السوشيال ميديا متاحةً للتصفُّح لقال ثيو إن اعترافًا كهذا سيثير مخاوفها.

- لديَّ صفحتان للمطعمين، يديرهما أحد الموظفين لديّ.

أسند رأسي إلى الكنبة وأكمل:

- إنني أكثر انشغالًا من أن أخصص وقتًا للسوشيال ميديا. حمَّلتُ تطبيق التيكتوك قبل شهور، وكان خطأً فادحًا، استنزف من وقتي عدة ساعات أثناء الليل ففاتني اجتماع هام في الصباح التالي. مسحتُ التطبيق في اليوم نفسه.

تضحك لِيلِي..

- قد أفعل أي شيء مقابل أن أراك تُسجِّل فيديوهات على تيكتوك.

- هذا لن يحدث أبدًا.

يتحوَّل انتباه لِيلِي لثانية، ثم تشرع في النهوض من مكانها على السرير، لكنها تتوقَّف ثانيةً وتقول:

https://t.me/fantazynov

- انتظر لحظة، أحتاج لأن أضع الهاتف لبرهة.

تضع هاتفها على السرير، لكنْ لا أظنها تنتبه حين يتعلَّق الهاتف بشيء وينقلب بزاوية ما تجعل الكاميرا مسلَّطةً عليها. أراها فيما تُعدِّل من وضع إيميرسون لتنقلها إلى الثدي الآخر، لا يستغرق الأمر أكثر من ثوانٍ معدودة، أسرع من ألاحظ ما يجري قبل انتهائه. لا أظنها قصدت أن تكون الكاميرا موجَّهة نحوها.

حين تلاحظ وضعية الهاتف، تبرِّق بعينيها لمدة ثانية، ثم تُظلم الشاشة حالما تصل إليها يدها، وحين تعود الكاميرا مُسلَّطةً عليها من جديد تكون قد غطَّت عينيها بأصابع مفرودة وهي تقول:

- آسفة جدًّا!

- ولماذا الأسف؟

- أظنني صدمتُك بمشهدٍ عارٍ للتو.

- هذا صحيح، غير أنه شيء لا يستوجب الاعتذار، بل عليَّ أن أشكركِ عليه.

تضحك، ويظهر عليها الامتنان لهذا التعليق.

- لا شيء مما لم تَرَه من قبل.

تقولها بإيماءة خجِلةٍ غاية في اللطف. تضع وسادة تحت ذراعها التي تحمل بها إيميرسون أثناء الرضاعة.

- أحاول أن أعوِّدها على بعض الأطعمة، فهي على وشك أن تُتِمَّ عامها الأول. كنا قد وصلنا لرَضعة واحدة في اليوم، لكنْ أيام الآحاد تكون صعبةً بعض الشيء لأني أبقى معها طوال اليوم.

https://t.me/fantazynov

تُصدر صوتًا ضاحكًا من أنفها وتقول:

- آسفة، لا أظنك تهتم بمعرفة تفاصيل عملية الرضاعة.

- لا يمكنني تصوُّر موضوع واحد قد يُسبب لي الملل حين تناقشينه معي.

- أوه، أراهن أني أستطيع التفكير في موضوع مُمل قبل موعدنا المرتقب.

تقولها كأنما تلقَّت تعليقي برغبة في التحدِّي. ترنو بعيدًا عن شاشة الهاتف. لا يمكنني رؤية إيميرسون، مع ذلك أستنتج أنها تنظر إلى الطفلة من تلك الابتسامة التي لا تظهر على وجهها إلا حين تتحدَّث عن ابنتها أو تُحدِّق فيها؛ إنها ابتسامة تنبع من افتخارها بها، وهي أحد التعبيرات المفضَّلة لديّ حين تظهر على وجه لِيلِي. تهمس قائلةً:

- إنها تستلم للنوم، عليَّ أن أذهب الآن.

- نعم، أن أيضًا عليَّ الذهاب.

لا أريد أن أترك لبراد وثيو إزالة جميع الأضرار من دوني.

تقول لِيلِي:

- قد أتصل بكَ متأخرًا قليلًا هذه الليلة، إن كان يناسبك.

- يناسبني بالطبع.

أتذكَّر ما قاله ثيو عن رغبته في رؤية صورة لِلِيلِي، لذا قبل أن تُنهي المحادثة ألتقط لقطة للشاشة فتُحدِث الصوت المعتاد، ما يجعل لِيلِي تستدير برأسها في فضول..

- هل قُمتَ بالتقاط...

https://t.me/fantazynov

أُسارع بالرد:

- أردتُ أن أحصل على صورة لكِ.. مع السلامة يا لِيلِي.

أُنهي المحادثة قبل أن يظهر عليَّ الحرج الشديد جراء ما فعلت. لم أتصوَّر أن يصدر هذا الصوت وأن تسمعه لِيلِي. على ثيو أن يُقدِّر ما فعلتُه من أجله.

أفتح باب غرفة المكتب وأجد براد يمسح أرضية المطبخ. يختلط عليَّ الأمر، فالمطبخ يتم تنظيفه قبل إغلاق المطعم، والضرر الذي تعرَّض له المطعم أثناء الليل لم يتعدَّ الجزء الخارجي.. أسأله:

- ألم ينظفوا الأرضية ليلة أمس؟

- المطبخ على ما يرام؛ أنا فقط أتصنَّع مسح الأرضية.

هكذا يقول براد، وحين يُلاحظ حيرتي يستطرد موضِّحًا:

- أردتُ أن أُرغِم ثيو على تنظيف المكان بالخارج حيث إنه يكره القيام بذلك كثيرًا، إنه أمر يتعلَّق بالأبوة.

- أوه، يبدو منطقيًّا.

لا يبدو منطقيًّا على الإطلاق، إلا أنني أترك براد يُكمل ادِّعاءه مَسْح أرضية المطبخ وأمضي إلى الخارج.

تبدو المعاناة الشديدة على ثيو فيما يحمل بين إبهامه وسبَّابته قطعة قمامة. يُتمتم فيما يُسقِطه داخل الكيس:

- هذا مُقرف جدًّا! عليك أن تُعيِّن حارسًا شخصيًّا؛ الأمر يخرج تمامًا عن السيطرة.

ليست فكرة سيئة على الإطلاق..

أحمل هاتفي أمام وجه ثيو حتى يرى صورة لِيلِي التي التقطتُها لتوِّي.

يميل برقبته إلى الوراء ويقول:

- هذه لِيلِي؟!

- إنها لِيلِي.

أضع هاتفي في جيبي وأتناول كيسَ القمامة من ثيو.

يقول فيما يجلس على الدرجة الأعلى:

- هذا يُفسِّر كل شيء.

- يُفسِّر ماذا؟!

- لماذا ينعقد لسانكَ عند الحديث عنها ولا تقول إلا الهراء المعتاد.

لا أتفق مع قناعته بأن ما أقوله لها مجرد هراء، هو مُحِقٌّ في شيء وحيد فقط؛ إنها جميلة بالفعل، أشعر أحيانًا بأن لساني ينعقد في حضورها.

- لا يمكنني الصبر حتى تبدأ في المواعدة الغرامية؛ عندها سأُريكَ ما لا يروقك على الإطلاق.

https://t.me/fantazynov

الفصل العاشر

لِيلي

أُحدِّث أمي وأنا أضع الهاتف بين خدِّي ورقبتي:

- لا عليكِ يا ماما، لقد وصلنا عند أليسا بالفعل، ولن يُسبب الأمر أي مضايقة على الإطلاق.
- هل أنتِ متأكدة؟ قال روب إن باستطاعته مجالستها.
- لا، على روب أن يرعاكِ أنتِ.
- حسنًا، أخبري إيمي أن «ناني» آسفة.
- ناني؟! هل هذا ما تُنادين به الآن؟
- إني أُجرِّبها فقط، لا أحب لقب *جدَّة* هذا على الإطلاق!

هذه رابع تجاربها مع الألقاب التي تُنادى بها الجدَّات منذ ولادة إيمي، ولم تستقر على أي منها بعد.

- أحبكِ ماما، أرجو أن تكوني أفضل حالًا الآن.
- وأنا أيضًا أحبكِ.

أنهي المكالمة وأرفع إيمي من كرسيها الخاص بالسيارة. أشعر بالارتياح حين لا أجد سيارة رايل في المكان المخصص لها. لم أكن

https://t.me/fantazynov

أخطط للمجيء لهذه البناية التي يسكن رايل وأليسا في شقتين فيها، لكنَّ أمي وإيمي مرِضتا بنفس المرض خلال هذا الأسبوع.

حين ذهبتُ بالأمس لاصطحاب إيمي من بيت أمي، لاحظتُ أن لديها حرارة خفيفة، تحوَّلَت لحُمّى مرتفعة في حوالي الثانية صباحًا ولم يُجدِ معها أي شيء، غير أن الحرارة تلاشَت في نحو الوقت الذي أستعد فيه للذهاب إلى العمل، لكنْ ها قد ضربَت أمي ضربةً انتقامية هذا المساء، واضطررتُ للذهاب إليها لأخذ إيمي أثناء فترة العمل. أُصبتُ بشيء من الرعب لكون الليلة موعدي مع أطلس؛ ظننتُ أنني سأُضطر إلى إلغاء الموعد، لكنَّ أليسا أنقذَت الموقف.

لم أخبرها لماذا أحتاج لجليس لإيمي. راسلتُها لأسألها إن كان باستطاعتها أن تُجالس إيمي لساعات متأخرة هذا المساء، فأجابَت بكلمة واحدة فقط: هاتيها.

حذَّرتُها من أن إيمي كانت تُعاني من الحُمَّى ليلة أمس. لكن لأن إيمي ورايلي تقضيان وقتًا طويلًا معًا لم نعُد نحمل همَّ أن تُعدي إحداهما الأخرى منذ شهور طويلة، فهذا ما يحدث فعلًا بين الأسبوع والآخر. والأرجح أن عدوى الحُمَّى قد انتقلَت لإيمي من رايلي بادئ الأمر.

أطرق باب أليسا، وحالما تفتح تمُدُّ يدها رأسًا لكي تحمل إيميرسون.

- تعالي هنا.

تقول وهي تجتذب إيميرسون وتعتصرها في حضنها.

https://t.me/fantazynov

- رائحتها جميلة. رايلي لم تَعُد تفوح برائحة الرضَّع هذه، ما يُشعرني بالتعاسة.

تفتح مصراع الباب على آخره لتستقبلني، وحين أدخل حاملةً حقيبة تغيير الحفاضات تنتبه أليسا لهيئتي وثيابي، تقول فيما تُشير نحوي من أعلى لأسفل:

- مهلًا، ما هذا؟ ما المناسبة التي لأجلها أُجالس الطفلة؟

ليس لديَّ أدنى رغبة أن أخبرها بحقيقة المناسبة، لكنها أليسا.. يمكنها قراءتي أفضل من أي شخص آخر، تستطيع ملاحظة التردد الذي يظهر على وجهي ومعرفة ما وراءه بالتحديد.

- هل هذه الملابس لـ *موعدٍ غرامي*؟

هكذا تهمس إليَّ فيما تُغلق الباب الأمامي:

- أهو ذاك الإله الإغريقي؟

- نعم، أطلس، أرجوكِ ألا تُخبري أخاكِ.

بمجرد أن أقول ذلك ألاحظ مارشال واقفًا على مقربة منا في غرفة المعيشة. يغطِّي أذنيه سريعًا ويقول:

- لم أسمع شيئًا. لالالالاااا.

ثم يمضي عبر مدخل البيت ويختفي بداخل المطبخ.

تقضي أليسا على بقايا حضوره بتلويحةٍ من يدها.

- إنه يُحسِن اتخاذ المواقف الحيادية، فلا تقلقي من ناحيته.

تُشير إليَّ كي أتبعها إلى غرفة المعيشة. تطل رايلي من داخل سرير الأطفال، فتأخذ أليسا إيمي من يدها وتذهب بها لرايلي.

https://t.me/fantazynov

- انظري مَن جاء لزيارتنا!

تبتسم رايلي حين ترى إيمي. بدأت الطفلتان في إبداء الحماس عند رؤية إحداهما للأخرى، والأجمل أنهما متقاربتان في العمر؛ فارق الستة أشهر يبدو أصغر فأصغر كلما كبرَت إيمي.

- إلى أي مكان يصطحبكِ؟

أُهندِم ملابسي بيديَّ وأنقر بإصبعي نُسالة صغيرة وأقول:

- عشاء في مكان ما لم أذهب إليه من قبل.. أرجو ألا أكون قد تأنَّقتُ أكثر من اللازم.

- هل هذا أول موعد غرامي معه؟ تبدين مضطربة بعض الشيء.

- نعم إنه الموعد الأول، وأنا مضطربة بالفعل، لكنه نوع مختلف من الاضطراب، نوع جيد. أنا أعرفه جيدًا فلا أشعر كما لو أنني سأقضي المساء مع شخص غريب.

تتفرَّس فيَّ أليسا بعينين حانِيتين للحظات، ثم تقول:

- تبدين متحمسة، أفتقد رؤيتكِ على هذه الحالة.

- نعم، وأنا كذلك.

أنحني لأُقبِّل إيمي ورايلي وأقول:

- لن أتأخَّر طويلًا. عليَّ أن أعود إلى المحل لأغلق مع لوسي، وسيأتي ليأخذني من هناك. أتصوَّر أني لن أتأخَّر عن التاسعة والنصف، لذا حاولي أن تبقيها مستيقظة إلى ذلك الحين إن كنتِ لا تُمانعين.

- لماذا تعودين مبكرًا هكذا؟ لِمَ هذا الإحباط!

- لم أنَم جيدًا أمس، إني مرهقة تمامًا، لكني لا أريد إلغاء الموعد بحال، لذلك سأركِّز طاقتي على إنجاح الأمر.

- أُف.. إنها الأمومة.

هكذا تقول أليسا فيما تقلب عينيها لأعلى، ثم تُكمل:

- سأُبقيها مستيقظة، هيا اذهبي واستمتعي بوقتك، تناولي بعض القهوة أو المنبهات أو أي شيء.

لا أذكر كم كوبًا من القهوة تناولتُ اليوم.. أقول فيما أمضي نحو الخارج:

- أحبكِ.. شكرًا على إنقاذكِ الموقف برمَّته.

فتقول مترنِّمةً:

- أنا هنا لأجل هذا السبب بالتحديد.

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

الفصل الحادي عشر

أطلس

أردتُ أن أُمرِّر اليوم بأسرع ما يمكن، لذلك قررتُ أن أساعد في مطبخ بيبز على الرغم من تجهيزي طاقمًا كاملًا لهذا المساء.

سنمضي في الأمر خطوة فخطوة، لذا سآخذها من مكان عملها بدلًا من شقتها. ليس لديَّ أدنى فكرة أين تسكن الآن، أو إن كانت لا تزال تقطن في نفس البناية التي ذهبتُ إليها قبل عامين حين احتاجَت مساعدتي. لسبب ما لم يجنح الحديث فيما بيننا للسؤال عن مكان سكننا. الأرجح أنها لا تعرف أني بِعتُ منزلي السابق وانتقلتُ إلى المدينة بدايةَ هذا العام. لديَّ فضول لأن أعرف مدى المسافة التي تفصلنا الآن.

- أشمُّ رائحة عطر مميز.

هكذا يقول دارين حين يمرُّ بجانبي. يتوقَّف في منتصف الطريق إلى الثلاجة ويدور لكي يتفحَّصني وهو يقول:

- ما الذي جعلك تتعطَّر الآن؟ ولِمَ هذه الأناقة اللافتة؟

أتشمَّم يدي وأقول:

- ألا أفوح برائحة الثوم؟

https://t.me/fantazynov

- لا، بل تفوح برائحة شخص على وشك الخروج.. هل ستُغادر الآن؟

- بلى سأغادر، لكني سأعاود المجيء عند التقفيل. في الغالب سأُمضي الليلة هنا وأحاول الإمساك بالشخص الذي يقتحم المطعم أثناء الليل.

تمرُّ أيام من الهدوء بين اقتحام وآخر. حدثت الهجمة الرابعة ليلة أمس، غير أنها لم تكُن باهظة التكلفة هذه المرة، عَمَدوا فقط لبعثرة القمامة هنا وهناك، ما يسهل التعامل معه مقارنةً بإعادة طلاء الحوائط كما حدث من قبل، فمع كل اقتحام يجيء براد بصُحبة ثيو ليُساعد في التنظيف. عليَّ أن أنصح ثيو بأن استمراره في الشكوى من المهام سيجعل أباه يصمِّم على قيامه بها.

أخطط الليلة لمواجهة مَن يقومون بهذه الفوضى لأتحقق من دوافعهم وأحاول التفاهم معهم قبل إقحام البوليس في الأمر. أثق عادةً أن أغلب المشاكل يُمكن حلُّها عبر نقاش بسيط وصريح بين الأطراف المعنيَّة، عِوضًا عن التعامل معها بالتدخُّل العنيف، مع أنني لا أملك أدنى فكرة عمَّن أواجه هذه المرة.

ينثني دارين ويقول بهدوء:

- مع مَن ستخرج؟ لِيلِي؟

أجفف يديَّ بالمنشفة وأومئ إيماءةً خاطفة.

يبتسم دارين ويمضي بعيدًا. يسعدني أن أجد أصدقائي معجبين بلِيلِي. أتوا على سيرتها أكثر من مرة بعد ليلة البوكر تلك، لكن أظنهم

تراجعوا عن الحديث عنها حين شعروا بضيقي. لم أرغب قط في مناقشة أمر لِيلِي مع أي مَن كان حين خرجَتْ من حياتي.

أما الآن فيبدو أن ثمة احتمالًا واضحًا لعودتها إلى الصورة من جديد. لِمَ لا؟! ربما لهذا السبب أشعر بتوتر شديد؛ لأنني أعرف حجم المخاطرة التي تُقدِم عليها لِيلِي بالخروج معي هذا المساء. لو تطورت الأمور بيننا لربما تأثرت حياتها سلبًا بدرجة كبيرة. ولهذا بدأت أشعر بالضغط الشديد منذ ساعتين لاهتمامي بأن أجعل المناسبة تستحق منها هذه المخاطرة.

مع ذلك أبدو كمَن يتعرَّق رعبًا من مصاصي الدماء؛ أخشى أن تسير الأمور على غير هواي.

***

أصل إلى موقَف السيارات في السادسة إلا خمس دقائق. لا بد أن لِيلِي كانت تنتظر منذ مدة، إذ تخرج من المحل وتوصِد الباب خلفها حتى قبل أن أخرج من السيارة.

حالما أراها، أشعر بالمزيد من التوتر. تبدو مذهلة، في بدلةٍ سوداء من قطعة واحدة وحذاء عالي الكعب. تضع سُترة ثقيلة فوق كتفيها وتلتقيني في منتصف موقَف لسيارات.

أميل عليها وأحييها بقبلة على الخد، وأقول:

- تبدين مذهلة!

أُجزم بأن وجنتيها تتورَّدان قليلًا حين أقول ذلك.

- حقًّا؟ لم أنَم البارحة، أشعر أنني أبدو في التسعين من عمري!

https://t.me/fantazynov

- لِمَ لم تنامي جيدًا؟
- عانت إيمي من الحمى طوال الليل. إنها أفضل الآن، لكن...

تتثاءب لِيلِي وتُكمل قائلة:

- أنا آسفة! شربتُ لتوّي كوبًا من القهوة، سأفيق خلال دقيقة.
- لا بأس، أنا لستُ تعِبًا ولكني أفوح برائحة الثوم.
- أنا أحب الثوم.
- هذا جيد.

تميل لِيلِي إلى الخلف وتنظر لثيابها قائلةً:

- ترددتُ في اختيار الزي المناسب للمكان، إذ لم أذهب لهذا المطعم من قبل.
- حالي كحالكِ، وليس لديَّ أدنى فكرة عن طبيعة المكان، لكن حدسي يُخبرني بأنكِ ستكونين بخير.

اخترتُ مطعمًا جديدًا أريد الذهاب إليه على سبيل التجربة، ومع أنه على مبعدة خمس وأربعين دقيقة بالسيارة فقد ارتأيتُ أنها فرصة جيدة لنا للإلمام بما فاتنا خلال الطريق.

تقول لي:

- معي هدية لك، إنها في سيارتي، دعني أُحضرها أولًا.

أتبعها إلى مكان السيارة وأتابعها فيما تجلب شيئًا من الدُّرج الذي يتوسَّط المقعدين الأماميين. حين تمدُّ يدها بها لا أستطيع أن أمسك نفسي عن الابتسام.

- هل هذه يومياتكِ؟

كانت قد قرأت لي مقطعًا صغيرًا إضافيًّا ليلة أمس، لكنها كانت خجِلة للغاية لقراءته بصوت مسموع، فرفضَت أن تُكمل القراءة.

- هذا جزء منها. لنَرَ كيف تمضي الليلة قبل أن أُعطيك الآخر.
- ليس ثمة ضغط أو أي شيء.

أتمشَّى معها إلى سيارتي وأفتح لها الباب. تتثاءب من جديد فيما أغلق وراءها باب السيارة.

أشعر بالخزي، إذ تبدو مرهقةً تمامًا هذه الليلة. لا أعرف من قريب ولا من بعيد ما تعنيه رعاية رضيع مثل طفلتها، أرى أنه من الأنانية ألا أعرض عليها تأجيل الموعد، لذا وقبل الخروج من موقَف السيارات أقول لها:

- لو تُفضِّلين العودة إلى البيت والنوم مبكرًا يُمكننا أن نقوم بما انتويناه في إجازة نهاية الأسبوع.
- لا أفضل القيام بشيء آخر يا أطلس. سأنام عندما أموت.

تُثبِّت حزام الأمان وتُكمل قائلة:

- تفوح منك رائحة الثوم بالفعل.

أظنُّها تمزح. كانت لِيلِي كثيرة المزاح حين كنا صغيرين، وهي إحدى صفاتها المحببة إليَّ، إذ يبدو مزاجها رائقًا على الدوام مهما تغيَّرَت الظروف من حولها؛ نفس القوة التي رأيتها ونالت تقديري في الأيام التي تلَت اليوم الذي أُخبِرَت فيه بحَمْلها في غرفة الطوارئ. أعرف أنها إحدى أصعب الفترات التي مرَّت عليها، لكنها برغم ذلك

حافظت على ابتسامتها طوال الوقت، بل وقضَت أمسية طويلة بصحبة أصدقائي وأدهشتهم بخفة ظلها أثناء لَعِب البوكر.

لكلٍّ طريقته في التعامل مع الضغط، وليس بالضرورة أن تكون هناك طريقة خاطئة، لكن لِيلِي تتعامل مع الضغط برُقِيّ، وهذا الرُّقِي هو أكثر الصفات التي تجذبني في البشر. تسألني لِيلِي:

- كيف تستطيع أن تترك المطعم في مساء السبت؟

أكره اضطراري لقيادة السيارة الآن، لأني أريد أن أنظر في عينيها أثناء الرد، لم أرَها قط على هذه الدرجة من.. من ماذا؟ الأنوثة؟ هل ستكون مُجاملة لطيفة لو اعترفتُ لها بذلك؟ لا أعرف حقيقةً. ربما عليَّ ألا أقولها صراحةً لو كان لها الأثر العكسي، لكن حين أُغرمنا أنا ولِيلِي ببعضنا البعض لم نكُن بالنضوج الكامل كما نُسميه الآن. أما الليلة فالأمر يختلف، فنحن شخصان ناضجان وعاملان وهي أيضًا أم ومديرة ومستقلة بحياتها؛ *كما أنها مثيرة لدرجة مروِّعة!*

في المرة الوحيدة الأخرى التي قضيتها معها كناضجين، كانت لا تزال عمليًّا على الأقل زوجة رايل، لذلك شعرتُ بأن ثمة خطأ كبيرًا في تخيُّلها مثلما أتخيَّلها الآن؛ أعني أن أشتهيها كامرأة.

أوجِّه تركيزي إلى الطريق وأحاول ألا أترك فترات من الصمت تبعث على النعاس، مع ذلك أشعر بأنني مضطرب قليلًا، ما أستغربه كثيرًا.

- كيف أمكنني أن أترك المطعم فعلًا؟

أقول ذلك كأنما كنتُ أفكر في إجابة السؤال، وليس في رغبتي المحمومة في التحديق فيها، ثم أردف قائلًا:

- أتصوَّر أنني أُعَيِّن أشخاصًا يُعتمَد عليهم.

تبتسم لِيلِي وتقول:

- هل تعمل دائمًا خلال عطلات نهاية الأسبوع؟

أومئ مؤكدًا، وأقول على سبيل التوضيح:

- عادةً ما أؤجِّز فقط أيام الآحاد، حين يكون المطعمان مغلقَين.. أحيانًا أكمل ليوم الإثنين.

- ما هو أكثر ما يُمتعك في عملك؟

إنها ممتلئة بالأسئلة هذا المساء. ألمحها لمحةً طويلة جانبية مع ابتسامةٍ مازحة، وأقول:

- قراءة تقييمات الزبائن.

تُحدث صوتًا كأنما أدهشَتها الإجابة لدرجة الصدمة، وتقول:

- عذرًا.. هل قُلتَ *تقييمات الزبائن*؟ هل حقًّا تقرأ التقييمات التي تُكتَب عن المطعمين؟!

- نعم، لا أفوِّت تقييمًا واحدًا.

- *ماذا*؟! يا إلهي، يبدو أنك خالٍ تمامًا من مشاكل انعدام الأمان.. أنا أطلب من سيرينا أن تُدير حساباتنا على السوشيال ميديا حتى *أتجنَّب* قراءة المراجعات بالتحديد!

- مراجعاتكِ رائعة.

تستدير بكل جسمها في مقعد السيارة لتواجهني وهي تقول:

https://t.me/fantazynov

- هل تقرأ أيضًا *مراجعاتي*؟!
- أقرأ كل ما يُكتَب بخصوص أي شخص أعرفه لديه عمله الخاص.. هل هذا غريب؟
- لا يُمكن القول بأنه «ليس غريبًا» في المطلق!

أكبس الزرَّ الخاص بمصابيح الانتظار، وأقول:

- أستمتع بقراءة المراجعات، أعتبرها انعكاسًا لصاحب العمل، كما أرغب في التعرف على رأي الزبائن في المطعمَين. النقد البناء مفيد في المطلق. ليس لديَّ الخبرة العملية التي يمتلكها الكثير من الطُّهاة المحترفين، والنقاد هم أفضل المعلِّمين.
- وماذا تستفيد من قراءة المراجعات التي تُكتَب عن أنشطة الآخرين؟
- لا شيء في الحقيقة، فقط أجدها مسلية.
- هل لديَّ مراجعات سيئة؟

تعود لِيلِي لوضعها الأول وتنظر أمامها إلى الطريق، وتكمل قائلة:

- لا عليك، لا تُجِب عن هذا السؤال. سأفترض أنها جيدة كلها وأن جميع الزبائن يحبون زهوري.

تزمُّ شفتيها وتكتم ابتسامة كادت تغلبها، وتُعاود السؤال:

- وما أكثر ما يزعجك في عملك؟

أحب كثيرًا هذه الأسئلة العشوائية، تذكِّرني بكل الأمسيات التي سهرنا فيها نثرثر معًا، وتمطرني هي بمثل هذه الأسئلة عن كل ما يتعلق بي. أعترف لها قائلًا:

https://t.me/fantazynov

- حتى الأسبوع الماضي كان التفتيش الصحي أكثر ما يزعجني؛ إجراء مُرهِق ومُكرِب لأبعد حد!

- لماذا الأسبوع الماضي؟ ماذا جَدَّ عليك الآن؟

- الاقتحامات.

- هل تكرر الأمر؟

- نعم، مرتين هذا الأسبوع.

- ولا زلت ليس لديك فكرة عن الفاعل؟

أومئ برأسي علامة النفي وأقول:

- ولا أدنى فكرة.

- هل لديك عشيقات سابقات غاضبات منك؟

- لا، لا أظن.. لسنَ من هذا النوع.

تخلع لِيلِي حذاءها وتثني إحدى ساقيها تحتها لتستريح في جلستها، وتقول:

- دخلتَ في كم علاقة جادة؟

حسنًا، إنها ذاهبة هناك..

- عليكِ أولًا أن تُعرِّفي كلمة «جادة»؟

- لا أعرف، ربما التي استمرت أطول من شهرين؟

- إذًا واحدة.

- كم أمضيتما معًا؟

- أطول قليلًا من العام. قابلتها وأنا مجنَّد في الجيش.

- ولماذا افترقتما؟
- لأننا انتقلنا للسكن معًا.
- ألهذا افترقتما؟!
- أظن أن تشاركنا مسكنًا واحدًا قد عجَّل بإدراكنا قِلَّة التوافق فيما بيننا، أو ربما كنا فقط في مرحلتين مختلفتين من مراحل حياتنا؛ كنتُ أصبُّ أكثر تركيزي على العمل، أما هي فقد كانت تركز أكثر اهتمامها في اختيار الزي الأنسب لهذا المكان أو ذاك من بين النوادي الليلية التي من شدة تعبي لا أتحمَّس للذهاب إليها. وحين أنهيتُ خدمتي العسكرية وعدتُ إلى بوسطن بقيَتْ هي وانتقلَت إلى شقة صغيرة مع صديقتيها.

تضحك لِيلِي وتقول:

- لا أستطيع تخيُّلك في أحد هذه النوادي!
- صحيح.. أظن هذا هو السبب في استمراري عازبًا إلى الآن.

يرن هاتفي باتصال من كوريجانز، قاطعنا قبل أن أعيد توجيه ذات الأسئلة إليها، أقول:

- عليَّ أن أجيب هذا الاتصال.
- تفضَّل..

أردُّ عبر البلوتوث الخاص بالسيارة، وأعرف أن الأمر لا يعدو مشكلةً تخص ثلاجات المطعم، تستلزم مني اتصالَين آخرَين حتى أسوِّي الأمر وأضع فنِّي الإصلاح على الطريق. وحين أعاود التركيز مع

لِيلِي ألمحها نائمة، رأسها مُتكئ على كتفها وصوت غطيط ناعم رقيق يتصاعد منها.

لم تقُم القهوة بدورها فيما يبدو..

أتركها تنام طوال الطريق إلى المطعم. نصل في السابعة مساءً إلا عشر دقائق وقد ساد الظلام المكان. يبدو المطعم مزدحمًا بالرواد، وأمامنا عدة دقائق حتى يحين موعد الحجز الخاص بنا، لذا أتركها ترتاح دقائق أخرى.

غطيطها محبَّب مثلها تمامًا، لطيف، لا يكاد يُسمَع. ألتقط فيديو قصيرًا يمكنني استخدامه لاحقًا في مُشاكستها، ثم أمدُّ ذراعي إلى الكنبة الخلفية وألتقط مفكِّرة يومياتها. أعلم أنها أوصتني ألا أقرأها أمامها، لكنني لستُ أمامها بالمعنى الدقيق؛ إذ هي نائمة.

أفتح اليوميات على الصفحة الأولى وأبدأ في القراءة.

أقرأ المقطع الأول، مأخوذًا تمامًا. أشعر كأنني أكسر قاعدةً أساسية بقراءته، لكنها هي مَن جاءتني بها.

أقرأ المقطع الثاني، ثم الثالث، ثم أسجل الدخول على التطبيق الخاص بحجز المطعم حتى ألغيه، فإما أن أوقظها الآن في التو واللحظة أو سيفوتنا موعد الحجز، وأنا أفضِّل أن تذهب طاولتنا لشخص آخر عن إيقاظها، إذ تبدو لِيلِي في حاجةٍ ماسَّةٍ لهذه النَّومة منذ مدة.

كما أريد أن أقرأ مقطعًا آخر.. سآخذها لمكانٍ آخر فور استيقاظها.

https://t.me/fantazynov

كل كلمة كتبتها تُعيدني إلى أيام المراهقة، لمرات عديدة أمسك نفسي عن الضحك على مواقف تحكيها وعلى الطريقة التي تحكي بها؛ أخشى أن يُفزعها ضحكي لو أنني لم أكتمه.

أصِل إلى مقطع أكاد أجزم بأنه سينتهي بقُبلتنا الأولى. أنظر للساعة وأجدنا قد مكثنا هنا لنصف ساعة ولِيلِي لا تزال نائمة، ولا يمكنني أن أتوقف عن القراءة في منتصف هذا المقطع. أستمر في القراءة راجيًا أن تبقى نائمة لمدة تكفل لي الوصول لنهاية المقطع.

قال لي:

- أريد أن أخبركِ بشيء.

كتمتُ نَفَسي، لا أعرف ما سيقوله لي.

- اتصلتُ بعمي اليوم. كنا نسكن معه أنا وأمي في بوسطن. قال إنه فور عودته من رحلة عملٍ سيدعوني لأعيش معه.

كان عليَّ أن أفرح لأجله في تلك اللحظة، أن أبتسم إليه وأبارك له، لكنني حوصِرتُ بكل ما فيَّ من قِلَّة نضوج حالما أغمضتُ عينيَّ وشعرتُ بالأسف الشديد على نفسي.

سألتُه:

- إذًا ستذهب؟

هزَّ كتفيه وقال:

- لا أعرف. وددتُ أن أتحدَّث إليكِ أولًا.

كان قريبًا جدًّا مني على السرير، لدرجة الشعور بدفء أنفاسه. لاحظتُ أيضًا رائحته الشبيهة بالنعناع، ما جعلني أتساءل إن كان

يستخدم زجاجات المياه في غسيل أسنانه قبل قدومه إلى هنا، فدائمًا ما أعطيه الكثير من زجاجات المياه قبل ذهابه كل يوم.

وضعتُ يدي فوق الوسادة وأخذتُ أجذب ريشة كانت تبرز من داخلها، وحين خرجت بكاملها صرتُ أدوِّرها بين إصبعيَّ.

- لا أعرف ما أقول يا أطلس. أنا سعيدة لأجلك أن وجدتَ سكنًا مناسبًا لك، لكن ماذا عن المدرسة؟

قال:

- يمكنني أن أستكمل الدراسة هناك.

هززتُ رأسي موافقةً، فقد بدا عازمًا على الأمر، وسألته:

- ومتى تُغادر؟

تساءلتُ كم تبعد بوسطن عنا. غالبًا عدة ساعات، أي على مسافة عالم آخر لو لم تملك سيارة.

- لا أعرف يقينًا إن كنتُ سأغادر فعلًا.

تركتُ الريشة تسقط على الوسادة وضممتُ يدي لجانبي فيما أقول:

- وما الذي يمنعك عن الذهاب؟ عمُّك يعرض عليك مكانًا للإقامة، وهذا يناسبك تمامًا ، أليس كذلك؟

زمَّ شفتيه معًا وأومأ بالإيجاب، ثم تناول الريشة وبدأ يُديرها بدوره بين أصابعه، ثم أعادها من جديد على الوسادة وأتى بشيء لم أتوقَّعه قط: قرَّب أصابعه من شفتيَّ وأخذ يُلامسهما.

https://t.me/fantazynov

يا إلهي، ظننتُ أنني سأموت في التو واللحظة حين فعل ذلك. كان أقوى شعور يجتاح جسدي دفعةً واحدة. ترك أصابعه فوق شفتيَّ لثوانٍ حتى قال:

- شكرًا لِيلِي، على كل شيء.

ورفع أصابعه وخلل بها خصلات شعري، ثم مال إلى الأمام وزرع قُبلةً فوق جبهتي. كنتُ أتنفس بصعوبة فاضطررتُ لأن أفتح فمي حتى أحصل على المزيد من الهواء، وكان باستطاعتي رؤية صدره يعلو ويهبط مثلي تمامًا. كان يرمقني، وكنت أتابع عينيه فيما تهويان إلى شفتيّ.

- لِيلِي، هل قام أحدٌ بتقبيلكِ من قبل؟

حركتُ رأسي يمينًا ويسارًا علامة النفي، ورفعتُ وجهي نحوه قليلًا أملًا في أن يغيّر هذه الحقيقة في التو واللحظة وإلا فلن أستطيع التنفُّس أبدًا.

ثم - وكأنني مصنوعة من قشر البيض- مال بفمه على فمي وأراحه هناك. لم أعرف ما يُفعَل بعد ذلك، لكنني لم أعبأ بالأمر. كنتُ راضية أن نبقى في هذا الوضع طوال الليل دون حراك، فقد كان هذا كل شيء.

أغلق شفتيه على شفتي، وكنت أشعر برجفة يده. حاكَيتُ ما يقوم به وبدأتُ أحرك شفتيَّ كما يفعل. وأحسستُ به يُمرر طرف لسانه فوق شفتيَّ بطريقة جعلتني أشعر كأن عينيَّ على وشك السقوط إلى الخلف داخل رأسي. فعلها ثانيةً، ثم لثالث مرة، ففعلتُ مثله. وحين تلامس اللسانان لأول مرة وجدتني أبتسم قليلًا رغمًا عني لكوني فكَّرتُ كثيرًا

في أول قُبلة؛ أين ستكون، ومع مَن، لكنني لم أكُن لأتصوَّر أن أشعر بها بهذه الطريقة.

دفعني حتى أرقدني فوق ظهري وضغط بيده على وجنتي واستمر يُقبِّلني. صار الأمر أروع فأروع مع تزايد شعوري بالارتياح، وكانت اللحظة الأروع على الإطلاق حين تراجع لمدة ثانية ونظر إليَّ أسفل، ثم عاد يُقبِّلني بقوة أكبر.

لا أعرف كم أمضينا من الوقت يُقبِّل أحدنا الآخر في هذا الوضع.. كان وقتاً طويلاً، طويلاً جداً لدرجة أن فمي بدأ يؤلمني ولم أستطِع أن أُبقي عينيَّ مفتوحتين. وحين رُحنا في النوم، كان فمه على الأرجح لا زال يُلامس فمي.

لم نتحدث ثانيةً بشأن بوسطن.

ولا زلتُ لا أعرف إن كان سيُغادر بالفعل.

لِيلِي

يا له من شعور!

مذهل!

أُغلِق مفكِّرة اليوميات وأنظر إلى لِيلِي. لقد كتبت قُبلتنا الأولى بمنتهى التفصيل، لدرجة شعوري بالتصاغر أمام نفسي السابقة أيام المراهقة.

هل جرى الأمر على هذا النحو بالفعل؟

أتذكَّر تلك الليلة، غير أني كنتُ متوترًا فوق ما وصفَته لِيلِي بمسافةٍ هائلة. إنه لمضحك أنك تعتقد وأنت في سن المراهقة بأنك الشخص الوحيد المتوتر وعديم الخبرة فوق هذا الكوكب، تظن أن جميع المراهقين الآخرين يعرفون عن الحياة فوق ما تعرف بفارق كبير، مع أن الأمر عكس ذلك تمامًا. كنا خائفَين نحن الاثنين، مفتونَين، مُغرمَين.

أُغرَمتُ بها قبل هذه القُبلة الأولى بوقت طويل، أحببتُها أكثر مما أحببتُ أي شخص قبل هذه اللحظة، أتصوَّر أنني عشقتها أكثر مما عشقتُ أي شخص آخر *بعد* هذه اللحظة.

أما القادم فلا يمكن التكهُّن به.

هناك الكثير مما لا تعرفه لِيلِي عن هذا الجزء من حياتي، الكثير مما أرغب في إخبارها به، خاصة بعد التعرُّف على وجهة نظرها فيما دار بيننا. من البديهي ألا تدرك ماذا كانت تعني لي آنذاك. في الوقت الذي أدار الجميع ظهورهم إليَّ كانت لِيلِي الوحيدة التي وقفَت بجانبي.

أنفاسها تُخبر بأنها لا تزال نائمة، لذا أتناول هاتفي وأفتح تطبيق الملاحظات كي أدوِّن ملاحظة جديدة. أهُمُّ بالكتابة بالتفصيل كيف كانت حياتي قبل ظهور لِيلِي. لا أعني كتابة هذا الكم الذي أكتبه، لكن يبدو أن لديَّ الكثير مما أرغب في قوله لها.

تمرُّ عشرون دقيقة أخرى قبل أن أنهي ما أقوم بكتابته، وخمس دقائق أخرى قبل أن تفيق لِيلِي.

أضع الهاتف في حامل الأكواب، غيرَ متأكد إن كنتُ أريد أن تقرأ ما كتبته لتوِّي. ربما أنتظر أيامًا، أو أسابيع؛ إنها تريد أن نأخذ الأمر ببطء، ولا أدري إن كان ما كتبته في نهاية هذه الرسالة يتفق مع فكرتها عن «البطء».

ترفع يدها لتهرش رأسها. إنها تواجه النافذة فلا أرى عينيها حين تفتحان، لكن باستطاعتي أن أدرك أنها استيقظت من اعتدالها في جلستها. ترنو عبر النافذة لبرهة، ثم تُدير رأسها تجاهي وثمة خصلات دقيقة من شعرها تلتصق بوجنتها.

أستند إلى الباب المجاور لي، أتابعها باعتيادية تامة كأنما تصرفاتها تُناسب تمامًا أول موعدٍ غرامي.

- أطلس.

تنطق اسمي كأنه اعتذار وسؤال في نفس الوقت.

- لا بأس، كنتِ مرهقةً جدًّا.

تمسك بهاتفها وتتعرف على الوقت.

- يا إلهي!

تميل إلى الأمام مُستندةً بمرفقيها إلى فخذيها ودافنةً وجهها في راحتَيها.

- لا أصدِّق ما حدث.

- لا بأس يا لِيلِي، صدقيني.

أمسك باليوميات وأُكمل قائلًا:

- لقد تركتِ لي صُحبةً هانئة.

تنظر إلى اليوميات وتصدر أنينًا مُلتاعًا وتقول:

- يا له من إحراج مُهين!

ألقي باليوميات على الكنبة الخلفية وأقول:

- أنا شخصيًّا وجدتُ فيها توضيحات هامة.

تضربني على كتفي وتقول بمزاح:

- كُفَّ عن الضحك! أشعر بالخزي أن تجدها مضحكة!

- لا تشعري بالخزي، أنتِ مُرهقة، ولا بد أن تكوني جائعة، يمكننا أن نتناول برجر في طريق عودتنا.

تسقط لِيلِي سقوطًا دراماتيكيًّا فوق مقعدها وتقول:

- دَعْ الشيف الحاذق يأخذ فتاته إلى مطعم للوجبات السريعة، بما أنها نامت أثناء موعده الغرامي. لِمَ لا؟

تقلب الشمَّاسة لأسفل وتلحَظ الخصلات الملتصقة بخدِّها وتقول:

- رائع.. لستُ إلا أُمًّا فعلًا! هل هذا آخر موعدِ غرامي بيننا؟ يبدو ذلك. هل أفسدتُ كل شيء مبكرًا؟ لن ألومك.

أُعِدُّ السيارة للرجوع إلى الخلف.

- على العكس من ذلك، بعد ما قرأته في اليوميات، لستُ واثقًا من أن أي موعد غرامي سيفوق هذه الليلة.

- معاييرك منخفضة للغاية يا أطلس.

أجد في لومها لنفسها شيئًا مثيرًا ومحبَّبًا لقلبي، أقول:

- لديَّ سؤال بخصوص يومياتكِ.

- ما هو؟

تزيل لطخة من المَسْكَرَة علقتْ في رموشها. كل ما فيها يبدو مهزومًا الآن لظنّها بأنها أفسدَت موعدنا الغرامي، مع هذا لا يمكنني أن أكتم ابتسامتي.

- الليلة التي شهِدَت قُبلتنا الأولى.. هل وضعتِ شراشف السرير في الغسالة عن عَمْد؟ هل كانت حيلةً لكي أنام في سريرِكِ؟

تضغط أنفها لأعلى وتقول:

- هل قرأت كل هذا؟!

- لقد نمتِ لمدة طويلة.

تتأمل سؤالي، ثم تومئ بالإيجاب وتقول:

- كنتُ أرغب في أن تكون أول مَن يُقبِّلني، ولم يكن ذلك ليحدث وأنت نائم على الأرض.

يبدو أنها على حق، وقد نجحت خطتها.

بل لا تزال مستمرة في النجاح إلى الآن، فمجرد قراءة وصفها لقُبلتنا الأولى يبعث كل شعور شعرتُ به آنذاك. حتى لو نامت في طريق العودة إلى البيت، سيظل هذا أفضل موعدٍ غرامي مَرَّ عليَّ.

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

الفصل الثاني عشر

لِيلي

- لا أصدِّق أنك تركتني أنام طيلة هذا الوقت!

مرَّت عشر دقائق ولا تزال معدتي تتقلَّص حرَجًا مما حدث.

- هل أنهيتَ قراءة اليوميات بأكملها؟

- بل توقَّفتُ حالما انتهيتُ من قراءة ما كتبتِه عن قُبلتنا الأولى.

هذا جيد؛ ليس مُخجلًا لدرجة رهيبة. لكنْ لو كان قد قرأ عن أول مرة مارسنا فيها الجنس، بينما أنا نائمة في المقعد المجاور له، لما تماثلتُ للشفاء من الخجل!

أُتمتم قائلةً:

- هذا ليس عدلًا.. عليك أن تقوم بشيء مُذِلٍّ حتى تتساوى الكفَّتان، فأنا أشعر الآن أني أفسدتُ الليلة تمامًا.

يضحك أطلس ويقول:

- هل تظنين أن قيامي بشيء مُخجِل سيُحسِّن من شعوركِ هذه الليلة؟

أومئ أن «نعم»، وأقول:

- بالطبع، إنه قانون الكون: العين بالعين، والإحراج بالإحراج.

ينقر أطلس بإبهامه على عجلة القيادة فيما يُدلِّك فكَّه بيده الأخرى، ثم يُقرِّب رأسه من هاتفه الموضوع بداخل حامل الأكواب ويقول:

- افتحي تطبيق الملاحظات. اقرئي أول ما سيظهر لكِ.

أوه، يا للإثارة! كنتُ أُمازحه فحسب، لكني أُسارع بخطْف الهاتف وأسأله:

- ما هي كلمة السر؟

- تسعة خمسة تسعة خمسة.

أُدخِل الأرقام بعُجالة وأرنو لشاشة الهاتف المفتوحة أمامي؛ التطبيقات مرتَّبة في ملفات منظَّمة، ليس لديه رسائل غير مقروءة على الإطلاق، وثمة إيميل وحيد لم يفتحه بعد.

- أنت مهووس بالنظام.. مَن يمكن أن يكون لديه إيميل واحد فقط غير مقروء؟!

- لا تروقني قلة الترتيب، وهذا عَرَض جانبي لفترة التجنيد. كم إيميلًا غير مقروء لديكِ؟

- آلاف.

أفتح تطبيق الملاحظات وأضغط على أحدث التدوينات، وحالما أقرأ الكلمتين الأوليين في أعلى الملاحظة، أُسقِط الهاتف وأضعه مقلوبًا على فخذي..

- *أطلس!*

- لِيلِي.

أشعر بإحراجي يُبتَلَع الآن في موجةٍ دافئة من الترقُّب.

- هل كتبت لي رسالة تبدأ بـ *عزيزتي لِيلِي*؟

يومئ ببطءٍ ويقول:

- نِمتِ لمدة طويلة.

حين ينظر إليَّ ترتبك ابتسامته، كأنه قلِقٌ حيال ما كتَبَه. يعود للنظر إلى الأمام وألاحظ حَلْقَه فيما يزدرد ريقه.

أميل برأسي على الزجاج الجانبي وأشرع في القراءة بصمت.

عزيزتي لِيلِي،

ستقعين في حَرَج بالغ حين تستيقظين وتُدركين أنكِ نمتِ أثناء موعدنا الغرامي الأول. لديَّ حماس كبير لرؤية رد فعلك. غير أنكِ بدوتِ مرهقةً تمامًا حين مررتُ عليكِ، ما يجعلني أشعر بسعادةٍ ما لحصولكِ على قسطٍ من الراحة.

كان الأسبوع الفائت مجنونًا تمامًا، أليس كذلك؟ كنتُ قد بدأتُ أوقن بأنني لن يكون لي مكان مؤثر في حياتكِ أبدًا، حتى فوجئتُ بكِ تظهرين.

أستطيع أن أكتب دون توقف عما تعنيه لي كلمة ترويض النفس، لكنني وعَدْتُ مُعالجي النفسي بأن أتوقف عن الحديث إليكِ بكلام مبتذل. مع ذلك فلا تقلقي، فأنا أعتزم أن أخالف هذا الوعد بين الحين والآخر، وقد طلبتِ مني أن نأخذ الأمور واحدة فواحدة، لذلك سأصبر نفسي حتى نلتقي عدة مرات.

وفي المقابل، سأسرق صفحة من كراسة الألعاب الخاصَّة بكِ، وأحكي قليلًا عن ماضينا. هكذا تتحقق العدالة فيما بيننا، فقد

https://t.me/fantazynov

سمحتِ لي بأن أطلع على أفكارِك الأكثر حميمية خلال مرحلة من حياتكِ كنتِ فيها أكثر هشاشةً وعُرضةً للضعف، فأقل ما أقدمه في المقابل هو أن ألقي بعض الضوء على حياتي خلال نفس المرحلة.

أما عن نسختي من هذه الحكاية فأشد قسوة مما شهِدتِه، وسأُجنِّبكِ بعض تفاصيلها الأكثر سوءًا، غير أني لستُ متأكدًا إن كان بإمكانكِ أن تفهمي ما كانت تعنيه لي صداقتنا قبل أن تعرفي ما مررتُ به قبل لقائكِ.

كنتُ قد أخبرتكِ بجانب منه. كيف انتهيتُ على الحال الذي رأيتِني عليه، أعيش وحيدًا في ذاك البيت المهجور. لكن شعوري بأني مُشرَّد بلا بيت أسبق من هذا بكثير، يمتدُّ طوال حياتي لو أردتِ الحقيقة، برغم وجود منزل وأُمّ وبين الحين والآخر زوج أُم.

لا أذكر كيف كانت الحياةُ حين كنتُ صغيرًا. يتهيَّأ لي أحيانًا أنها كانت أمًّا سويَّة ذات يوم، أتذكَّر رحلة ذهبنا فيها إلى «كيب كود» المطلة على المحيط الأطلنطي، حيث جرَّبنا الجمبري بجوز الهند لأول مرة، لكنها لو كانت أُمًّا طيبة فيما دون هذا اليوم، دون هذه الوجبة بالتحديد، فإن شيئًا من هذا لم يترك أثرًا في ذاكرتي.

الراسخ في ذاكرتي هي تلك الأوقات الممتدة التي كنتُ أقضيها وحيدًا، أو فقط في محاولات مستمرة للابتعاد عن طريقها. كانت سريعة الغضب، سريعة رد الفعل. لنحو عشر سنوات في بداية حياتي كانت أقوى وأسرع مني بالطبع، لذا أمضيتُ الجزء الأفضل من هذا العقد أحاول الاختباء من يدها، من سجائرها، من سوط لسانها.

أُدرِك الضغوط التي كانت تتعرَّض لها كأُمّ عزباء تعمل أثناء الليل حتى تكفلني، لكن على الرغم من الأعذارٌ التي كنتُ أتلمَّسها لها آنذاك، فقد كنتُ أرى في كل مكان أمهات عزباوات يناوِرن الحياة دون الاضطرار لما كانت تفعله أمي.

لقد رأيتِ ندوبي، ولا أريد الخوض في تلك التفاصيل، لكن مهما كان ما رأيتِه من بشاعةٍ فقد ازداد الأمر سوءًا مع زيجتها الثالثة.

كنتُ في الثانية عشرة حينما تزوَّجا. لم أكن أعرف إلا القليل آنذاك، وبدا عامي الثاني عشر فترتي الوحيدة الهادئة. كانت غائبةً طوال الوقت لأنها بصُحبته، وحين تكون في البيت يكون مزاجها رائقًا بسبب غرامها به.. من المضحك أن تكون العلاقة مع الشريك هي ما يُحدد طريقة تعامل البعض مع أطفالهم.

غير أن العام الثاني عشر أفضى إلى الثالث عشر ومن ثم لانتقال تيم للسكن في منزلنا، فتحوَّلت الأربع سنوات التالية من حياتي إلى جحيم على الأرض. حين لا تكون أمي غاضبة بسببي فإن تيم يكون غاضبًا بالتأكيد. لا أتواجد في البيت إلا وأتعرَّض للصياح، وحين أذهب إلى المدرسة يتعرَّض البيت للدمار الناتج عن شجارهما معًا، وأُكون مطالَبًا بإعادة المكان لما كان عليه فور عودتي إلى المنزل.

كانت الحياة معهما بمثابة كابوس طويل، وحينما صرتُ من القوة بحيث أنتصر لنفسي، قرر تيم أنه لا يرغب في الاستمرار في الإقامة معي.

واختارته أمي، لذلك أُجبرتُ على الرحيل. لم يحتاجا لتكرار الطلب، فقد كنتُ مستعداً تماماً للمغادرة، ذلك أن لديَّ مكاناً آخر أستطيع الانتقال إليه.

ولم يدُم ذلك طويلاً، فلم يمضِ أكثر من ثلاثة أشهر حتى غادر الصديق الذي كنتُ أقيم معه إلى كولورادو مع عائلته.

عند هذه النقطة، لم يعُد لديَّ شخصٌ ولا مكانٌ ألتجئ إليه، ولا نقود تكفل لي الوصول لو وُجِدَ هذا الشخص، لذلك اضطُرِرتُ للرجوع لأمي وطلب السماح لي بالعودة إلى المنزل.

لا زلتُ أتذكر اليوم الذي عدتُ فيه إلى المنزل. لم يكن قد مرَّ على غيابي أكثر من ثلاثة أشهر، مع ذلك وجدتُ المكان يتصدَّع بمعنى الكلمة؛ العشب متروك على حاله منذ آخر مرة قصصتُه فيها قبل طردي، جميع الضلف السِّلك غير موجودة، وثمة ثُقب واسع في مكان أكرة الباب؛ مظاهر توحي بأنني غبتُ منذ أعوام.

كانت سيارة أمي في مرأب السيارات، أما سيارة تيم فلم تكن موجودة. بدت سيارتها كأنما وقفت هنا منذ مدة؛ غطاء المحرك مفتوح والكثير من الأدوات مبعثرة على مقربة منه، بخلاف نحو ثلاثين علبة بيرة مرصوصة على شكل هرمي قُرب مدخل الجراج.

حتى الجرائد كانت مكوَّمة فوق الممشي الخرساني. أذكر أني حملتها وجمعتها فوق مقعد حديدي حتى تجف، ثم طرقتُ باب المنزل.

شعرتُ بغرابة وأنا أطرق باب البيت الذي عشتُ فيه لسنوات، لكن بافتراض أن تيم قد يكون في المنزل، فلا يحسُن أن أفتح باب المنزل دون استئذان. كنتُ أحتفظ بمفتاح للبيت، لكن تيم هدد بتسليمي إلى السلُطات بتُهمة التعدِّي على ملكيته الخاصة لو حاولتُ استعماله.

ولم يكن ذلك ممكنًا حتى لو أردتُ ذلك، فليس ثمة أكرة لأُمسِك بها الباب.

تناهى لسمعي وَقْعُ خطوات تعبر غرفة المعيشة. فُتِح الستار عن الشباك الصغير في النصف الأعلى من باب المنزل، ورأيتُ أمي تطل إلى الخارج، لثوانٍ تسمَّرَت في مكانها وهي تُحدِّق عبر الشباك.

واربَت الباب بعد قليل لمسافة سمحَت لي بأن أراها ترتدي بيجامة النوم، في الثانية بعد الظهر، وهي عبارة عن تيشيرت واسع مرسوم عليه فريق «ويزر» الغنائي، كان لأحد رفقائها السابقين. كنت أكره ذلك التيشيرت لأنني لطالما أحببتُ هذا الفريق الغنائي، وكانت كلما ارتدته أفسدت عليَّ تعلُّقي بهم لدرجة ما.

سألتني عما أفعل أمام الباب، ولم أرغب في الإفصاح عن أسبابي مباشرةً، فسألتها إن كان تيم موجودًا في البيت.

فتحت الباب أكثر قليلًا وشبَّكت ذراعيها بإحكام لدرجة أن أحد أعضاء الفريق الغنائي على التيشيرت بدا كأنما قُطِع رأسه. قالت إن تيم في عمله وسألتْ عما أريد.

سألتها إن كانت ستسمح لي بالدخول، فتأملت سؤالي لبرهة ونظرت أعلى كتفي وأخذت تمسح الطريق بعينيها. لا أعرف عما كانت

تبحث، ربما كانت خائفة أن يشهد أحد جيرانها سماحها بدخول ابنها الوحيد لزيارتها!

تركت لي الباب مفتوحًا ودلفت إلى غرفتها حتى تبدل ثيابها. أذكر أن البيت كان مظلمًا لدرجة تبعث على الخوف. كل الستائر مسدلة، ما خلق شعورًا بالالتباس حول أي فترة من النهار هذه. لم تُفِد بشيء تلك الساعة المعلقة فوق المدفأة والتي كانت تومض وتُشير إلى وقت خاطئ بفارق ثماني ساعات. لو كنتُ لا أزال أعيش هنا لكنتُ أصلحت تلك الساعة أيضًا.

ولو كنتُ أعيش هنا لفتحتُ الستائر، ولما تركتُ الأطباق المتسخة تتكوم على كاونتر المطبخ. لما ظلَّت أكرة الباب ناقصة ولا عُشب الباحة الأمامية مهملًا، ولا وارد أيام من الجرائد النديَّة مكوَّمًا على هذا النحو. أدركتُ عند هذه اللحظة أنني الشخص الوحيد الذي كان يُبقي هذا البيت قائمًا طوال السنوات الماضية.

ألهمني ذلك بعض الأمل.. الأمل في أن يكونا قد استوعبا فائدة وجودي عوضًا عن التفكير فيَّ كمصدر للإزعاج، وفي أن يسمحا لي بالعودة إلى البيت حتى أتخرج في المدرسة.

لاحظتُ وجود أكرة باب مع أدوات التركيب على طاولة المطبخ، ففحصتُها ووجدتُ فاتورة الشراء أسفل منها، ولاحظتُ أن تاريخ الفاتورة قد مرَّ عليه أسبوعان.

كانت الأكرة مناسبة للباب الأمامي، ولم أعرف لِمَ لم يُثبِّتها تيم طالما احتفظ بها لمدة أسبوعين، لذا فتحتُ العبوة وأخرجتُ عدّة

التثبيت من أحد أدراج المطبخ. مَرَّت عدة دقائق قبل أن تخرج أمي من غرفتها، وكنتُ حين خرجت قد انتهيتُ من تثبيت الأكرة على الباب الأمامي.

سألَتْ عما أفعل فأدَرْتُ الأكرة وفتحتُ الباب قليلًا حتى أريها أنها تعمل جيدًا.

لن أنسى أبدًا ردَّ فعلها؛ تنهدت وقالت:

- لماذا تفعل هذه الحماقات؟ كأنك تتعمَّد أن تجعله يكرهك!

انتزعَتْ المفك من يدي وأكملتْ تقول:

- ربما الأفضل أن تذهب قبل أن يعرف بمجيئك.

كانت ردود الأفعال العكسية تلك سببًا لاستحالة التفاهم مع سكان هذا البيت. حينما أساعد في شأن من شؤون البيت دون أن يُطلَب مني، كان تيم يقول إني أتعمَّد مُعاداته، وحين لا أساعد في أمر ما يقول إني كسول وقليل الامتنان.

- لا أُحاول إغضاب تيم، لقد أصلحتُ أكرة الباب، كنتُ فقط أريد المساعدة.

- كان سيُصلحها حالما يجد الوقت.

كان جزءًا أساسيًّا من مشكلة تيم أن لديه الكثير من الوقت. لم يستمر في عملٍ أكثر من ستة أشهر، وكان يُكرِّس وقتًا للعب القمار أطول مما يقضيه مع أمي. أذكر أنني سألتها عند هذه النقطة:

- هل حصل على عمل؟

- إنه يبحث.

- هل خرج الآن للبحث عن عمل؟

فهمتُ من تعبير وجهها أنه ليس في رحلة بحث عن وظيفة، وأينما كان تيم فقد كنتُ واثقًا أنه يُغرق أمي في المزيد من الديون فوق ما تُعانيه بالفعل. الأرجح أن هذه الديون هي القشة التي قصمت ظهر البعير ودفعَتها لطردي خارج المنزل.

عثرتُ يومًا على كروت ائتمانية عليها اسمها مُخبَّأة في موضع سري، فواجهتُ تيم بشأنها. كان يكره أن أواجهه بشيء، كان يروق له النسخة الأصغر سناً التي كنتُ عليها حينما عرفني من هذه النسخة الأكثر نضجًا والتي تستطيع مواجهته. كان يُفضل النسخة التي يستطيع دَفْعَها هنا وهناك دون أن تردَّ له الدَّفعة. النسخة التي يستطيع التلاعب بها دون أن تطالبه بأي تفسير.

رحلت تلك النسخة ببلوغي سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. وحالما أدرك تيم أنْ ليس باستطاعته تهديدي جسديًّا، حاول إفساد حياتي بطرق أخرى، إحداها ألا أجد بيتاً أُقيم فيه.

ابتعلتُ كبريائي بمرور الوقت وأخبرتُ أمي بأنني لا أجد مكاناً ألتجئ إليه.

لم يكن تعبيرها خاليًا من التعاطف فحسب، بل كان مُفعمًا بالضيق. قالت:

- آمل ألا تطلب العودة ثانيةً بعد كل ما فعلته.

- كل ما فعلتُه؟! أتعنين حين رددتُ عليه بسبب مقامرته وإغراقه لكِ في الديون؟

https://t.me/fantazynov

كان ذلك حين سبّتني بكلمة «مؤخرة»، الأحرى: مؤخِـ ... ـــرة؛ كانت لا تُحسن نُطق الكلمة على الإطلاق.

حاولتُ استعطافها، لكن سرعان ما كشفَت عن الوجه الذي اعتدتُه منها.. قذفتني بالمفك، حدث ذلك بفجائيةٍ وعلى غير توقُّع لأننا لم نكن نتشاجر من الأساس، فلم أستطع أن أتفاداه. أصابني فو ق عيني اليسرى مباشرةً، في منتصف حاجبي الأيسر.

لامستُ القطع بأصابعي فعادَت مخضبةً بالدماء.

كل ما فعلتُه هو طَلَبُ العودة إلى المنزل، لم أنَل من احترامها، لم ألعنها، ظهرتُ فقط وأصلحتُ أكرة الباب الأمامي وحاولتُ الحديث معها بمنطقية، وانتهيتُ بجرح غائر ينزف بالدم.

أذكر كيف حدَّقتُ بذهول في أصابعي، فيما تدور في ذهني فكرة واحدة: ليس تيم مَن فعل هذا بي، بل أمي!

لمدة طويلة كنتُ ألوم تيم على كل خلل في هذا البيت، مع أن الخلل بدأ من ناحيتها هي. ما قام به تيم هو تضخيم المشكلات التي كانت موجودة في الأساس.

لطالما فكَّرتُ أني أفضل الموت عن العودة إلى البيت، لكن حتى هذه اللحظة كان ثمة جزء مني يحمل لها بعض المودة، ربما بدافع الاحترام، فقد كنتُ أحمل لها تقديرًا ما أن أبقَتني حيًّا حتى تلك اللحظة، لكن أليس ذلك أقل ما يمكن أن نتوقَّعه من شخص يقرر أن يأتي بطفلٍ إلى العالم؟

https://t.me/fantazynov

أدركتُ عند هذه اللحظة أني أُعطيها من الفضل فوق ما تستحق بكثير. لطالما ألقيتُ باللائمة على الظروف التي جعلَت منها أمًّا عزباء، مع أن هناك الكثير من الأمهات الوحيدات والمنشغلات بالعمل لإعالة أطفالهن، دون أن يتسبب ذلك في ترهُّل العلاقة بين الطرفين، كما أن هناك الكثير من الأمهات ممن يقفن في صف أطفالهن حين يُساء معاملتهم، أمهات لا يُشِحنَ بوجوههن بعيدًا إذا ما عوقِبَ ابن في الثالثة عشرة من عمره فعاد بعين محفوفة بالسواد وشفة متورمة من شدة الضرب، أمهات لا يقذفن رءوس أبنائهن بالمفكات.

وبرغم إدراكي كم كانت شخصًا لا مُباليًا، فقد حاولتُ لمرة أخيرة أن أوقظ الإنسانية في نفسها فقلت:

- أيُمكنني على الأقل أن آخذ معي بعض حاجياتي قبل الذهاب؟
- ليس لك أي شيء هنا، لقد تخلصنا منها جميعًا لحاجتنا للمكان.

لم يكن باستطاعتي أن أنظر إليها مجددًا بعد هذه العبارة، كانت لا تريد شيئًا أكثر من محوي نهائيًّا من حياتها، لذا تعهَّدتُ في تلك اللحظة بمساعدتها في تحقيق ذلك بالتحديد.

كان الدم يسيل داخل عيني فيما أغادر بعيدًا عن المنزل.

لا أستطيع أن أحكي لكِ كيف مَرَّت بقية اليوم، في غمرة الشعور بأنني غير مرغوب فيَّ على الإطلاق، بأنني مكروه، ووحيد. لم يكن ثمة أحد يؤنس وحدتي، لا أحد على الإطلاق، ولا مال، ولا ممتلكات، ولا أقارب.

مجرد جرح.

في صِغَرنا نكون مفرطينَ في حساسيتنا، وحين يُقال لنا لمدة سنوات إننا لا نساوي شيئًا، على لسان الأشخاص الذين يُفترَض أننا نعني إليهم الكثير، فإننا نبدأ في تصديق مزاعمهم ونتحرك قليلًا بقليل في اتجاه أن نصير هذا اللا شيء بالفعل.

ثم حدث أن التقيتكِ يا لِيلي، وبرغم كوني هذا اللا شيء، فقد رأيتِ شيئًا فيَّ حين نظرتِ إليّ، شيئًا لم أكن أراه من قبل. كنتِ أول شخص في حياتي يبدي اهتمامًا بي كإنسان. لم يسألني أحد من قبل عن نفسي كما سألتِني. وبعد تلك الأشهر التي عرفتكِ خلالها، زال عني الشعور بأنني لا شيء. صرتُ أشعر أنني مميز ومثير للاهتمام. منحتني صداقتكِ إحساسًا بالقيمة والاستحقاق.

أشكركِ على كل ذلك. وحتى لو لم يقُدنا هذا الموعد لأي خطوةٍ أخرى ولم نتحدَّث مجددًا، سأبقى ممتنًا لكِ لأنكِ رأيتِ فيّ شيئًا عجزَت أمي نفسها عن رؤيته.

أنتِ الشخص المفضل لديَّ يا لِيلي، والآن صرتِ تعرفين السبب.

أطلس

حلقي مسدود بالدموع التي راحت تتجمَّع خلفه، لا أستطيع حتى أن أُعلِّق بصوت مسموع على ما قرأته للتو. أضع الهاتف جانبًا وأمسح عن عينيَّ الدموع. يؤسفني أنه يقود السيارة الآن، لو كانت متوقفة لأخذته بين ذراعيَّ واحتضنتُه بشدة تفوق أي حضن عرفه قبل اليوم.

https://t.me/fantazynov

لربما قبَّلته أيضًا، وسحبتُه إلى المقعد الخلفي، فإن أحدًا لم يقُل من قبل أشياء حزينة تكسر القلب مثل هذه بالطريقة الرقيقة التي قالها بها.

يمدُّ أطلس يده ويتناول الهاتف. يُعيده إلى حامل الأكواب. يُشبِّك أصابعه في أصابعي ويضغط على يدي وهو يُحدِّق أمامه في الطريق. تُثير هذه الحركة اضطرابًا ما داخل صدري. أحيط يده بيدي الأخرى وأتذكَّر رحلات الباص التي كنا نقعد خلالها صامتَين، شاعرَين بالحزن والبرد، يتعلَّق الواحد منا في يد شريكه.

أنظر خارج النافذة، فيما يُحدِّق هو أمامه، ولا يتفوَّه أي منا بكلمة في طريق العودة إلى المدينة.

***

نتوقَّف عند مطعم للبرجر يُقدِّم طلبات السيارة على مسافة مِيلَين من محل الزهور. يعلم أطلس أنني لا أريد لإيميرسون أن تتأخر كثيرًا عن موعد نومها، لذلك نأكل البرجر في موقَف السيارات الخاص بمحل الزهور. صارت محادثتنا أخف كثيرًا منذ بدأنا طريق العودة للمدينة مرورًا بطلب البرجر وتناوُله معًا. لم أَعُد أشعر بالخزي كما كنتُ قبلها، إذ يبدو أن الضعف الذي كشَفَه أمامي هو زر إعادة التشغيل الذي كنتُ أحتاجه كي يعود موعدنا الغرامي لما كان عليه.

تحدَّثنا بشأن الأماكن التي زرناها فوجدتُه يفوقني كثيرًا في عدد الأماكن التي ارتحل إليها خلال حياته، باعتبار الفترة التي أمضاها في البحرية. سافر إلى خمسة بلاد مختلفة ولم أسافر خارج البلاد إلا لكندا.

https://t.me/fantazynov

يسألني:

- ألم تذهبي حتى إلى المكسيك؟

فأمسح فمي بمنديل ورقي وأقول:

- لا.

- ألم تُسافري أنتِ ورايل في رحلة شهر العسل.

أُف! أكره سماع اسمه خلال موعدٍ غرامي.

- لا، هربنا إلى فيجاس ولم نجد الوقت الكافي لقضاء شهر عسل.

يحسو أطلس حسوة من مشروبه، ثم يُحدِّق في وجهي بنظرة ثاقبة، كأنما يريد أن يستخرج الأفكار التي لا أفصح بها.

- ألم تتمنَّي حفل زفاف؟

هززتُ كتفيَّ في لا مبالاة، وقلت:

- لا أعرف، كنتُ على علم بأن رايل لا يريد الزواج، وحين قال إن علينا أن نذهب إلى فيجاس ونتزوج هناك رأيتها فرصة مفتوحة أمامي لا أريد تفويتها. أظن أنني شعرتُ أن الهرب معه أفضل من ضياع فرصة الزواج نهائيًّا.

- ماذا لو تزوَّجتِ ثانيةً، هل ستفعلينها بطريقة مختلفة؟

أضحك من هذا السؤال وأهز رأسي موافقة على الفور.

- بالطبع، أريد كل شيء؛ الزهور، وصيفات العروس، كل شيء.

أقذف قطعة من البطاطس داخل فمي وأُكمل قائلةً:

- ووعود رومانسية، وشهر عسل رومانسي قبل كل شيء.

https://t.me/fantazynov

- إلى أين تذهبين؟
- باريس، روما، لندن، ليس لديَّ رغبة في الجلوس على شاطئ دافئ في مكان ما، بل أريد رؤية الأماكن الرومانسية في أوروبا وأمارس الحب في كل مدينة وألتقط الصور أمام برج إيفل وأنا أقبِّل حبيبي، أريد أن آكل الكرواسون وأشبِّك يدي في يده في رحلات القطار.

أُلقي بعبوة البطاطس الفارغة في كيس الطعام وأقول:

- ماذا عنك أنت؟

يمدُّ أطلس يده ويُمسك بيدي الطليقة. لا يُجيبني مُباشرةً، فقط يبتسم ويضغط على يدي، كأن ما يريده سرٌّ يجد الوقت مبكرًا على الإفصاح به.

يبدو تشابك أيدينا كشيء فطري تمامًا، ربما لأننا طالما فعلناه في صغرنا، ما يجعل الجلوس بجواره داخل هذه السيارة دون أن يمسك أحدنا يد الآخر أمرًا غريبًا على الموقف.

وعلى الرغم من سقوطي في النوم أثناء موعدنا الغرامي الأول، فقد مَرَّت الليلة في راحةٍ ونعومة، كأن وجودنا معًا هو طبيعة الأشياء.. أُمرِّر إصبعي فوق راحة يده وأقول:

- عليَّ أن أذهب الآن.
- أعرف.

يقول ذلك وهو يُدلِّك كفي بإبهامه. يصدح هاتفه برنَّة وجيزة، فيمدُّ يده الطليقة إليه ويقرأ الرسالة التي وردَت إليه. يتنهد في صمت، ويُلقي

بالهاتف مجددًا في حامل الأكواب بطريقة أوحَت إليَّ بضيقه من الشخص الذي راسله للتو.

- هل كل شيء على ما يُرام؟

يُحاول أن يرسم ابتسامة، لكن محاولته تبوء بالفشل، أرى ما وراءها وهو مُدرك لذلك. يُشيح بنظره ويرنو إلى يدينا المتلامستين، يقلب باطن كفِّي لأعلي ويتقفَّى الخطوط المرسومة على راحة يدي. يُشعرني إصبعه كأنما مسَّني مانع صواعق يُرسل شحنات كهربائية تبدأ عند يدي وتتصل لسائر أطراف جسدي. يُعيدني إلى الواقع حين يقول:

- اتصلَتْ بي أمي قبل أسبوع.

- ماذا تريد؟

- لا أعرف، لقد أنهيتُ المكالمة قبل أن يُتاح لها أن تقول ما لديها، غير أني واثق أنها تحتاج لنقود.

أشبِّك يدي في يديه من جديد. لستُ أدري ما أقول له، إنه لأمر صعب للغاية ألا تسمع صوت أمك لما يناهز الخمسة عشر عامًا، ثم تُفاجأ باتصالها حين تحتاج لشيء. كل ذلك يُشعرني بامتنان تام لكون أمي جزءًا هائلًا من حياتي.

- لم أقصد أن أُلقي إليكِ بهذه المعلومة وأنتِ على عجلةٍ من أمركِ، كما علينا أن ندَّخر شيئًا نقوله في موعدنا الغرامي التالي.

يبتسم إليَّ، فتتحوَّل الأجواء على الفور. إنه لشيء لافت أن باستطاعة ابتسامته أن تُملِي عليَّ المشاعر التي تعتمل داخل صدري.

- هيا، سأرافقكِ حتى سيارتك.

https://t.me/fantazynov

أضحك على مقولته، فسيارتي تبعد خطوتين فقط من مكان سيارته. لكن أطلس يسارع بالنزول والدوران حول مقدمة السيارة ويفتح الباب المجاور لي حتى يُساعدني على النزول. ثم نخطو معًا خطوة واحدة تصل بنا لسيارتي.

أضاحِكه:

- تمشية لطيفة!

يومض بابتسامة موجَزة، لا أعرف إن كان يتعمَّد أن يجعلها مُغرية، لكني أشعر بالسخونة تغمرني برغم برودة الجو. يُطل أطلس من فوق كتفي ويمدَّ رأسه في اتجاه سيارتي.

- هل لديكِ مزيد من اليوميات هنا؟
- بل التي رأيتها فقط.
- يا للأسف.

يولي كتفه صوب سيارتي، فأفعل المثل ووجهي مصوَّب تجاه وجهه.

ليس لديَّ أدنى فكرة إن كنا نستعد لقُبلة.. لن أمانع لو أراد، لكن أشك أن فمي في أفضل حالاته الآن. أسأله:

- هل سأحصل على فرصة للإعادة؟
- لإعادة ماذا؟
- هذا الموعد الغرامي، يُسعدني أن أكون مُستيقظة في جولة الإعادة.

يضحك أطلس، لكن سرعان ما تتلاشى الضحكة. يرنو إليَّ للحظة ويقول:

- كنتُ قد نسيتُ كم هو مُسَلٍّ أن أكون بقُربكِ.

تُربكني كلماته، لأن كلمة «مُسلٍّ» لا تصف في رأيي تلك الأوقات التي كنا نقضيها معًا آنذاك. كانت أقل ما توصَف بأنها حزينة.

- هل ترى تلك الأوقات مُسلية؟!

يرفع كتفه في إيماءة غير مكتملة، ويقول:

- أعني.. كانت أسوأ أيام حياتي بالطبع، لكن ذكرياتنا فيها هي المفضلة لديَّ.

تُخجلني مجاملته لدرجة تورُّد وجنتيَّ. يسعدني أن الظلمة تلفُّنا.

غير أنه مُحِق. كانت فترة سيئة في حياتي وحياته، لكن يبقى وجوده هو العلامة الأبرز في سنوات المراهقة. أظن أن كلمة «مُسلية» هي الوصف الأدق لما أمكننا أن نصنعه من هذه الأوقات. وبما أننا استطعنا أن نتسلى بطريقة أو بأخرى في أوقات عصيبة كتلك، فكيف بنا لو أمضينا معًا أفضل أوقات حياتنا؟!

إنها الأفكار المعاكسة تمامًا لما كنتُ أفكر فيه تجاه رايل في الأسبوع الماضي. مررتُ بأصعب مرحلة ممكنة مع أطلس، وبرغم ذلك لم يبدر منه إلا كل شيء طيب ومفعم بالاحترام. أما الشخص الذي اخترتُ زواجه بمحض إرادتي فقد نال من احترامي بطريقة لا يستحقها أي مخلوق.. كل هذا ونحن في أفضل فترات حياتنا المشتركة.

https://t.me/fantazynov

أشعر بامتنان شديد لأطلس لكونه وضع معيارًا جديدًا لمعاملتي مع الآخرين؛ أطلس اليوم هو المعيار، وعلى أساسه كان يتوجَّب عليَّ أن أقيس رايل من أول يوم.

تتسلل بيننا نسمة هواء باردة لطيفة، ستكون حُجَّة مناسبة تمامًا لأطلس كي يشدَّني إليه، لكن على النقيض يتعالى الهدوء بيننا فلا يعود أمامنا إلا أن يبادرني بقُبلة وداعٍ أو يقول تُصبحين على خير.

يُعيد أطلس خصلة من الشعر حطَّت أمام جبهتي ويقول:

- لن أقبّلكِ الآن.

أرجو ألا أُظهِر إحباطي الشديد في هذه اللحظة، لكني أعرف أنه سيظهر لا محالة؛ إني أنكمش أمامه كأنني أُفرَغ من الهواء، أقول:

- هل هذا عقابي على السقوط في النوم؟

- بالطبع لا، إني فقط أشعر بالضآلة بعد قراءة ما كتبتِه عن قُبلتنا الأولى!

تُفلِت مني ضحكة صاخبة.

- بالضآلة أمام مَن؟ أمام نفسك؟!

يومئ موافقًا ويقول:

- أنظر إلى أطلس الصغير عبر عينيكِ فأراه يسلب اللب.

- ومثله أطلس الكبير.

تنِدُّ عنه غُنَّة خافتة، كأنه يفكر في التراجع عن موقفه من القُبلة، ما يُضفي على الموقف حِسًّا أكثر جدية. يتباعد عن سيارته، ويقترب بنعومة مني حتى يقف أمامي ويكاد يلتصق بي، فأميل إلى الوراء

https://t.me/fantazynov

وأستند إلى سيارتي ونظري معلَّق به، أمَلًا أن يكون على وشك تقبيلي الآن وحالًا!

- كما أنكِ طلبتِ مني أن نأخذ الأمور ببطء، لذا..

سحقًا! لقد طلبتُ ذلك فعلًا.. بل إنني قُلت: ببطء *شديد*، لا ببطء فحسب. *أنا أكره نفسي!*

يميل أطلس إلى الأمام، فأغمض عينيَّ. أشعر بنَفَسِه يغمر خدِّي قبل أن يطبع قُبلةً سريعة على جانب رأسي.

- تُصبحين على خير، يا لِيلِي.

- حسنًا.

https://t.me/fantazynov

حسنًا؟! هل قلت «*حسنًا*» فعلًا؟! يا لي من مُبلبلة.

تندُّ عن أطلس ضحكة ناعمة، وحين أفتح عينيَّ أجده يبتعد عني متوجِّهًا نحو الباب الأمامي لسيارته. وقبل ذهابه يضع ذراعه فوق سقف السيارة ويقول:

- أرجو أن تنامي جيدًا الليلة.

أومئ برأسي، مع أنني لا أعرف إن كان هذا الرجاء ممكنًا أم مستحيلًا. أشعر كأنما كل ذرَّة من الكافيين تجرَّعتها اليوم تضرب رأسي في نفس اللحظة الآن. لن أتمكن من النوم بعد هذا الموعد، سأظل أفكر فيه، وأعيد في ذهني قُبلتنا الأولى طوال الليل، وأتصوَّر كيف سيكون شعوري بالجزء الثاني منها.

***

https://t.me/fantazynov

كل ما عليك أن تستمر في العوم، استمر، استمر...

تنبعث هذه الأصوات المعتادة من فيلم *البحث عن نيمو* من غرفة معيشة أليسا ومارشال حين أفتح باب شقتهما.

أعبر بجوار المطبخ فأجد مارشال واقفًا أمام الثلاجة فاتحًا بابيها على وُسعهما. يومئ إليَّ بالتحية فألوِّح إليه دون أن أتوقَّف لتبادُل الحديث، فأنا أتحرَّق شوقًا لاحتضان إيميرسون.

أدخل غرفة المعيشة، وأُفاجَأ برايل جالسًا على الأريكة. لم يذكر شيئًا عن تعطُّله عن العمل هذا المساء. إيميرسون نائمة على صدره، وأليسا غير موجودة في المحيط.

- مرحبًا.

أُحييه، فلا يرفع وجهه لتحيَّتي، ومن دون أن ينظر إليَّ أعرف أن ثمة ما يُضايقه. أستطيع أن ألاحظ في ملامح وجهه ووضعيَّة فَكِّه أنه جائع. أريد أن أحمل عنه إيميرسون، غير أن شكلها الهادئ والمستكين يجعلني لا أرفعها عن صدر رايل. أسأله:

- منذ متى وهي نائمة؟

لا يزال يُحدِّق في التلفزيون، وإحدى يديه تسند ظهر إيمي والأخرى مطوية خلف رأسه.

- منذ بداية الفيلم.

أميِّز المشهد فأُدرك أن ساعة مضت على بدايته.

تدخل أليسا أخيرًا لغرفة المعيشة وتُضيف حِسًّا بالحياة.

- مرحبًا لِيلِي، آسفة لكونها نامت مني، حاولنا جهدنا أن نُبقيها مستيقظة.

تنظر إحدانا إلى الأخرى لمدة ثانيتين، كأنها تعتذر في صمتٍ عن وجود رايل، فأخبرها بالصمت ذاته أنْ لا بأس؛ هما شقيقان، فلا يمكنني أن أنتظر ألا يحضر لبيتها حين يعرف بأنها تُجالس طفلته.

يتوجَّه رايل بحديثه لأليسا قائلًا:

- هلَّا وضعتِ إيميرسون فوق مرتبتها؟ أريد أن أتحدَّث مع لِيلِي.

الصرامة التي في صوته تُنذرني أنا وأليسا، فتنظر إحدانا إلى الأخرى مجددًا فيما ترفع إيميرسون عن صدر رايل. تتصاعد رغبتي في حملها وأنا أرى أليسا تضعها فوق مرتبة النوم.

ينهض رايل، ولأول مرة منذ دخلتُ هنا ينظر إليَّ، يرمقني من أعلى رأسي حتى أخمص قدميَّ فيلاحظ الملابس الأنيقة والكعب العالي، فيما ألاحظ بدوري تلك الموجة البطيئة التي يغُصُّ بها حَلْقُه. يُشير برأسه لأعلى فأفهم أنه يريد الحديث إليَّ في السطح الذي يعلو البناية.

أيًّا ما كانت طبيعة هذه المحادثة، فإنه يسعى للخصوصية التامَّة.

يَخرج من الشقة ويتوجَّه إلى السطح، فأنظر إلى أليسا طلبًا للمشورة، فتنتظر حتى يُصبح رايل على مسافة لا تمكِّنه من السمع وتقول:

- أخبرتُه أن لديكِ مناسبة هذا المساء.

- شكرًا.

أقسمَت أليسا بأنها لن تُخبر رايل عن الموعد الغرامي، فلا أفهم لماذا يبدو عليه الغضب لهذه الدرجة وهو لا يعرف أين كنت!

https://t.me/fantazynov

- لماذا يبدو غاضبًا؟

تحرك أليسا كتفيها في حيرة وتقول:

- لا أعلم.. بدا طبيعيًّا حين وصل قبل ساعة.

أعرف أكثر من أي شخص آخر كيف يمكن لرايل أن يبدو بخير في لحظة ما ثم يتحوَّل إلى النقيض في اللحظة التالية. لكن عادةً ما أعرف وقتها ما يُغضبه.

هل اكتشف أني كنتُ في موعد غرامي؟ هل اكتشف أني كنتُ بصحبة أطلس؟!

عندما أصعد إلى السطح، ألمح رايل واقفًا مستندًا إلى السور، ناظرًا لأسفل. تتقلَّص معدتي حتى قبل اقترابي منه، يطقطق كعب حذائي فوق الأرضية فيما أدنو منه.

ينظر إليَّ رايل نظرة خاطفة ويقول:

- تبدين.. *أنيقة.*

يقولها بطريقة تجعلها أشبه بالسبَّة منها بالمديح، أو ربما يكون شعوري بالذنب مَا هيَّأ لي ذلك.

- شكرًا.

أميل مُستندةً إلى السور بجانبه، وأنتظره حتى يُفصح عما يُضايقه.

- هل أنتِ عائدة للتو من موعد غرامي؟

- كنتُ أحضر مناسبة.

أطابق كلامي مع كذبة أليسا. ليس ثمة ما يدعوني لمصارحته، فالوقت مبكر تمامًا على معرفة أين يمضي بي ما نشأ بيني وبين أطلس،

ولن تتسبب الحقيقة إلا في المزيد من غضب رايل. أستند بظهري إلى السور وأعقد ذراعيَّ أمام صدري وأقول:

- ماذا وراءك يا رايل؟

يتمهَّل لبرهة قبل أن يبدأ في الحديث:

- لم أشاهد هذا الكارتون قبل الليلة.

هل يفتح معي أي موضوع للحديث، أم أنه غاضب من شيء ما؟ إني محتارة جدًّا منذ بدأ هذا النقاش.

وفجأة، لا أعود محتارةً على الإطلاق!

أقسِم أنني أكون أحيانًا حمقاء شديدة الحمق؛ إنه غاضب بالطبع، لقد قرأ كل يومياتي من قبل، لذا يعرف جيدًا ما يعنيه هذا الفيلم لي بعد قراءة ما كتبتُه عنه، والآن وقد شاهده فلا بد أن يرسم الخط الواصل بين النقاط المتفرقة، ومن الحالة التي يبدو عليها الآن أرى أنه أضاف إليها نقاطًا أخرى من ابتكاره.

يستدير لي ويواجهني بتعبير يشي بشعوره بالخيانة، يقول:

- لقد أسميتِ ابنتنا *دوري*!

يقترب خطوةً ويُكمل قائلًا:

- اخترتِ هذا الاسم الأوسط بسبب علاقتكِ *بذلك الرجل*؟!

أشعر بنبض مفاجئ في جانب رأسي. *ذلك الرجل*. أشيح ببصري بعيدًا عنه فيما أفكِر في أفضل طريقة لتوضيح الأمر. عندما اخترتُ «دوري» كاسمٍ أوسط لإيميرسون، لم يكن السبب هو أطلس بالتحديد،

https://t.me/fantazynov

بل كان الفيلم يعني لي الكثير قبل معرفتي بأطلس، لكن ربما كان عليَّ أن أُعيد النظر في اختيار الاسم تحسُّبًا لهذه اللحظة.

أتنحنح حتى أجلو صوتي، وأفسح المجال لقول الصدق:

- اخترتُ هذا الاسم لأن الشخصية كانت ملهمة لي في صغري، ولا علاقة لهذا الاختيار بأي شخصٍ آخر.

يُطلق رايل ضحكة مفعمة بالحنق والإحباط، ويقول:

- إنكِ شخص بالغ الصعوبة في فهمه يا لِيلِي.

أريد أن أُجادله، أن أواصل في إثبات وجهة نظري، لكنني على وشك أن أفقد سيطرتي على أعصابي. تصرفاته تُعيد لي جميع المخاوف التي ترسبَت بداخلي بسببه. أحاول أن أُخفف من وطأة الموقف والخروج منه:

- سأعود الآن إلى البيت.

أتحرك صوب سلم البناية، لكنه يسبقني، يتجاوزني ويحول بيني وبين الباب المُفضي إلى السلم. أتراجع بانفعال إلى الوراء، وأبحث عن هاتفي داخل جيبي تحسُّبًا لأن أحتاجه.

أسمع رايل يقول:

- سنغيِّر اسمها الأوسط.

أحافظ على ثبات صوتي وصرامته وأنا أبادر بالرد عليه:

- أسميناها إيميرسون على اسم أخيك، وبهذا يرتبط اسمها بك. أما الاسم الأوسط فيربطها بي أنا، وهذا عادل بما فيه الكفاية. أنت تُحمِّل الأمر فوق ما يحتمل بكثير.

أحاول أن أمُرَّ من حوله، غير أنه يمنعني.

ألمح السور بجانب وجهي لأقيس المسافة التي تفصلني عنه. لا أهجس أنه سيدفع بي من فوق حافة السور، لكن مَن كان يتصوَّر أن يُحاول منعي من الوصول إلى السلم.

يسألني:

- هل يعرف هو بالأمر؟

ليس ضروريًّا أن ينطق باسم أطلس حتى أعرف مَن يقصد. إن الشعور بالذنب يبتلعني الآن، وأخشى أن يلمس رايل هذا الشعور.

أطلس يعرف أن دوري هو الاسم الأوسط لإيميرسون، فقد أخبرته بذلك. لكنه لا يعني أبدًا أني اخترتُ الاسم لأجل أطلس، بل لأجلي *أنا*. كانت دوري شخصيتي المفضلة من قبل أن أسمع بوجود أطلس كوريجان. أعجبتُ بقوتها، ولهذا السبب أطلقتُ اسمها على ابنتي، فالقوة هي الخصلة التي أتمنى أن تتحلَّى بها أكثر من أي شيء آخر.

لكن رد فعل رايل يُشعرني بالحاجة للاعتذار إليه، ذلك أن *البحث عن نيمو* يعني شيئًا خاصًّا لي ولأطلس، وهذا ما عرفته حين ركضتُ في الشارع وراء أطلس حتى أُخبره باسمها الأوسط.

قد يكون رايل مُحِقًّا في الإحساس بالغضب.

هنا تكمن المشكلة فيما يبدو.. من حق رايل أن يشعر بالغضب، دون أن يعني هذا أني أستحق ما ينتج عن شعوره بالغضب. إني أسقط من جديد في فخ النسيان، وعليَّ أن أتذكَّر دائمًا أني مهما فعلتُ فلن يُبرر فعلي انفعالاته المتهورة السابقة.

لستُ مثالية بالطبع، لكني لا أستحق أن أخشى على حياتي في كل مرة أرتكب فيها خطأً ما. وربما كان اختيار الاسم خطأً يستحق نقاشًا أطول، لكنني لا أشعر بالارتياح لمناقشته مع رايل فوق سطح بناية في غياب الشهود.

- أنت توترني. أتسمح أن ننزل إلى شقة أليسا؟

يتحوَّل سلوك رايل تمامًا عندما أقول ذلك، كأنما جُرِح من شدة الإهانة.

- لِيلِي، *ماذا بكِ؟!*

يبتعد عن الباب ويخطو صوب الناحية الأخرى من السطح وهو يقول:

- نحن نتحاور.. كل البشر يتحاورون.. بحق السماء!

يستدير ويوليني ظهره.

الآن يبدأ التلاعب النفسي.. إنه يحاول أن يُشككني في قواي العقلية أنْ شعرتُ بالخوف، مع أن خوفي له ما يبرره بكل تأكيد. أحدق فيه لبرهة، حتى أعرف إن كان ثمة ما يريد أن يقوله. أريد أن أُنهي هذا الجدال الآن وحالًا، لهذا أفتح الباب المُفضي إلى السلم.

- لِيلِي، انتظري.

أتوقف لأن نبرة صوته الآن أكثر هدوءًا، ما يجعلني أصدِّق أن باستطاعته الآن أن يخوض جدالًا لفظيًّا عوضًا عن الشجار المتفجِّر كالمفرقعات.

- أنا آسف، أنتِ تعرفين كيف أشعر تجاه كل ما يتعلَّق به.

إني أعرف فعلًا، وهذا بالتحديد ما يُشعرني بتلك الأحاسيس المتضاربة تجاه عودة أطلس إلى حياتي. مجرد التفكير في اضطراري لمواجهة رايل بهذه الحقيقة يجعلني أكاد أتقيَّأ، الآن على وجه الخصوص.

- أغضبني أن أكتشف أن الاسم الأوسط لابنتي قد يكون شيئًا اخترتِه لكي تؤذيني عن عمد. لا تنتظري ألا أتأثر بشيء كهذا.

أستند إلى الحائط وأعقِد ذراعي أمام صدري وأقول:

- لا شأن لهذا الاختيار بك ولا بأطلس، بل يخصني وحدي ولا أحد غيري.. أقسم على ذلك.

يبدو أن مجرد ذِكر اسم أطلس جهرًا يجعله يتمثَّل كحائلٍ يَحُول بيني وبين رايل ويملأ الهواء الذي يفصلنا، كأنه شيء ملموس يستطيع رايل أن يلكُمه إذا ما وصل إليه.

يومئ رايل إيماءة وحيدة بوجه عابس، لكن يبدو كأنه تقبَّل هذه الإجابة. لا أعرف حقيقةً إن كان عليه أن يتقبَّلها؛ ربما فعلتُ ذلك بلا وعي حتى أجرحه، لم أعُد أعرف الآن. غضبه يدفعني إلى التشكك في نواياي.

ما يبدو لي مألوفًا ومكررًا تمامًا!

نبقى صامتين لبرهة. أريد فقط أن أعود إلى إيميرسون، أما رايل فيبدو أنه لا يزال لديه ما يقوله، فهو يقترب مني ويضع يده على الحائط بجوار رأسي. أشعر بارتياح لكون ملامحه لا توحي بالغضب

الآن، غير أني لا أرتاح لتلك النظرة التي حلَّت مكان الغضب في عينيه. ليست المرة الأولى التي ينظر لي بهذه النظرة منذ افترقنا.

أشعر بجسدي يتجمَّد بفعل التغيُّر التدريجي في سلوكه. يقترب قليلًا مني، أقرب من اللازم، ويخفض رأسه ويهمس في أذني قائلًا:

- لِيلِي، تُرى ما الذي نفعله الآن؟

لا أرد عليه، لأني لا أفهم لماذا يُلقي عليَّ هذا السؤال، فنحن نخوض نقاشًا كان هو مَن بدأه.

يرفع يده ويلمس ياقة بدلتي التي تُطل من تحت المعطف الذي أرتديه. وحين يُطلق الزفير الذي يملأ صدره يندفع نَفَسُه فيتخلل شعري.

- سيمضي كل شيء أسهل كثيرًا لو استطعنا أن...

يتوقَّف رايل، ربما لكي يتدبَّر الكلمات التي سينطق بها؛ تلك التي لا أريد سماعها.

- توقَّف.

هكذا أهمس إليه، فأمنعه من إنهاء كلامه.

لا يُكمل شرح فكرته، لكنه مع ذلك لا يتراجع ويُفسح لي الطريق، بل إنني أشعر كما لو أنه قد اقترب أكثر. ليس في ماضينا ما يجعله يظن بأن طريقته هذه مقبولة لديَّ، كما أنني لم أقدِّم أية بادرةٍ تُعطيه أملًا في علاقتنا إلا الاتفاق الخاص بالتربية المشتركة لابنتنا. هو مَن يسعى دومًا لزحزحة حدود المقبول لديَّ، وأنا لم أعُد أحتمل أيًّا من ذلك.

https://t.me/fantazynov

يسألني:

- ماذا لو أنني تغيَّرت؟ تغيَّرت حقيقةً؟

عيناه مشبَّعتان بمزيج من الصدق والأسى.

ما لا يصنع أي فارق عندي على الإطلاق.

- لا يعنيني إن كنت تغيَّرتَ أم لم تتغير يا رايل. أتمنى لك ذلك، لكنني لستُ مسئولةً عن اختبار هذه النظرية.

تصدمه الكلمات بقسوة. أرى ذلك جليًّا حين يتمهَّل لبرهة حتى يبتلع ردَّ الفعل العنيف الذي لا يجب أن يصدر عنه في هذه اللحظة. يصمت عن الكلام، ويتوقف عن التحديق فيَّ والحومان حولي لكي يسُدَّ أمامي الطريق.

يتأفف بإحباط تام، ثم يتراجع ويمضي نحو السلم، وكل رجائي أن يكون قد قرر الذهاب لشقته. أسمعه يغلق باب الشقة بعُنف. لا أمضي خلفه مباشرةً، وهذا منطقي. أحتاج لمساحة لا أشعر فيها بالاختناق، أحتاج لاستعادة قدرتي على التعامل مع الأشياء.

ليست المرة الأولى التي يسألني فيها عما نفعله، كأن طلاقنا ليس إلا لعبة طويلة الأمد نلعبها معًا. أحيانًا يطرح هذا السؤال حين يمرُّ عليَّ، أحيانًا عبر رسائل نَصِّيَّة، أحيانًا يُلقيه في صيغة ساخرة كما لو كان نكتة مضحكة. لكنني أستطيع استشفاف ما يقوم به في كل مرة يُحاول فيها أن يُظهِر طلاقنا كشيء عبثي وغير منطقي؛ إنه تكتيكه الخاص للتلاعب بأفكاري. يظن أنه لو استمر في التعامل مع طلاقنا كشيء سخيف وتافه تمامًا سأوافق تدريجيًّا على العودة إليه.

https://t.me/fantazynov

ستصبح حياته أيسر كثيرًا لو عدتُ إليه، كما ستتيسر أيضًا حياة أليسا ومارشال، فلن يضطرا إلى الرقص على الحبال لمحاولة التوفيق بين طلاقنا وعلاقتهما به.

أما حياتي *أنا* فلن تكون أسهل من قريب ولا من بعيد، ليس هيِّنًا أن يخشى المرء على سلامته الشخصية في كل مرة يقع فيها في خطأ ما.

حتى حياة إيميرسون لن تكون أيسر. لقد عشتُ حياتها من قبل وأعرف صعوبة الحياة في بيت كهذا.

أنتظر حتى يفتر غضبي قبل أن أنزل، لكنه لا يفتر ولو بنسبة ضئيلة، بل يتصاعد مع كل درجة أهبطها من درجات السلم. أشعر بأن الغضب الذي يتراكم بداخلي يفوق كثيرًا ما يستدعيه الموقف، ربما يكون ذلك ما كيفتُ نفسي على الشعور به حين يكون رايل موجودًا، أو مزيجًا بين هذا وحاجتي الماسَّة إلى النوم، أو ربما بسبب الموعد الغرامي الذي كدتُ أفسده. أيًّا كان ما يُسبب لي هذا الانفعال الحاد فإنه يتصاعد الآن وأنا أقف أمام باب شقة أليسا.

أحتاج لبرهة حتى أجمع شتاتي قبل الدخول إلى ابنتي، لهذا أجلس على البسطة أمام باب الشقة أمَلًا في تفريغ ما يعتمل بداخلي. أفضِّل أن أذرف الدموع وحدي بعيدًا عن العيون. الطلاق يجتاحني؛ فكرة أني أمٌّ وحيدة عازبة تجتاحني بنفس القوة؛ إدارة العمل أيضًا، والتعامل مع طليقي الذي يخيفني تكتسحني بلا هوادة.

هناك أيضًا تلك الشظية الحادة من الخوف، التي تتسلل إلى وعيي حين يردد رايل أن طلاقنا كان خطأً فادحًا وغير منطقي. ذلك أنني

أتساءل أحيانًا إن كانت تفاصيل حياتي ستجتاحني بنفس الضراوة لو كان لي زوج يتحمَّل معي مسئولية رعاية طفلتنا. كما أتساءل في أحايين أخرى إن كنتُ أبالغ في التحفُّظ حين لا أسمح لابنتي بالمبيت مع والدها. ليس للعلاقات واتفاقات الرعاية المشتركة كتالوج مكتوب بكل أسف.

لا أعرف إن كانت كل خطوةٍ أخطوها هي عين الصواب، لكنني أفعل ما بوسعي بالتأكيد ولا ينقصني ألاعيبه النفسية فوق ما كل ما أعانيه.

ليتني في البيت الآن؛ لكنتُ ذهبتُ من فوري لصندوق مجوهراتي واستخرجتُ منه قائمة التذكيرات. الأفضل أن ألتقط صورة لها حتى أجدها على الهاتف كلما احتجتُ لقراءتها. من الواضح أنني لا أقدِّر جيدًا مدى الصعوبة والإرباك الذي يمكن أن ينتج عن التعامل مع رايل.

كيف يُمكن للناس أن يجتازوا تلك الدوائر المغلقة إن لم يكن لديهم ما لديَّ من دعم العائلة والأصدقاء؟ كيف يحتفظون بتماسكهم في كل لحظة من اليوم؟ أشعر كأن الأمر يتوقَّف على لحظة وحيدة من الضعف والشعور بانعدام الأمان في وجود طليقك، حتى تشك في قرارك بإنهاء الارتباط.

إن أي شخص هَجَرَ زوجًا متلاعبًا ومستغلًّا ثم ثبت على موقفه يستحق نيشانًا أو تمثالًا أو فيلمًا يُمجِّد بطولته الخارقة.

https://t.me/fantazynov

لقد دأب المجتمع على عبادة الأبطال الخاطئين طوال هذه العصور، وقد صرتُ مقتنعةً تمامًا أن رَفْعَ بنايةٍ يحتاج لقوةٍ أقل من تَرْك علاقة انتهازية دون رَجْعَة.

لا أزال أبكي بعد مرور عدة دقائق من جلوسي أمام باب أليسا، والآن يُفتح الباب ويخرج مارشال حامِلًا كيسَي قمامة. يتوقف حين يراني جالسةً على الأرض، يُدير عينيه في المكان كأنه يأمل في وجود شخص آخر يُساعدني. لستُ بحاجةٍ لمساعدة، كل ما أحتاجه لحظة أستجمع فيها نفسي.

يترك مارشال الكيسين على الأرض ويقترب مني، يترك مسافة يسيرة ويجلس فاردًا ساقيه أمامه. يهرش ركبته في عدم ارتياح ويقول:

- لا أعرف ماذا أقول، لا أُجيد التحدث في هذه المواقف.

أضحك من بين دموعي بسبب ارتباكه، أرفع يدي في إحباط وأقول:

- أنا بخير، كل ما في الأمر أني أحتاج للبكاء قليلًا عند شجاري مع رايل.

يُحرك مارشال ساقه كأنه يستعد للقيام وتقفِّي أثر رايل، يسألني:

- هل مَسَّكِ بسوء؟

- لا، لا، كان هادئًا لحدٍّ بعيد.

يعود مارشال للجلوس بارتياح على الأرض، ولا أعرف لماذا أفعل ذلك، ربما لأنه الشخص الوحيد سيئ الحظ الموجود أمامي الآن، فأفرِغ كل ما في جُعبتي عليه.

- أظن أن المشكلة هذه المرة أن لديه *الحق* في الحنق عليَّ، وبرغم ذلك كان هادئًا نسبيًّا. نتجادل أحيانًا ولا يصل بنا الجدال إلا إلى الخلاف الطبيعي في وجهات النظر. وعندما يحدث ذلك أتساءل إن كنتُ قد بالغتُ في ردة فعلي حين طلبتُ الطلاق. أعني، أعلم يقينًا أني لم أبالغ في ردة فعلي.. *أعرف* ذلك، لكن رايل لديه أسلوبه في زرع الشكوك داخل نفسي، فيجعلني أتساءل هل كانت الأمور ستتطور إلى الأفضل لو أمهلتُه بعض الوقت ليُطوِّر من نفسه.

أشعر بالذنب أني ألقي بكل ذلك على كاهل مارشال، فرايل أعز أصدقائه وليس من العدل أن يتحمَّل ذلك.

- أنا آسفة، فهذا ليس شأنك.

- لقد غشَّتني أليسا.

أتفاجأ بكلامه فأسقط في الصمت لخمس ثوانٍ ثم أقول:

- مـ ... ماذا؟!

- مضى وقتٌ طويلٌ منذ حدث ذلك، لقد تجاوزناه نحن الاثنان، لكن يا للعنة.. الوجع باقٍ كالجحيم، لقد كسرَتْ قلبي.

أهز رأسي في محاولة لاستيعاب ما يقول، فيما يستمر هو في الحديث، فأحاول متابعته.

- لم نكن في أفضل حالاتنا، كنا نذهب لكليتين مختلفتين ونعمل في أماكن بعيدة، وكنا صغارًا، ولم يحدث شيء ذو بال، نامت مع شخص ما وهي مخمورة في إحدى الحفلات، قبل أن تتذكَّر

https://t.me/fantazynov

كم أنا مُذهل ورائع. لكن حين أخبرتني بما حدث.. لم يحدث قط أن غضبتُ في حياتي لهذه الدرجة، لم يجرحني شيء كما فعل هذا الموقف. أردتُ أن أنتقم منها: أردتُ أن أخونها كما فعلت بي، حتى تعرف كيف شعرت؛ أردتُ أن أُفرغ إطارات سيارتها وأستنزف كروتها الائتمانية وأحرق جميع ملابسها، لكنها حين كانت تقف أمامي، ومهما كان غضبي مُحتدمًا، لا يذهب فكري قط ولو لثانية واحدة نحو إيذائها بدنيًّا. كل ما أردته أن أحتضنها وأبكي فوق كتفها.

ينظر إليَّ مارشال بكل صدق، ويكمل قائلًا:

- حين أفكر في إمكانية أن يضربكِ رايل.. يجتاحني غضب غامض وغير مفهوم، فأنا أحبه، إنه أقرب أصدقائي منذ كنا أطفالًا، غير أني أكرهه لأنه ليس أفضل مما هو عليه. ليس هناك في ما فعلتِه أو ما يمكن أن تفعليه ما يبرر لأي رجل أن يمُدَّ يده عليكِ بدافع من الغضب. تذكَّري ذلك يا لِيلِي. لقد اخترتِ الصواب بتركِكِ لهذه الحياة. إياكِ أن تشعري بالندم حيال ذلك. الفخر هو الشعور الوحيد الذي تستحقينه.

لم يكن لديَّ أدنى فكرة عن حجم العبء الذي يُلقيه على كاهلي هذا الموقف، لكن كلام مارشال أزاح عني الكثير، حتى لكأنني سأطفو في الهواء.

https://t.me/fantazynov

لو جاءت هذه الكلمات من شخص آخر فلن تعني أكثر مما تعنيه لي الآن، فثمة ما يُطمئنني ويدعم موقفي أن يجيء هذا التأكيد من شخص يُحب رايل ويعتبره بمثابة أخٍ له.

- أنتَ مخطئ يا مارشال. أنتَ أفضل مَن يتحدَّث في مثل هذه المواقف.

يبتسم مارشال ويُساعدني في النهوض على قدميَّ. يحمل كيسَي القمامة، وأتوجَّه أنا لداخل الشقة لأحمل ابنتي وأحتضنها بقوة.

https://t.me/fantazynov

الفصل الثالث عشر

أطلس

من المذهل أن تتحوَّل الليلة من الشيء الذي كنتُ آمل أن يحدث منذ سنوات، إلى النقيض الذي كنتُ أخشى حدوثه خلال نفس السنوات!

لو لم أتلقَّ تلك الرسالة النصية وأنا أوصِّل لِيلِي، لكنتُ قبَّلتها دون أدنى شك، لكنني فضَّلتُ ألا أفعل حتى لا يشوب قُبلتنا الأولى ونحن بالغان أي تشتيت.

الرسالة من دارين، تُخبرني بأن أُمي موجودة في مطعم بيبز. لم أكشف للِيلِي موضوع الرسالة لأني لم أخبرها بعد عن محاولات أمي لاستعادة مكانها في حياتي. وما إن أخبرتها باتصال أمي حتى شعرتُ بالندم. كانت الليلة تمضي كأفضل ما يكون، وفي إنهائها بنغمة حزينة كهذه مُخاطرة مؤكدة.

لم أُجِب على رسالة دارين حتى لا أُقاطع حديثي مع لِيلِي، لكن حتى بعد نهاية موعدنا وتفرقنا كلٍّ في سيارته لم أُقدِم على الرد على رسالته. مضيتُ بالسيارة أقطع الشوارع بلا هدف لمدة نصف ساعة، أفكر في أفضل كيفية للتعامل مع الموقف.

https://t.me/fantazynov

أرجو أن تكون أمي قد تعبَت من انتظاري، فقد استغرقتُ وقتًا طويلًا قبل العودة إلى المطعم، لكن بما أنني وصلتُ الآن فعليَّ أن أواجه الأمر، إذ تبدو مُصِرَّةً على الحديث معي.

أركن في الشارع الضيق المتواري خلف بيبز حتى أدخل من الباب الخلفي تجنُّبًا لوجودها في مدخل المطعم، أو على طاولة تُطل على الواجهة. لستُ متأكدًا إن كانت ستعرفني حين تراني من الأساس، لكني أفضِّل أن أخرج إليها وِفق رغبتي وعلى طريقتي.

يلمحني دارين داخلًا من الباب الخلفي فيتقدَّم نحوي مباشرة:

- هل وصلتكَ رسالتي؟

أومئ أنْ نعم وأنا أخلع المعطف وأقول:

- وصلَت. ألا تزال هنا؟

- نعم، أصرَّت على الانتظار. أجلستها إلى طاولة 8.

- شكرًا.

يرمقني دارين بحذر، ويقول:

- ربما أتجاوز حدودي، لكن.. أُقسِم أنك قُلت إن أمك ميتة.

أكاد أضحك.

- لم أقُل *ميتة*. قلتُ إنها غير موجودة، وهناك فارق.

يشعر دارين بالعاصفة التي تحتشد بداخلي فيقول:

- أستطيع أن أخبرها بأنك لن تأتي الليلة.

- لا عليك، إحساسي يُخبرني بأنها لن تتخلَّى عن موقعها حتى أتحدَّث إليها.

يومئ دارين موافقًا ثم يستدير عائدًا لمكانه من المطبخ.

يسعدني أنه لا يُلح بالكثير من الأسئلة، فأنا لا أعرف حقيقةً سبب وجودها هنا اليوم، ولا مَن تكون الآن. غالبًا تحتاج لنقود. اللعنة، سأُعطيها ما تريد لو ضمن ذلك ألا تتصل بي أو تظهر من جديد.

عليَّ أن أتأهَّب لهذا الاحتمال. أذهب إلى غرفة المكتب وأتناول حفنةً من النقود من داخل الخزينة ثم أعبر من المطبخ إلى صالة المطعم. أتردد قبل أن أنظر إلى الطاولة رقم 8.

وحين أنظر، أُسَرُّ لرؤيتها جالسةً وظهرها إليَّ.

أستعيد هدوئي بنَفَسٍ عميق ثم أتوجَّه ناحيتها. لا أريد أن أُضطر إلى معانقتها أو تصنُّع الملاطفات غير الصادقة، لذا لا أترك الوقت يَمُرُّ بين ملاحظتها إيَّاي وسحْبِي للكرسي المواجه لها والجلوس عليه.

لها نَفْس السحنة اللا مبالية التي لطالما نظرَت لي بها عبر الطاولة، وثمة تقطيبة خفيَّة تلوح عند ركن شفتَيها كما كانت دومًا. إنها عابسة على الدوام، حتى إن لم تقصد ذلك.

إنها تبدو متداعية.. مرَّ نحو ثلاثة عشر عامًا فقط منذ آخر مرة رأيتها فيها، لكنَّ وجهها يحمل حمولة عشرات السنوات من التجاعيد حول فمها وعينيها.

تستطلعني لبرهة. أُدرك أني أبدو مختلفًا تمامًا عن آخر مرة رأتني فيها، غير أنها لا تُبدي أي استغراب مما طرأ عليَّ. إنها شديدة التماسك، كأنني الشخص الذي عليه أن يبدأ الحديث، ما لا أفعله حقيقةً.

أخيرًا تقول وهي تُلوِّح بيدها في محيط المطعم:

https://t.me/fantazynov

- هل كل هذا مِلكُك؟

أومئ بالإيجاب، فتقول:

- يا للروعة.

لو أن أحدًا يتابع حديثنا لكان قد تصوَّر أنها مذهولة من فرط الإعجاب، غير أن هذا التصوُّر ليس إلا جهلًا بطبيعتها. هذا التعليق يُقصَد به إحباطي لا أكثر، كأنما تقول: *يا للغرابة يا أطلس.. لستَ ذكيًّا بما يكفي لامتلاك شيءٍ كهذا.*

- كم تحتاجين؟

تُحوِّل عينيها وتقول:

- لستُ هنا لأجل المال.

- فما السبب إذن؟ هل تحتاجين كُلية؟ *قلب*؟

تستند إلى ظهر المقعد وتضع يديها فوق حِجرها وتقول:

- يبدو أني نسيتُ مدى صعوبة النقاش معك.

- فلماذا تستمرين في المحاولة؟

تضيِّق أمي عينيها، لم تعرف إلا النسخة القديمة مني حين كنت أخاف منها وأشعر حيالها بالتهديد. لم أعُد مهددًا ولا خائفًا، فقط ساخطًا ومُحبَطًا.

تنفخ غضبًا ثم تضع يديها من جديد فوق سطح الطاولة وتطويهما معًا. ترمقني بنظرة ثاقبة وتقول:

- لا أستطيع العثور على جوش.. كنتُ أتمنى أن تكون قد تحدَّثتَ إليه.

أعرف أن زمنًا طويلًا قد مرَّ منذ آخر مرة رأيت أمي، لكنني لا أذكر أي شخص يُدعى جوش. *تُرى مَن يكون هذا الجوش؟ عشيق جديد تحسب أن عليَّ معرفته؟ هل عادَت لتعاطي المخدرات؟*

- إنه يفعل ذلك طوال الوقت، لكن ليس لهذه المدة الطويلة. إنهم يُهددون بتحويل المسألة لاتهام بالتهرب من المدرسة لو استمر في التغيُّب عن الحضور.

أشعر بأنني تُهتُ منها تمامًا، أسألها:

- مَن يكون جوش؟

يسقط رأسها إلى الوراء كأنما شعرَت بالضيق من حاجتي إلى السؤال.

- جوش، أخوك الأصغر. لقد هرب ثانيةً.

أخي. أنا؟!

أخي!

- ألا تعرف أن أولياء الأمور قد يُسجَنون نتيجةً للاتهامات المُتعلِّقة بغياب الأبناء؟ أنا مُعرَّضة للسجن يا أطلس.

- هل عندي *أخ*؟!

- ألا تعلم أنني كنتُ حُبلى عندما هربتَ من البيت؟

ليس لديَّ أدنى معرفة بهذه المعلومة!

- لم أهرب من البيت، بل أنتِ مَن طردتِني من البيت طردًا.

لا أعرف لماذا أوضِح هذا الأمر، فهي تعلم ذلك يقينًا. إنها تحاول أن تُحوِّل دفة الاتهام في اتجاهي. غير أن طرْدها لي يبدو مفهومًا الآن

https://t.me/fantazynov

أكثر من أي وقت مضى، كانا ينتظران مولودًا جديدًا، ولم يكُن لي مكان يريانه مناسبًا في مستقبل البيت.

أرفع ذراعيَّ وأشبِّكهما خلف رأسي في إحباط، مصدومًا، ثم أنزلهما مجددًا على الطاولة وأميل إلى الأمام متَّخِذًا موقفًا أكثر وضوحًا:

- هل عندي أخ؟ كم عُمره؟ مَن يكون.. هل تيم هو والده؟

- عمره أحد عشر عامًا. وآستنتاجك صحيح، تيم هو والده، لكنه غادر قبل سنوات، ولا أعرف أين يعيش الآن.

أنتظر حتى تفرغ مما لديها. توقعتُ أي شيء وكل شيء إلا هذا. لديَّ سيل هائل من الِأسئلة، لكن الأهم الآن هو أن نجد هذا الصبي.

- متى رأيتِه آخر مرة؟

https://t.me/fantazynov

- قبل أسبوعين بالتقريب.

- وهل أبلغتِ البوليس بغيابه؟

ترسم وجهًا غير مرتاح وتقول:

- لا، بالطبع لا. ليس مفقودًا، بل إنه يريد فقط أن يُضايقني.

ألجأ إلى الضغط على جانبَي رأسي حتى أمنع نفسي من التصايُح بصوت مرتفع. لا أفهم إلى الآن كيف عثرت عليَّ، ولا لأي سبب تظن أن صبيًّا في عمر الحادية عشرة يُحاول أن يُلقِّنها درسًا فحسب، لكنني أوجِّه كل تركيزي الآن للعثور على الصبي.

- هل عُدتِ إلى بوسطن؟ هل فقدتِه هنا؟

يبدو الارتباك على وجه أمي، تقول:

- عُدتُ؟!

https://t.me/fantazynov

نبدو كأننا نتحدَّث لغتين مختلفتين.

- هل عُدتِ إلى السكن هنا أم لا زلتِ تعيشين في ماين؟

- أوه، يا إلهي!

بهذا تتمتم وهي تُحاول أن تتذكر، ثم تُكمل قائلة:

- لقد عدتُ بالفعل، كما كنتُ قبل عشر سنوات حين كان جوش رضيعًا عمره عام واحد.

هل تعيش هنا منذ عشر سنوات؟!

- سيقبضون عليَّ يا أطلس!

طفلها غائب منذ أسبوعين، وهي قلِقة من أن يُقبَض عليها أكثر من العثور عليه. *بعض الأشخاص لا يتغيّرون أبدًا!*

- ماذا تريدينني أن أفعل لكِ؟

- لستُ أدري.. أملتُ أن يكون قد توصّل إليك بأية وسيلة فتُخبرني بمكانه. لكن حيث إنك لا تعرف بوجوده من الأصل...

- ما الذي سيجعله يلجأ إليَّ؟ هل يعرفني؟ ماذا أخبرتِه؟

- فضلًا عن اسمك، لا شيء.. ماذا كان سيعرف وأنت غير موجود؟!

الأدرينالين يتدفَّق بداخلي بأقصى سرعة، إنه لشيء صادم أن لا أزال أجلس قبالتها وأستمع إليها. يتشنَّج جسمي تمامًا وأنا أميل إلا الأمام قائلًا:

- دعيني أستوضح الأمر.. لديَّ أخ صغير لم أسمع بوجوده من قبل، وقد جعلتِه يظن أني لا أهتم بوجوده؟

https://t.me/fantazynov

- لا أظنه يفكِّر فيك يا أطلس، لقد كنتَ غائبًا طيلة حياته.

أتجاهل عبارتها لأنها تُجافي تمامًا الحقيقة. أي طفل في عُمره سيظل مشغولًا بأخيه الأكبر الذي هجره وتركه وحيدًا. أوقن أنه يكره فكرة وجودي من الأساس. يا إلهي.. لا بد أن يكون هو مَن.. *اللعنة، إنه هو بالتأكيد!*

هذا يُفسِّر كل شيء. أراهن على المطعمين اللذين أملكهما أنه مَن قام بهذا التخريب، ولهذا ذكَّرَتني الطريقة التي كُتِبت بها تلك السُّبَّة بأمي. صبي في الحادية عشرة؛ لا بد أن يكون باستطاعته البحث عن معلوماتي على الإنترنت.

أسألها:

- أين تعيشين؟

تتلوَّى في مقعدها ثم تقول:

- نحن نغيِّر مسكننا، لذا أقمنا في فندق رايزمور منذ شهرين.
- إذًا عودي إلى هناك حتى يجدكِ إذا ما عاد.
- لم يعُد لديَّ ما يكفيني للإقامة هناك، فقد تركتُ عملًا ولم ألتحق بعد بوظيفة جديدة، لذا أُقيم مع صديقة هذه الأيام.

أنهض وأُخرِج النقود من جيبي وأُلقيها على الطاولة أمامها.

- هل الرقم الذي اتصلتِ بي منه قبل أيام رقم هاتفكِ؟

تومئ بالإيجاب، فيما تجمع النقود الملقاة على الطاولة.

- سأتصل بكِ لو توصلتُ إلى شيء. عودي إلى الفندق وحاولي النزول في نفس الغرفة، سيحتاج لوجودكِ هناك حالما يعود.

تومئ ثانيةً وهي تبدو لأول مرة خَجِلةٍ من نفسها. أتركها لهذا الشعور دون أن أُلقي بكلمة وداع. أتمنى أن تشعر بنسبة مهما كانت ضئيلة مما تسببت لي في شعوره لمدة سنوات، وهو نفس ما يشعر به أخي الصغير الآن فيما يبدو.

لا أستطيع التصديق، لقد أنجبَت شخصًا كاملًا دون أن تفكِّر في إخباري!

أعبر من المطبخ مباشرةً إلى الباب الخلفي. الشارع الضيق خالٍ تمامًا الآن، ما يمنحني برهة أستجمع فيها نفسي؛ لا أذكر أن مررتُ قبل اليوم بموقف صادم لهذه الدرجة.

طفلها يجوب وحيدًا شوارع بوسطن منذ أسبوعين لَعِينَين، وهي لا تُحرِّك ساكنًا حتى هذه اللحظة! لا أفهم لماذا تُدهِشني هذه الأفاعيل؛ هذه حقيقتها. هكذا كانت منذ الأزل.

يطلق هاتفي رنينًا مفاجئًا. أشعر كأنني على الحافَّة تمامًا، أريد أن أُلقي به في صندوق القمامة، لكن حين ألاحظ أن لِيلِي تُحاول الاتصال بي عبر فيستايم أعود إلى تماسُكي.

أُمرر إصبعي عبر شاشة الهاتف متأهبًا لإخبارها بأن الوقت غير مناسب لهذه المحادثة، فيظهر وجهها على الشاشة ويجعل الوقت مثاليًّا جدًّا للحديث. يعود إليَّ الهدوء حالما تعاود الظهور، مع أنني تركتُها قبل ساعة واحدة. قد أعمل أي شيء الآن مقابل الوصول إليها عبر الهاتف واحتضانها كما أحتاج.

- أهلًا.

https://t.me/fantazynov

أحاول أن أحافظ على نبرة صوتي خالية من الانفعال، لكن ثمة حدة تظهر في صوتي لا أستطيع إخفاءها، تُلاحظها لِيلِي فيتخلل نبرة صوتها شيء من القلق:

- هل أنت بخير؟

أومئ برأسي وأنا أقول:

- تدهورت الأمور قليلًا عند عودتي إلى المطعم، لكنني بخير.

تبتسم، لكن بطريقة يشوبها الحزن، وتقول:

- نعم، هذا ما حدث معي أيضًا.

لم ألحظ قبل هذه اللحظة، لكن الآن يبدو أنها كانت تبكي. عيناها زجاجيتان، وفيهما تورُّم طفيف.

- هل *أنتِ* بخير؟

تعتصر ابتسامة جديدة وتقول:

- سأكون بخير. أردتُ فقط أن أشكرك على هذه الليلة قبل أن أنام.

ليتها تقف أمامي الآن. لا أُطيق رؤيتها حزينةً هكذا؛ حزنها يجعلني أستعيد كل المواقف التي رأيتها فيها حزينة ونحن صغار. على الأقل كنتُ آنذاك قريبًا منها وأستطيع معانقتها. *ربما لا زلتُ أستطيع.*

- هل ستشعرين بتحسُّن لو قمتُ باحتضانكِ؟

- بالطبع. سأتحسَّن حالما أحصل على كفايتي من النوم. لنتكلم غدًا؟

ليس لديَّ أدنى فكرة عما جرى بين لقائنا قبل قليل وهذه المكالمة، غير أنها تبدو مهزومةً تمامًا، قريبة الشبه بدرجة كبيرة بما أشعر به الآن.

- لا يستغرق الحضن سوى ثانيتين، وسيجعلكِ تنامين أفضل كثيرًا. سأعود سريعًا قبل أن يلحظ أحد غيابي، ما عنوانكِ؟

تطفو ابتسامة طفيفة من بين أحزانها، وتقول:

- ستقود لمسافة خمسة أميال فقط لتحضنني؟

- بل *أركض* الخمسة أميال فقط لأحضنكِ.

تتسع ابتسامتها إثر هذه الجملة، تقول:

- سأرسل إليك بالعنوان، لكن لا تطرق الباب بصخب بالغ، فقد وضعتُ إيمي لتنام منذ لحظات.

- أراكِ قريبًا.

https://t.me/fantazynov

الفصل الرابع عشر

لِيلي

مَرَّ وقت طويل منذ خرجتُ من دائرة المواعيد الغرامية، فلو كانت كلمة *عناق* قد صارت رمزًا لما هو أبعد من ذلك فكيف لي أن أعرف..

العناق لا يعني سوى العناق، بالتأكيد.

أتعامل بالكاد مع السوشيال ميديا، فما بالي باللغة العامية وتحوُّراتها.. أستطيع أن أُقسِم على أنني أكثر مواطني الألْفية الجديدة مُفارقةً للواقع. أشعر كأنني قفزتُ رأسًا من أواسط القرن الماضي إلى اللحظة الراهنة. أعيش في الألفية الجديدة بعقلية مواليد الخمسينيات. *مواطن خمسينياتي*. اللعنة، أمي من مواليد الخمسينيات وغالبًا تفوقني معرفة بهذه التطورات. هي مَن لديها صديق جديد، لذا فالأجدر بي أن أهاتفها وأسألها عن مصطلح العناق.

أغسل أسناني، تحسُّبًا لأن يكون العناق قد تحوَّل لـ *قُبلة*. ثم أبدل ملابسي مرتين، قبل أن أعود لارتداء البيجاما التي كنتُ أرتديها أثناء مكالمة الفيستايم. أحاول جاهدةً ألا أبدو كمَن يحاول جاهدًا، فالمرأة أحيانًا تسرف في الأمور لدرجة الحماقة.

https://t.me/fantazynov

أذرع شقتي تحسُّبًا لطَرْقِه باب الشقة. لا أعرف لماذا أشعر بكل هذا التوتر؛ لقد أمضيتُ معه ثلاث ساعات منذ قليل.

بالأحرى، ساعة ونصف لو خصمنا مدة التعسيلة التي حصلتُ عليها أثناء موعدنا الغرامي.

بعد عشرات الجولات رواحًا وجيئة، أسمع طَرْقة خفيفة على باب الشقة. أعرف يقينًا أنه أطلس، لكني أنظر عبر العين السحرية على كل حال.

يبدو وسيمًا حتى عبر العين السحرية. أتبسَّم حين ألاحظ أنه بدَّل ملابسه؛ يرتدي جاكيتًا خفيفًا مع الملابس نفسها، لكن حتى هذا يُعَدُّ تغييرًا ما.. كان يرتدي معطفًا ثقيلًا حين خرجنا معًا قبل قليل، لكنه يرتدي الآن جاكيتًا خفيفًا رمادي اللون.

يا إلهي، إني أهيم به إعجابًا..

أفتح الباب، ولا يُمهلني أطلس ولو ثانية واحدة بين تلاقي أعيننا وضمِّه لي داخل حضنه.

يضمُّني بشدةٍ تثيرني لسؤاله عما مَرَّ به خلال الساعة الماضية، لكنني لا أسأله. فقط أحتضنه في صمت، وأريح خدِّي فوق كتفه وأستمتع بحقيقة وجوده.

لم يعبر حتى لداخل الشقة. نظل واقفين في مدخل الباب، كأنما العناق لا يعني أكثر من العناق فحسب. عطره لطيف، يذكرني بالصيف، كأنما يعاند البرد. كان قلِقًا قبل قليل من أن يفوح برائحة الثوم، لكن كل ما شممته منه هو هذا العطر اللطيف.

يرفع يده ويضعها على رأسي من الخلف ويقول:

- هل أنتِ بخير؟

أردُّ بنبرةٍ مكتومة:

- الآن صرتُ بخير.

ثم أسأله:

- وأنت؟

يتنهد بعُمق دون أن يقول إنه بخير، يترك الإجابة مُعلَّقة في زفيره، ثم يُفلِتني ببطء. يرفع يده ويمرر أصابعه على خصلة من شعري، ويقول:

- أرجو أن تنالي كفايتكِ من النوم اليوم.

- أرجو لك نفس الشيء.

- لن أعود إلى البيت، سأبات في المطعم هذه الليلة.

يُلقي بهذه العبارة بطريقة توحي بأنه كان يُفضِّل ألا يقول أي شيء، ثم يُكمل قائلًا:

- إنها حكاية يطول شرحها، وعليَّ أن أسرع بالعودة. غدًا سأخبركِ بكل شيء.

أريد أن أدعوه للدخول حتى أسمع منه جميع التفاصيل، لكنني أشعر بأنه لو كان رائق المزاج لكان أخبرني بكل شيء دون حاجة لإلحاح. كما أنني لستُ في حالة مزاجية تسمح بالحديث عما جرى مع رايل، فلا يمكن أن أجبره على الحديث عما أفسد ليلته. كنتُ أتمنى لو كانت ثمة طريقة لإصلاح الأمر ولو قليلًا.

أشرئب بعنقي حين أفكر في شيء قد يُحقق المأمول، أقول:

- هل تريد قراءة المزيد؟

تلمع عيناه ببريق الحماس، ويقول:

- بالطبع.

- ابقَ في مكانك.

أتَّجه إلى غرفة نومي وأفتِّش في الصندوق خاصَّتي بحثًا عن اليوميات التالية. عندما أجدها آخذها إليه. أمازحه قائلةً:

- هذا العدد أكثر إثارة للخيال!

يتناول مني مفكِّرة اليوميات، وبيده الأخرى يُحيطني ويجذبني إليه، وبحركة خاطفة يخطف قُبلةً عجلى، شديدة الرقة والسرعة، حتى إنها تنتهي قبل أن يتم تسجيلها.

- تُصبحين على خير، لِيلِي.

- تُصبح على خير، أطلس.

لا يتحرك أي منا، كأنما سنتألَّم فور افتراقنا. يجذبني أطلس بقوة أكبر ويميل بشفتيه على عظمة الترقوة حيث يختبئ الوشم أسفل قميص بيجامتي؛ الوشم الذي لا يعرف بوجوده من الأساس، يُقبِّله دون أن يعلم بمكانه، ثم، ويا للأسف، يرحل.

أغلق الباب وألصق جبهتي به. أشعر بكل المشاعر المألوفة حين يفتنني شخص ما، لكنها هذه المرة ممزوجة بالقلق والتردد، على الرغم من أنه أطلس، الذي هو أحد الأخيار القليلين في هذا العالم.

ألوم رايل على هذا الشعور. لقد أمسك بالقليل الباقي من ثقتي تجاه الرجال بعد ما عانيتُه من أبي، وانتزعه مني.

https://t.me/fantazynov

لكنني أظن أن افتتاني بأطلس علامة على قدرته على إعادة ما أخذاه مني أبي ورايل. تتقلص معدتي نتيجة الاضطراب الذي تركني فيه أطلس، كما أن معرفتي بما سيشعر به رايل لو علم بالأمر تُرديني من ارتفاع مترين.

كلما ازداد شعوري بالسعادة للقاء أطلس، تعاظم شعوري بالخشية من إخبار رايل.

https://t.me/fantazynov

الفصل الخامس عشر

أطلس

عندما كنتُ مجنَّدًا في الجيش، كنتُ متمركزًا مع زميل عائلته من بوسطن، وكان عمه وعمته يتأهَّبان للتقاعُد ويرغبان في بيع المطعم الذي يملكانه. كان اسم المطعم ميلاز، وحين زُرتُه في الإجازة السنوية وقعتُ في غرامه. قد أُرجِع الأمر إلى جودة الطعام الذي يُقدِّمه، أو لوجوده في بوسطن، غير أن الحقيقة أني أُغرَمتُ به بسبب الشجرة المحنَّطة التي كانت تتوسَّط صالة الطعام الرئيسية.

ذكَّرتني هذه الشجرة بلِيلِي.

لو كان ثمة شيء حقيق بأن يُذكِّرنا بحُبِّنا الأول، فغالبًا لن يقع اختيارنا على الأشجار، فهي موجودة في كل مكان وستظل تُذكِّرنا بهذا الحب في كل لحظة. هذا ما حدث معي فصرتُ أفكِّر في لِيلِي في كل يوم منذ بلغتُ الثامنة عشرة، لكن ثمة سببًا آخر ظل يُذكِّرني بها هو شعوري بأني مدينٌ لها بحياتي آنذاك.

لستُ متأكدًا إن كانت الشجرة هي ما شدَّني إلى المكان، أم بسبب التجهيزات المكتملة وطاقم العمل المميز، لكني شعرتُ بانجذاب لفكرة شراء المطعم وقتما يكون ذلك متاحًا. لم يكن هدفي أن أمتلك مطعمًا فور انتهاء تجنيدي، لكني كنتُ أخطط للعمل طاهيًا محترفًا

https://t.me/fantazynov

حتى أكتسب الخبرة أولًا، وحين ظهرت هذه الفرصة وجدتُني غيرَ قادرٍ على إهمال هذا الاحتمال، فاستعنتُ بالمال الذي ادَّخرته من عملي في البحرية وحصلتُ على قرض بنكي للأعمال الصغيرة واشتريتُ المطعم. غيرتُ اسمه، وأعددتُ قائمة طعام جديدة كُلِّيًّا.

أشعر أحيانًا بالذنب بسبب النجاح الذي حققه مطعم بيبز، كأنما لم أسدد ديوني بعد لأصحاب المطعم السابقين. لم أرث طاقم العمل فحسب، وهم محترفون يعرفون مُسبقًا ما عليهم القيام به، بل ورثت الزبائن أيضًا. لم أبنِ النجاح من الصفر، ولهذا أعاني من متلازمة النَّصب والخداع كلما هنَّأني أحد بنجاح مطعم بيبز.

لذلك افتتحتُ مطعم كوريجانز. لم أكُن أسعى لإثبات أي شيء لأي شخص آخر سواي، لكنني كنتُ مصممًا على طمأنة نفسي أنه باستطاعتي أن أصنع النجاحَ من الصفر. أردتُ أن أتحدى نفسي أني أستطيع صناعة شيء من اللا شيء، ومشاهدته ينمو ويزدهر. وهذا شبيه بما كتبَتْه لِيلِي في يومياتها عن شغفها بزراعة النباتات في حديقتها حين كنا في عُمر المراهقة.

ربما لهذا السبب أشعر بميولٍ دفاعية تجاه كوريجانز أكثر من بيبز؛ لأني صنعته من اللاشيء. وقد يكون شعوري هذا هو سبب بذلي لجُهد أكبر بكثير للدفاع عنه، فنظام الأمان في كوريجانز أصعب في اختراقه بما لا يُقارَن بنظيره في بيبز.

لهذا اخترتُ أن أقضي الليلة في بيبز، مع أن الدور كان على كوريجانز لو تتبَّعنا الجدول المنتظم الذي يتَّبعه هذا الصبي في اقتحام

https://t.me/fantazynov

المطعمين. أول اقتحام كان من نصيب بيبز، الثاني ناله كوريجانز، وحصل الصبي بعده على راحة لعدة أيام، ثم اقتحم بيبز مرتين متتاليتين. ربما أكون مخطئًا لكن شعوري يُخبرني بأنه سيظهر هنا مرة ثالثة قبل أن يعاود مهاجمة كوريجانز، والسبب ببساطة أنه أحرز نجاحًا أكبر في اقتحام المطعم الأقل تأمينًا. كل ما أرجوه ألا تكون هذه الليلة إحدى الليالي التي يُقرر فيها أن يغيب عن المشهد.

لا شك أنه سيظهر هنا لو أحسَّ بالجوع؛ بيبز هو الرهان الأرجح لو أردتَ الحصول على الطعام، ولهذا أختبئ في الجانب البعيد عن صندوق المخلَّفات، في انتظاره. سحبتُ كرسيًّا باليًا يستخدمه المدخنون في أوقات راحتهم، ورحتُ أُزجِّي الوقتَ في القراءة. صاحبَتني كلمات لِيلِي، وساعدتني في تزجية الوقت أكثر قليلًا مما تمنَّيتُ، فقد استغرقتُ في القراءة في بعض الأوقات لدرجة الشرود عن محيطي وعدم الالتفات لضرورة أن أبقى يقِظًا في تلك الأثناء.

لستُ واثقًا لدرجة التأكُّد التام أن الصبي الذي دأب على تخريب المطعمين هو نفس الصبي الذي أتشارك معه في نفس الأم، غير أن التوقيت الذي وقعَت فيه تلك الأحداث يجعل الأمر يبدو منطقيًّا. كما أن السباب الموجَّه إليَّ كتابةً بالبخاخ الأحمر لا يصدر إلا عن صبيّ يكرهني لدرجة المقت التام، ولا يوجد شخص آخر لديه أسباب منطقية تبرر كراهيته لي أكثر من صبي صغير يظن أن أخاه الأكبر تخلَّى عنه.

إنها الثانية صباحًا الآن. أراجع تطبيق الهاتف الخاص بنظام الأمان في مطعم كوريجانز، وليس ثمة ما يحدث هناك أيضًا.

أعود إلى قراءة اليوميات، مع أن النَّصين السابقين آلماني بشدة أثناء القراءة. لم أدرك من قَبل أن مغادرتي إلى بوسطن تركَت هذا الأثر الشديد في لِيلِي الصغيرة. كل ما كان في مخيلتي آنذاك أني أشكّل في حياتها نوعًا من الإزعاج، ولم يكن لديَّ أدنى فكرة عما قد تراه إضافةً أضفتُها لحياتها. لهذا وجدتُ قراءة الرسائل التي كانت تكتبها آنذاك أصعب كثيرًا مما تصورت. اعتقدتُ أني سأجد في قراءة أفكارها تسلية ممتعة، لكن كلما اندمجتُ في القراءة تذكَّرت كيف كانت سنوات صِبانا قاسيةً علينا. لم أعُد أفكِّر في تلك السنوات، فقد صرتُ بعيدًا تمامًا عن طبيعة الحياة التي كنتُ أعيشها آنذاك، لكن يبدو أنني أُلقى ثانيةً في هذه الحياة السابقة من كل اتجاه هذا الأسبوع.. المعلومات التي أقرأها في يوميات لِيلِي، ظهور أمي من جديد، اكتشافي أن لي أخًا صغيرًا لم أعرف به.. يبدو أن جميع ما حاولتُ الهروب منه قد بدأ يتسرَّب إلى حياتي ويُهدد بإغراقي.

لكن يبقى هناك عودة لِيلِي لحياتي في توقيت مثالي لا غبار عليه. دائمًا ما تظهر حين أكون بحاجةٍ لحَبْل نجاة.

أُقلِّب في باقي صفحات اليوميات وأجد أنني قد وصلتُ إلى منتصف النص الأخير الذي كتبَته. لا أحتفظ في ذاكرتي إلا بالقليل من ذكريات تلك الليلة التي انتهَت نهاية مأساوية؛ ثمة جزء مني لا يريد أن يعيش من جديد تلك الليلة من وجهة نظر لِيلِي، غير أني لا

https://t.me/fantazynov

أستطيع أن أغُضَّ الطرف عن معرفة ما تركتُها لتشعر به خلال هذه السنوات.

أفتح التدوينة الأخيرة وأستكمل القراءة من حيث توقَّفت..

أمسك بيديَّ وقال إنه سيغادر قريبًا، قبل الموعد الذي سيلتحق فيه بالجُنديَّة، لكنه لم يستطع الذهاب قبل أن يشكرني على كل شيء. قال إنه سيغيب لأربع سنوات، وإن آخر ما يتمناه لي هو أن أكون فتاة في السادسة عشرة من عمرها لا تعيش حياتها كما تتمنى بسبب غياب حبيب لا تستطيع رؤيته ولا سماع صوته.

ما تلا ذلك من كلامه جعل عينيه الزرقاوين تدمعان حتى صارتا صافيتين وهو يقول:

- لِيلِي، الحياة شيء هزلي. تمنحنا سنوات محدودة لكي نعيشها، لذلك علينا أن نفعل كل ما نستطيعه حتى نضمن أن نعيش هذه السنوات حتى الثمالة. يجب ألا نضيّع أعمارنا في انتظار أشياء قد تحدث ذات يوم، وقد لا تحصل على الإطلاق.

كنتُ أدرك جيدًا ما يريد قوله. كان مغادرًا إلى حياته العسكرية ولا يريدني أن أتعلَّق به في هذه الأثناء. لم يكن يُنهي علاقته بي، فلم يحدث أن كنا مرتبطين معًا قبل هذه اللحظة. كنا مجرد شخصين يساعد أحدهما الآخر كلما احتاج لمساعدة، حتى اندمج قلباهما على امتداد الطريق.

كان شعورًا قاسيًا بالنسبة لي أن يتركني شخص قبل أن يملك زمامي بالفعل. طوال الوقت الذي أمضيناه معًا كان لدينا شعور ما بأن هذا

https://t.me/fantazynov

الارتباط لن يدوم إلى الأبد. لستُ أعرف السبب، فالحقيقة أني كنتُ منجذبة له برغم الظروف. أظن أننا لو كنا نعيش ظروفًا طبيعية، لو كنا مراهقين عاديين يجمعهما ارتباط عاطفي، وكان هو يعيش حياةً طبيعية في بيت يُشبه سائر البيوت، لكان ارتباطنا قد أخذ المنحى الذي أتخيله، حيث يتقارب اثنان بسلاسة ولا يصطدمان بوجه الحياة القاسي بين الحين والآخر.

لم أقُم بأية محاولة لإثنائه عن هدفه في تلك الليلة. شعرتُ أن ما يربطنا لا يقطعه شيء، حتى نيران الجحيم. تصوَّرتُ أن باستطاعته أن يمضي ما شاء من الوقت مجنَّدًا في الجيش، وأمضي أنا السنوات كمراهقةٍ دون أي تغيير، ثم يعود كل شيء لما كان عليه في التوقيت المناسب.

قال لي:

- سأقطع عهدًا على نفسي، أن أبحث عنكِ حين تصبح حياتي أفضل بما يكفي لوجودكِ كجزءٍ منها. لكنني لا أريدكِ أن تبقي في انتظاري، فربما لا يتحقق ذلك إلى الأبد.

لم يرُقني هذا الوعد، لأنه كان يعني لي شيئًا من اثنين: فإما أنه يشكُّ في خروجه حيًّا من الجيش، أو يغلب عليه الاعتقاد بأن حياته لن تتحسن بما يكفي لتُناسبني.

ومع أن حياته كانت تُناسبني بالفعل كما هي، أومأتُ إليه موافِقةً وأرغمتُ نفسي على الابتسام، وقلتُ له:

- لو لم تعُد لتبحث عني، سأجيئكَ بنفسي، ولن يكون ذلك في صالحكَ يا أطلس كوريجان.

ضحِكَ من التهديد، وقال:

- على أي حال، لن يكون من الصعب عليكِ أن تجديني، فأنتِ تعرفين أين سأكون على وجه التحديد.

ابتسمتُ قائلةً:

- حيث كل شيء أفضل حالًا من هنا.

ردَّ بابتسامةٍ وقال:

- في بوسطن.

ثم قبَّلني.

إيلين، أنتِ ناضجة وتعرفين ما يحدث بعد ذلك، ومع هذا لا أشعر بارتياح في الحديث إليكِ عما جرى في الساعتين التاليتين؛ دعينا نقول إننا تبادلنا القبلات كثيرًا، وتبادلنا الضحكات أيضًا والكثير من الحب والكثير من الأنفاس.. الكثير. كل ذلك وكل منا يُغطي فمه ويلتزم الهدوء والسكون قدر ما يستطيع حتى لا يُكتشَف أمرنا.

وحين انتهينا، ألصق جسمه في جسمي، وجِلده يلامس جِلدي، ويده موضوعة على قلبي. قبَّلني وحدَّق مباشرةً في عينيَّ قائلًا:

- أحبكِ يا لِيلي.. كل ما فيكِ أحبه.. أحبكِ.

أعلم أن كلمات كهذه تُلقى اعتباطًا دون أن تعني ما يُفترَض أن تعنيه، خاصةً بين المراهقين، تُقال بلا نضوج ودون تقدير لجوهرها،

https://t.me/fantazynov

لكن حين قالها لي عرفتُ أنه لا يقصد بها أنه يُحبُّني فحسب؛ لم تكن «أنا أحبكِ» بمعناها المعتاد.

تخيلي كل البشر الذين قابلتِهم في حياتكِ، إنهم كثيرون، يأتون إلى حياتكِ على شكل موجات، يتسرَّبون منها وإليها مثل المد والجزر. بعض الأمواج أكبر كثيرًا وذات أثرٍ أبلغ من غيرها، وأحيانًا تأتي الأمواج بأشياء من قاع البحر وتُلقي بها فوق الشاطئ، وكثيرًا ما تترك الأمواج آثارها على رمل الشاطئ كدليلٍ على عبورها فوق تلك الرمال، فتبقى لزمن أطول كثيرًا من المد والجزر.

هذا ما كان أطلس يُريد إخباري به حين قال «إني أحبكِ». كان يخبرني بأنني أكبر موجةٍ مرَّت فوق شاطئه، وبأنني جلَبتُ له الكثير، لذا ستبقى انطباعاتي معه إلى الأبد، مهما انحسر الماء عن الشاطئ.

وبعدما قال إنه يحبني، قال إن لديه هدية بمناسبة عيد ميلادي. تناول كيسًا بُنيًّا صغيرًا وقال:

- ليست قيمة، لكنها كل ما استطعتُ تدبيره.

فتحتُ الكيس وسحبتُ من داخله أجمل هدية نِلتُها في حياتي، عبارة عن مغناطيس مكتوب في أعلاه كلمة «بوسطن»، وفي أسفله كُتِب بخط صغير: «حيث كل شيء أفضل». أخبرته بأني سأحتفظ به إلى الأبد، وكلما لمحته سأفكر فيه.

عندما بدأتُ في كتابة هذه الرسالة، قلتُ إن عيد ميلادي السادس عشر كان من أفضل أيام حياتي، لأنه حتى تلك اللحظة كان الأفضل فعلًا.

أما الدقائق التالية فلم تمضِ على النحو نفسه.

لم أكن أتوقع مجيء أطلس قبل ظهوره في ذاك اليوم، لذا لم أفكر في تسكير باب غرفتي.. سمعني أبي أحدِّث شخصًا ما، وحين فتح الباب ورأى أطلس بجواري على السرير غضب كما لم أرَه غاضبًا في حياتي. وكان أطلس من سوء الحظ بحيث لم يكن مستعدًّا لما واجهه في اللحظات التالية.

لن أنسى أبدًا ذلك الموقف ما حييت، فقد شعرتُ بعجزٍ تام عن فِعل أي شيء حين دنا أبي من أطلس حاملًا مضرب البيسبول وانهال عليه به، وكان صوت ارتطام المضرب بالعظام هو الصوت الوحيد الذي تقاطع مع صراخي.

لا زلتُ لا أعرف مَن الذي اتصل بالبوليس. أكاد أجزم أنها أمي، لكن ها قد مرَّت ستة أشهر ولم نتحدَّث بعد عن هذه الليلة. في اللحظة التي وصل فيها رجال البوليس وجذبوا أبي من فوق أطلس، كان جسده مغطى بالكثير من الدماء.

كنتُ في حالة هستيرية.

هستيرية تمامًا.

لم يحتاجوا فقط لحَمْل أطلس في سيارة الإسعاف، بل اضطروا أيضًا لطلب سيارة إسعاف أخرى لي حين فقدتُ القدرة على التنفس. كانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة التي أُصِبتُ فيها بنَوْبَة هلع.

ما من أحدٍ قام بإخباري بمكان أطلس ولا طمأنتي على حالته. لم يُقبَض على أبي نتيجةً لما فعله معه. قيل إن أطلس يعيش في البيت

https://t.me/fantazynov

القديم المقابل لأنه بلا مأوى، ونال أبي الكثير من التبجيل على عمله البطولي، فقد دافع عن ابنته من الصبي المشرَّد الذي غرر بها حتى يمارس معها الجنس.

قال أبي إنني جلبتُ العار إلى العائلة بأكملها بجعلها مادة للنميمة في محيطنا، ودعيني أخبركِ بأنهم لا زالوا ينمُّون على هذه الواقعة إلى الآن. سمعتُ كيتي في الباص تُخبر أحدهم بأنها حاولَت أن تحذرني من أطلس. قالت إنها حدست بما وراءه منذ اللحظة التي وقعَت فيها عيناها عليه. وهذا هُراء. لو كان أطلس معي في الباص لكنتُ قد أغلقتُ فمي وتصرَّفتُ بنضوج كما دأب على نُصحي. لكنني غضبتُ كثيرًا، واستدرتُ نحو كيتي وصرختُ فيها بأن تذهب إلى الجحيم، وقلتُ إنها مهما فعلَت فلن تصبح مثل أطلس، وإنني لو سمعتُها تذكره بالسوء مرة أخرى فسأجعلها تندم على فعلتها.

فأدارت عينيها وقالت:

- يا إلهي، ما الذي فعله بكِ يا لِيلِي، هل غسل دماغكِ؟ إنه صبي قذر وسارق ومشرَّد، ومن غير المستبعد أنه يتعاطى المخدرات. كان يستغلكِ للحصول على الطعام والجنس والآن تُدافعين عنه؟!

من حظها أن الباص توقَّف أمام منزلي في تلك اللحظة، فحملتُ حقيبتي ونزلتُ من الباص، وسارعتُ في الدخول وبقيتُ أبكي لثلاث ساعات في غرفتي. الآن رأسي يؤلمني، لكني كنتُ أعرف أنني لن

أستريح حتى أُفرغ كل شيء على الورق. مع ذلك تجنَّبتُ كتابة هذه الرسالة منذ ستة أشهر.

اعذريني يا إيلين، فرأسي لا يزال يؤلمني إلى الآن، وكذلك قلبي، ربما أكثر من الأمس. الرسالة لم تُساعدني بتاتًا.

أظن أنني سأمنح نفسي عطلة من الكتابة إليكِ لبعض الوقت، فالكتابة تذكرني به، وتُسبب ألمًا لا يُحتمَل. وحتى يعود لي أطلس سأتظاهر فقط بأنني بخير. سأتظاهر بأنني أسبح باقتدار، في حين أن كل ما أقوم به هو الطفو ورأسي بالكاد يعلو سطح الماء.

لِيلِي

أُغلق مُفكِّرة اليوميات بعد قراءة آخر صفحة.

لا يمكنني وصف شعوري على وجه التحديد لأنني أشعر بكل شيء في الوقت نفسه؛ غضب، حب، حزن، فرح.

لطالما كرهتُ أنني لا أذكر أغلب أحداث تلك الليلة مهما حاولتُ العودة بذاكرتي لكل كلمة تبادلناها معًا. إنها لهديَّةٌ حقيقية أن أجد لِيلِي وقد كتبَتها بالتفصيل، هدية محزنة رغم ذلك.

ثمة أشياء كثيرة تخصُّ هذه المرحلة من حياتي خشيتُ أن تكون لِيلِي أكثر هشاشةً من أن تعرفها. أردتُ فقط أن أحميها من كل شيء سلبي يحدث في حياتي، غير أن قراءة كلماتها الآن تجعلني أدرك أنها لم تكن بحاجةٍ للحماية على الإطلاق. بل إنها كانت قادرةً على الوقوف بجانبي حتى أعبر هذه المرحلة.

https://t.me/fantazynov

كل هذا يدفعني لأن أكتب إليها رسالة جديدة، والأكثر من ذلك يجعلني أريد أن أبقى في صُحبتها للحديث عن كل ذلك وجهًا لوجه. أعلم أننا اتفقنا على أخذ المسألة رويدًا رويدًا لكني كلما التقيتُ بها صرتُ أقل صبرًا على فراقها وأكثر رغبةً في التواجد معها.

أنهض حتى أُعيد مفكِّرة اليوميات إلى الداخل وأجلب شرابًا أتسلى به أثناء الانتظار، وسرعان ما يستوقفني شيء: ثمة عمود إنارة على الجهة المقابلة من الشارع يُلقي بضوئه على البناية، وظلٌّ ما يتحرَّك عابرًا بُقعة الضوء تلك، يبدو كأنه يتحرَّك في اتجاهي. أتراجع خطوات حتى أظل مختفيًا بالداخل.

يلوح شخص ما بعد قليل؛ صبي، يقترب من الباب الخلفي.

لا أعرف إن كان الصبي أخي الصغير، لكنه قَطْعًا نفس الصبي الذي شاهدته في تسجيل كاميرا المراقبة الخاصة بمطعم كوريجانز: نفس الملابس، نفس غطاء الرأس المحكوم على الرأس.

أبقى متخفيًا وأتابع من مخبئي، وأزداد قناعةً بأنه الشخص الذي كنتُ أتوقعه، له جسد قوي مثلي، حتى إنه يتحرك مثلي.. أمتلئ بالتَّوق إلى لقائه، أريد أن أقول له إنني لستُ غاضبًا منه وإني أعرف حق المعرفة ما يمرُّ به.

لستُ متأكدًا إن كنتُ قد غضبتُ منذ بداية الأمر من ذلك الشخص الذي قام باقتحام المطعمين، حتى من قبل أن تطرأ احتمالية أن يكون أخي، من الصعب أن تغضب من صبي صغير، الأصعب أن تغضب من صبي نشأ مع نَفْس المرأة التي نشأتُ في كنفها. أعرف تمامًا ما يعنيه

https://t.me/fantazynov

أن تضطر لأن تفعل أي شيء حتى تنجو بحياتك، كما أعرف جيدًا كيف تُضطر لأن تفعل أي شيء حتى تحصل على اهتمام شخص ما، بل *أي شخص*. مرَّت بي أوقات في طفولتي كنتُ أريد فقط أن أُلاحَظَ من أي أحد، أشعر أن نفس الشيء هو ما يحدث أمامي الآن.

إنه يتمنى أن يُمسَك به؛ إنها صرخة تطلب الانتباه أكثر من أي شيء.

يخطو قاصدًا الباب الخلفي مباشرةً، لا تشوب خطواته مسحة تردد. صار المكان مألوفًا له. يجرب الباب الخلفي ويجده مغلقًا بإحكام، فيُخرِج عبوة بخاخ ملوَّن جديدة من جاكتته. أنتظره حتى يرفعها ليبدأ في الرش، وأقرر عندها أن الوقت قد حان لظهوري.

- إنك تمسك بها بطريقة خاطئة.

يُفاجئهُ صوتي. حين يستدير وينظر إليَّ أرى كم هو صغير بالفعل، يشدُّ أوتار قلبي لأقصى حدٍ حتى أشعر بها تكاد تطفر من مكانها. أحاول أن أتخيل ثيو واقفًا وحيدًا مثله في منتصف الليل.

ثمة طفولة في نظرة الخوف التي تطفر من عينيه. حين أبدأ في الاقتراب منه، يتراجع خطوة إلى الخلف وينظر حوله بحثًا عن مهرب آمِن، لكنه لا يُقدم على الركض أو الهروب.

لا شك أنه يتوق الآن لأن يعرف ما سيحدث، وإلا فما سبب حضوره هنا ليلةً في إثر ليلة؟

أمدُّ إليه يدي حتى يُناولني عبوة الرشاش. يتردد في إعطائها لي، ثم يناولني إياها. أريه كيف يمسك بها على النحو الصحيح، قائلًا:

https://t.me/fantazynov

- لو أمسكتَ بها بهذه الطريقة لن يسيل الطلاء؛ أنت تُمسكها قريبةً جدًّا من السطح الذي ترشّ عليه.

يتفرَّس فيَّ حتى يدرسني جيدًا، فتطوف بوجهه كل المشاعر المحتمَلة، من الغضب إلى الإعجاب إلى الشعور بالخيانة. نصمت كلانا فيما نستوعب كم يُشبه أحدنا الآخر، كلانا ورث الكثير عن أُمِّنا: نفس الفك، والعينين، والفم، حتى التقطيبة غير المتعمَّدة؛ ثمة تَشابه يفوق قدرتي على الاستيعاب. لقد كنتُ متأقلمًا مع فكرة أنني بلا عائلة، لكن ها هو ماثل أمامي على حقيقته. أتساءل كيف يشعُر الآن وهو ينظر إليّ.. الغضب بطبيعة الحال، ربما الإحباط.

أستند بكتفي لجدار المبنى ناظرًا إليه بشفافية تامة، وأقول:

- لم أكن أعرف بوجودك حتى الساعات الماضية.

يدفس كفَّيه في جيب جاكتته ويميل برأسه ناظرًا لقدميه، ويتمتم قائلًا:

- هذا هراء.

تُحزنني رؤية الصلابة التي يبدو عليها في هذه السن. أتجاهل الغضب البادي في ردة فعله وأمسك بمفاتيحي لأفتح الباب الخلفي فيما أسأله:

- هل أنت جائع؟

أفتح الباب في انتظار دخوله.

يبدو كأنه يفكر في الركض والهروب من أمامي، لكنه بعد برهة تردُّد يُطأطئ رأسه ويمضي معي إلى الداخل.

أضيء الأنوار وأتَّجه رأسًا إلى المطبخ، أُحضِّر المكونات اللازمة لإعداد طبقٍ من الجبن المشوي وأشرع في الطهي بينما يتجوَّل هو ببطءٍ في أرجاء المكان، يُلامس الأشياء، يُفتِّح الأدراج، يتفقَّد الخزانات، ربما يراجع المخزون تمهيدًا لهجومه القادم، أو يُخفي خوفه فقط وراء هذا الفضول.

أسكب طعامه في طبق التقديم حين يقول أخيرًا:

- كيف تعرف مَن أكون ما دمتَ لم تسمع بوجودي من قبل؟

قد يُفضي سؤال كهذا إلى نقاش طويل، أُفضِّل أن أخوضه معه حين يكون أكثر ارتياحًا. لا توجد طاولة هنا يُمكنه تناول الطعام عليها، لذا أتحرَّك صوب الباب المُفضي إلى صالة الطعام. ثمة إضاءة كافية لإنارة المكان على الضوء الخافت المنبعث من لافتات الخروج، فلا أحتاج لإضاءة صالة الطعام.

- اجلِس هنا.

أُشير إلى الطاولة رقم 8 فيجلس إليها في نفس البقعة التي جلسَت فيها أُمُّنا قبل ساعات. يبدأ في تناول الطعام بمجرد وضع الطبق أمامه. أسأله:

- ماذا تفضل أن تشرب مع الأكل؟

يزدرد الطعام، ويهزُّ كتفيه في لا مبالاة قائلًا:

- أي شيء.

https://t.me/fantazynov

أرجع إلى المطبخ وأصبُّ له كأس ماءٍ مثلَّج ثم أعاود الدخول لصالة الطعام من الجهة المقابلة لطاولته. أناوله الكأس فيشرب نصفها في جرعة واحدة.

- جاءت أمُّك هنا الليلة.. إنها تبحث عنك.

يصنع تعبيرًا يُفصح عن عدم الاهتمام، ويستمر في تناول الطعام.

- أين تُقيم منذ تركتها؟

- في أماكن مختلفة.

يقولها بفَم ممتلئ، فأسأله:

- هل تذهب إلى المدرسة؟

- ليس مؤخرًا.

أتركه يقضم عدة قضمات قبل أن أكمل، فآخر ما أرغب فيه الآن أن أجعله يُغادر بسبب كثرة الأسئلة، أسأله:

- لماذا هربت؟ هل بسببها؟

- أتعني ساتن؟

أومئ مؤكدًا أني أعنيها هي. أستغرب من تلك العلاقة التي تجعله لا يذكرها بكلمة أمي.

- نعم بسببها، تشاجرنا، دائمًا ما نتشاجر لأتفه الأسباب.

يتناول آخر قضمة ويُتبِعها بما تبقى من الماء.

- ماذا عن أبيك؟ تيم؟

- هجرنا منذ كنتُ صغيرًا.

تحوم عيناه في أنحاء الصالة، حتى تستقر على الشجرة. وحين يعود إليَّ ببصره يحني رأسه قائلًا:

- هل أنت غنيّ؟

- لو كنتُ غنيًّا لما أخبرتُك، فقد حاولتَ سرقتي عدة مرات إلى الآن.

تُخايلني ابتسامةٌ هازئةٌ تلاعب شفتيه، لكنه لا يُفرج عنها أمامي. يبدو أكثر ارتياحًا حين يزيح غطاء الرأس المحيط بوجهه، فتنساب خصلات من شعره البنيّ الذُّهنيّ فوق جبهته فيُعيدها إلى الخلف. رأسه يُخبر عن قَصَّةِ شَعْرٍ مضى عليها أمد طويل، بأجناب طالت أكثر من اللازم وخصلات شعر غير متساوية الطول.

- قالت لي إنك غادرتَ البيت بسببي أنا.. قالت إنك لا تريد أن يكون لك أخ.

عليَّ أن أكبح جماح غضبي، لذلك أسحب طبقه الفارغ وكأس الماء في اتجاهي وأنهض واقفًا، وأقول:

- لم أعرف شيئًا عنك قبل اليوم يا جوش. أقسم لك أنها الحقيقة. لو علمتُ لكنتَ وجدتَني إلى جانبك.

يُحملِق فيَّ من مكانه على المقعد، يدرسني، يتساءل إن كان عليه أن يثق بي، يقول:

- أنت الآن تعلم بوجودي.

يقولها كأنه يتحدَّاني أن أفعل الأفضل، أن أُثبت له خطأ تقديره في هذا العالم.

أشير إلى الباب المفضي إلى المطبخ وأنا أقول:

- معك حق، لنذهب الآن.

لا يستجيب لي ويخرج مباشرةً، بل يسألني:

- إلى أين؟

- إلى بيتي. لديَّ غرفة تتسع لك لو توقفتَ عن لَعْنِي كل حين.

يرفع أحد حاجبَيه ويسأل باستغراب:

- هل أنت من المهووسين بالتديُّن؟

أشير إليه حتى ينهض، أقول:

- أن تكون صبيًّا في الحادية عشرة يقذف بالسباب طوال الوقت فأنت بالنسبة لي شخص يائس ليس إلا. لن يجعلك السباب جذابًا قبل الرابعة عشرة على الأقل.

- لستُ في الحادية عشرة، عمري اثنا عشر عامًا.

- حسنًا، هذا ما قالتْه لي. لا زلت صغيرًا على أي حال، أصغر من أن يجعلك السباب شخصًا جذابًا.

يقف جوش ويتبعني إلى المطبخ.

أستدير وأواجهه فيما أعبر بظهري باب المطبخ، أقول له:

- وبالمناسبة، حتى لا تقع في نفس الخطأ مستقبلًا، لقد أخطأتَ في كتابة «مؤخرة»، ثمة حرف ناقص في الكلمة.

يبدو مندهشًا، يعلِّق قائلًا:

- بدَت لي مضحكة بعدما كتبتُها.

أضع طبقه في حوض الغسيل، ولا أجد المزاج المناسب لغسله في الثالثة بعد منتصف الليل. أطفئ الأنوار وأترك لجوش قيادة الطريق إلى الباب الخلفي، وفيما أسكِّر الباب أسمعه يقول:

- هل ستُخبر ساتن بمكاني؟

- لا أعرف بعد ماذا سأفعل.

أمشي قاطعًا الشارع الضيق، فيلحق بي حتى يُحاذيني وهو يقول:

- على أي حال، أُفكِّر في الذهاب إلى شيكاغو، وفي الغالب لن أبقى في منزلك أكثر من ليلة واحدة.

أضحك من فكرة أن الصبي يظنني سأتركه يغادر إلى مدينة أخرى بعدما عرفتُ بوجوده. *ما الذي أورِّط نفسي فيه الآن؟* لديَّ شعور بأن مسئولياتي اليومية قد تضاعفت فجأة. أسأله:

- هل لدينا إخوة آخرون لا أعلم شيئًا عنهم؟

- التوأمان فقط، وهُمَا في الثامنة من العُمْر.

أتوقَّف عن السير وأنظر إليه، فيضحك قائلًا:

- إني أمزح، لا يوجد سوانا.

أهز رأسي وأمسك بغطاء رأسه من الخلف وأضعه عليه بإحكام، وأقول:

- أنت مدهش.

ثمة ابتسامة تغمر وجهه حين يدخل إلى السيارة، أنا أيضًا أبتسم، حتى تبدأ طعنةُ القلق في اختراقي عند منتصف المعدة.

https://t.me/fantazynov

لقد عرفته منذ نصف ساعة فحسب، وعرفتُ بوجوده قبل أقل من يوم، ويرغم هذا أشعر بأنني أريد أن أصونَه لعُمرٍ بأكمله.

الفصل السادس عشر

لِيلي

تضيع النهارات حين يصير للشخص أبناء.

لطالما اعتدتُ أن أفتح عينيَّ وأبقى راقدةً في السرير لعدة دقائق قبل أن أتناول الهاتف وأتدارك كل ما فاتني وأنا نائمة. أتناول كوب القهوة الصباحي، ثم أرسم خريطة ذهنية لليوم فيما أستحم.

أما الآن فلديَّ إيمي، صراخها الصباحي ينتزعني من السرير، فأتحوَّل إلى سنجاب يركض بجانبها على الأرض قبل أن أحظى بفرصة للتبوُّل. أهرع لتغيير حفاضتها، وتبديل ملابسها، وإطعامها، وعند انتهائي من كل واجبات الأمومة الصباحية أجدني تأخَّرتُ عن موعد ذهابي إلى العمل وبالكاد أجد الوقت الكافي لعمل أي شيء يخصني.

لهذا أقدِّر صباحات أيام الآحاد؛ إنه اليوم الوحيد في الأسبوع الذي أتنسَّم فيه عبير السكون. حين تستيقظ إيمي صباح يوم الأحد، أضعها بجواري على السرير، نتمدد جنبًا إلى جنب فأُنصت إلى غمغمتها دون أدنى استعجال للنهوض أو الذهاب إلى أي مكان.

https://t.me/fantazynov

وفي بعض الأحيان، كما هو الحال الآن، تعود إلى النوم فأظل أحدِّق فيها لآمادٍ طويلة من الوقت، أفكِّر في اندهاشٍ في هذه العجيبة المسمَّاة بالأمومة.

أمسك بهاتفي وألتقط صورة لها حتى أرسلها إلى رايل، لكنني أتردد قبل أن أضغط زر الإرسال. لا أفتقد رايل على الإطلاق، غير أني أشعر بشيء من الحزن في لحظاتٍ كهذه لأن رايل لا يشاركنا فيها، أو لأنني لا أشاركهما اللحظات السعيدة التي يقضيانها معًا. لا شيء أفضل من إسباغ الحب على الطفل الذي أنجبتُه مع الشخص الذي شاركك في إنجابه، وهذا ما يجعلني أداوم على إرسال الصور والفيديوهات إليه. لكنني لا أزال مستاءة بسبب ما حدث في تلك الليلة ولا أرغب حقيقةً في التواصل معه. أحفظ الصورة ليومٍ لاحق أشعر فيه بسلام أكبر من اليوم.

تبًا لك يا رايل..

الطلاق أمر صعب. كنتُ أعرف هذا مسبقًا، ثم اتَّضح لي أن صعوبته أكبر بكثير مما حسِبتُ، ومع وجود طفلٍ في المعادلة تتضاعف الصعوبة مليون مرة، فأنت تضطر إلى التعامل مع الشخص نفسه لباقي سنوات عمرك. عليكَ أن تتوصَّل إلى طريقةٍ ناجعةٍ لتخطيط حفلات عيد الميلاد معًا أو أن تكون راضيًا بإقامة حفلات منفصلة. عليكَ أن تخطط أي الإجازات سيُمضيها كلٌّ منكما مع الطفل، وأي أيام الأسبوع، وصولًا لأي ساعات من اليوم لو لزم الأمر.

لن تستطيع أن تُفرقع بأصابعكَ فتُنهي ما كان بينك وبين الشخص الذي تزوجته ثم قررتما الطلاق. أنت عالقٌ معه، إلى الأبد.

أنا عالقةٌ في شَرَك التعامل مع مشاعر رايل إلى الأبد، وببساطة، ينتابني الإرهاق من طول ما أشعر بالأسف عليه، بالقلق بشأنه، بالخوف منه، *بالتفهُّم* لمشاعره.

كم يُفترَض أن أنتظر قبل مواعدة شخص آخر دون أن تكون غيرة رايل مبرَّرة؟ كم يُفترَض أن أنتظر قبل إخباره بأنني أواعد أطلس لو تأكَّد لي أن ثمة علاقة جادَّة تنشأ بيننا؟ كم عليَّ أن أنتظر حتى أشرع في اتخاذ قرارات تخصُّ حياتي وحدي دون أن أشعر بالقلق على مشاعره؟

يهتز هاتفي. أمي تتصل بي. أنهض بهدوء من السرير وأذهب إلى غرفة المعيشة قبل أن أجيب الاتصال.

- مرحبًا.

- هلَّا تأتينني بإيميرسون اليوم؟

أضحك من إغفالها الواضح لابنتها منذ صار لها حفيدة.

- أنا بخير، وكيف حالكِ أنتِ؟

أمي تعشق إيمي مثلي تمامًا؛ أدرك ذلك جيدًا. حين أتمَّت إيمي ستة أسابيع صارت أمي تأخذها لعدة ساعات أثناء عملي. كما أنها باتت عندها خلال الشهر الماضي، فكانت أول ليلة تقضيها إيمي بعيدًا عني منذ ولادتها. كانت قد راحت في النوم في بيت أمي فلم نُرِد إيقاظها، فتركتُها وعُدْتُ إليها في الصباح التالي.

- أنا وروب قريبان منكِ؛ نستطيع أن نمُرَّ عليكِ ونأخذها خلال ثلث ساعة. سنذهب إلى الحديقة النباتية؛ إنها فرصة حسنة لاصطحابها إلى مكان مفتوح، ولا بد أنكِ بحاجةٍ لهُدنةٍ كهذه.

- نعم، بالتأكيد. سأُجهِّزها للخروج.

***

بعد نصف ساعة أسمع نقرة على الباب. أفتح الباب وأُفسِح لأمي وروب حتى يدخلا. تقطع أمي غرفة المعيشة رأسًا إلى إيمي حيث ترقد فوق حشِيَّةٍ على الأرض. أُمازح أمي قائلةً:

- مرحبًا ماما.

- انظر لهذه الملابس الفاتنة! هل أنا مَن اشتريتُها لها؟

هكذا تسأل أمي فيما تحمل إيمي من مكانها، فأجيبها:

- لا، إنها من ملابس رايلي التي صغرت عليها.

من اللطيف أن رايلي تكبُر إيمي بستة أشهر. لم نحتَج لشراء ملابس كثيرة لإيمي لأن أليسا تُعطيني أكثر مما أحتاجه من ملابس رايلي، ودائمًا ما تكون في حالة ممتازة، فلا أظن أن رايلي ترتدي نفس الطقم مرتين.

هذا الطقم كانت ترتديه رايلي يوم عيد ميلادها الأول. كنتُ آمل أن ينتقل أخيرًا إلى إيمي من شدة روعته. سروال زهري اللون مرسوم عليه حبات بطيخ خضراء، وبلوزة خضراء بأكمام طويلة مرسوم في وسطها شريحة بطيخ زهرية اللون.

اشترت أمي باقي ملابس إيمي، بما فيها الجاكيت الأزرق الذي أُلبِسها إياه الآن. تُعلِّق أمي قائلةً:

- إنه لا يُلائم ملابسها، أين الجاكيت الزهري الذي اشتريته لها؟
- لقد صغُر عليها كثيرًا.. وهذا الجاكيت على مقاسها، وليست إلا طفلة عمرها عام واحد. لا يهم إن كان يُلائم أو لا يُلائم.

تتأفف أمي، وأستطيع التكهُّن من الانطباع المرسوم على وجهها أن إيمي ستعود إلى البيت هذا المساء وعليها جاكيت جديد. أُقبِّل إيمي على خدِّها فيما تخطو أمي صوب الباب.

أناول روب حقيبة الحفاضات فيُعلِّقها فوق كتفه، ويسأل أمي:

- أتريدين أن أحملها عنكِ؟

تعتصر إيمي في حضنها وتقول:

- ستبقى معي.

تنظر لي من فوق كتفها وتقول:

- سنعود بعد ساعات.
- متى بالتقريب؟

لا أسألها عادةً عن موعد العودة بالتحديد، لكني أفكر في سؤال أطلس عما يفعله الآن، فربما يُناسبه أن نتناول الغداء معًا لنستفيد بيوم العطلة الخالي من الواجبات.

- سأرسل إليكِ حين ننتهي. لماذا تسألين؟ هل أنتِ ذاهبة لمكان ما؟ ظننتكِ ستنامين فحسب.

https://t.me/fantazynov

لا أجرؤ على إخبارها بأنني قد أتسلل إلى الخارج حتى أُلتقي بشخص ما، ستسألني أسئلةً أبعد بكثير من مواعيد إغلاق الحديقة النباتية، لذا أكتفي بأن أقول:

- نعم، غالبًا سأنام قليلًا. سأبقي هاتفي متاحًا للاتصال. استمتعا.

تخرج أمي وتقطع الطرقة الخارجية إلى نهايتها، أما روب فيتمهَّل وينظر نحوي قائلًا:

- احرِصي أن تصُفِّي سيارتكِ في نفس المكان حين تعودين. ستُلاحِظ أي تغيير، وستُمطِركِ بالأسئلة.

يغمز لي، في إشارة واضحة على أنه يقرؤني جيدًا مقارنةً بأمي. أهمس إليه:

- شكرًا على النصيحة.

أغلق الباب وأدخل لأبحث عن هاتفي. هرعتُ من أجل تجهيز إيمي للخروج فانشغلتُ عن النظر في الهاتف منذ أنهيتُ مكالمتي مع أمي. يبدو أن اتصالًا من أطلس قد فاتني قبل عشرين دقيقة من الآن.

تتقلص معدتي من شدة الترقُّب. أرجو أن يأخذ عطلةً اليوم. أفتح كاميرا الهاتف لأتأكد من مظهري، ثم أتصل به عبر محادثة فيديو.

استَأْتُ كثيرًا في المرة الأولى التي اتصل بي فيها عبر الفيديو، أما الآن فيبدو الأمر كما لو أنه الوسيلة الطبيعية للاتصال. أريد أن أرى وجهه باستمرار، أُحبُّ رؤية ما يرتديه وما يقوم به، والتعبيرات التي ترتسم على وجهه حين يقول الأشياء التي أسمعها منه.

أبتسم بمجرد سماع طنين الردِّ على المكالمة. يرفع الهاتف إليه، وحين أستوعب ما أراه على الناحية الأخرى أجده واقفًا في مطبخ غير مألوف لي، لونه أبيض وإضاءته شديدة ومختلفة عن المطبخ الذي رأيته حين زرتُ بيته قبل سنتين على وجه التقريب. يقول:

- صباح الخير.

إنه يبتسم، رغم ما يبدو عليه من إرهاق، كأنما استيقظ للتو أو يكاد من تعبه أن يسقط في النوم. أقول:

- مرحبًا.

فيسألني:

- هل نمتِ جيدًا؟

- نعم، أخيرًا.

أنظر إلى الخلفية الماثلة خلف كتفيه وأسأله:

- هل غيَّرت تصميم المطبخ؟

ينظر وراء كتفه ثم يعود ببصره إليَّ ويقول:

- انتقلتُ لبيت آخر.

- ماذا؟ متى؟

- بداية هذه السنة. بعتُ منزلي واشتريتُ بيتًا أقرب إلى المطعم.

- أوه، هذا جيد.

أقرب إلى المطعم يعني أقرب إليَّ. أتساءل كم يبعُد مسكنه الآن عن مسكني. أسأله:

- هل تطبخ؟

https://t.me/fantazynov

يوجِّه كاميرا الهاتف إلى سطح الكاونتر، ثمة مقلاة بيض، وكومة من اللحم المقدد، وفطائر، و... طبقان! كأسا عصير! يسقط قلبي من المفاجأة وأقول محاوِلةً إخفاء الغيرة الرهيبة التي اندلعت الآن بداخلي:

- ما كل هذا الطعام؟

- لستُ وحدي.

يقولها وهو يُعيد توجيه الهاتف إلى وجهه.

لا بد أن الإحباط يرتسم بوضوح على وجهي لأنه يهزُّ رأسه على الفور ويقول:

- ليس هذا يا لِيلِي. ليس...

يضحك ويبدو عليه الارتباك. يبدو رد فعله وديعًا جدًّا، لكنه ليس مُطَمْئنًا بما يكفي. يحمل الهاتف أعلى قليلًا حتى أرى الشخص الواقف وراءه. لا أعرف بعد مَن الذي في بيته، لكنه ليس امرأة أخرى على أي حال.

إنه صبي.

صبي شبيه بأطلس، يُحدِّق نحوي بعينين كأنهما نسختان من عينَي أطلس. *هل لديه ابن لم أسمع به من قبل؟!*

ما هذا الذي يحدث الآن؟

يقول له الصبي:

- إنها تظنني ابنك.. أنت تُرعِبها بطريقتك هذه.

يُسارع أطلس بإعادة توجيه الهاتف إليه ويقول:

- ليس ابني، إنه أخي.

أخوه؟!

يُحرك أطلس الهاتف ثانيةً حتى يُريني أخاه، قائلًا:

- قُلْ مرحبًا لِلِيلِي.

- لا.

يقلب أطلس عينيه ويُسدد نحوي نظرةً معتذرة ويقول:

- إنه طائش قليلًا.

يقولها أمام أخيه، فأهمس إليه في اندهاشٍ مما يجري في هذه المحادثة:

- أطلس!

- لا عليكِ، إنه يعرف جيدًا كم هو طائش.

أرى الصبي يضحك في الخلفية، فأطْمَئن لكونه يعرف أن أطلس يمزح لا أكثر. لكني لا أزال حائرة، أقول:

- لم أعرف أن لديك أخًا.

- ولا أنا، لم أعرف إلا ليلة أمس.

أستعيد في ذاكرتي ليلة أمس وكيف كان واضحًا عليه أن ثمة ما يُضايقه بسبب الرسالة التي تلقَّاها، لكني لم أحدس بأنها مسألة عائلية. هذا يُفسِّر محاولة أمه الاتصال به. أقول له:

- يبدو أن لديك الكثير من المهام اليوم.

- انتظري، لا تُنهي المحادثة.

https://t.me/fantazynov

يخرج من المطبخ ويدخل غرفة أخرى أكثر خصوصية. يغلق الباب ويجلس على السرير، يقول:

- البسكويت أمامه عشر دقائق أخرى، أمامنا وقت للحديث.
- واو! فطائر وبسكويت.. إنه صبي محظوظ، لقد شربتُ قهوة دون حليب على سبيل الإفطار.

يبتسم أطلس، غير أن الابتسامة لا تصل إلى عينيه. بدا رائق المزاج أمام أخيه، أما الآن فإن الضغط يبدو جليًّا في محاولته إمساك نفسه عن التداعي. يسألني:

- أين إيمي؟
- أخذَتْها أمي لتُمضي معها بضع ساعات.

حالما يُدرك أن كلينا قد حصل على عطلة لهذا اليوم وأن إيمي ليست معي يتنهَّد في شيء من الضجر، ويقول:

- هل تعنين أنكِ غير مشغولة طوال اليوم؟
- لا عليك، اتفقنا أن نأخذ الأمور ببطء، ألا تذكر؟ ثم إنك لن تكتشف أن لديك أخًا صغيرًا كل يوم.

يُسرِّح شعره بأصابعه ويتنهَّد قائلًا:

- هو مَن كان يقوم بتخريب المطعمين.

أتوقَّف مندهشةً عند هذا التعليق.. أريد أن أعرف المزيد عن هذه القصة.

- لهذا حاولتْ أمي الاتصال بي الأسبوع الماضي، لترى إن كنتُ قد تلقَّيتُ منه أي اتصال. الآن أشعر بأنني وغدٌ أحمق أن منعتُ رقمها من الاتصال بي.

- لم تكن تعرف.

لا أريد أن أُكمِل هذا النقاش واقفةً في حجرة المعيشة، أحتاج للجلوس. أخطو نحو الأريكة وأضع الهاتف فوق ذراعها مُستندًا إلى المقبض البلاستيكي الملصوق في ظهره، وأسأله:

- هل كان يعرف بوجود أخ أكبر له؟

يومئ أطلس ويقول:

- نعم، وكان يعتقد بأنني أعرف بوجوده أيضًا، ولهذا كان يُفرج عن غضبه بالاعتداء على المطعمين اللذين أمتلكهما. وبعيدًا عن آلاف الدولارات التي تكبَّدتها بسببه، فإني أجده صبيًّا طيبًا، أو على الأقل أجد فيه ما يؤهله لأن يصير صبيًّا طيبًا، لا أستطيع الجزْم، لكنه مَرَّ بالكثير مما مررتُ به بسبب أمي، فلا يُمكن إغفال هذا الجانب وتأثيره عليه.

- هل أمك معك أيضًا؟

يهزُّ رأسه نافيًا ويقول:

- لم أُخبرها بعد بعثوري عليه. تحدَّثتُ مع صديق لي يعمل بالمحاماة، فنصحني أن أُعجِّل بإبلاغها حتى لا تستخدم ذلك ضدي.

تستخدم ذلك ضدَّه؟!

- هل تريد أن تأخذ منها الوصاية عليه؟

يومئ أطلس دون تردد ويقول:

- لا أعرف بعد إن كان هذا ما يريده جوش، لكن ليس ثمة اختيار آخر. أعرف جيدًا أيَّ نوعٍ من الأمهات هي، وقد ذكر الصبي أنه يسعى لأن يبحث عن والده تيم، وهو أسوأ حالًا من أمي.

- هل لك أي حق قانوني في الوصاية عليه لكونك أخاه الأكبر؟

يهزُّ رأسه ويقول: https://t.me/fantazynov

- لا، يجب أن توافق أمي أن يعيش معي، ولا أريد أن أخوض هذا النقاش من الأساس، فسترفض لمجرد إغاظتي، لكنْ...

يُطلِق أطلس تنهُّدةً ويُكمِل قائلًا:

- لو استمرَّ معها فلن يكون هناك أي أملٍ فيه. إنه أقوى مني حين كنتُ في عمره، وأكثر غضبًا، أخشى مما سيتحوَّل إليه هذا الغضب لو لم ينَل ما يحتاج إليه من استقرار في حياته. مع ذلك فمَن يقول إن باستطاعتي أن أقوم بشيء بهذه الجسامة؟ ماذا لو أخفقتُ في تربيته أكثر من أمي؟

- لن تُخفق يا أطلس، وأنت تعرف ذلك كما أعرفه أنا.

يستقبل هذا التأكيد بابتسامة خاطفة، ويقول:

- من السهل عليكِ أن تقولي ذلك؛ فتربية الأطفال بالنسبة إليكِ أمر طبيعي.

https://t.me/fantazynov

- أُجيد ادعاء ذلك، أما الواقع فإنني لا أعرف حقيقةً ما يجب عليَّ القيام به. ولا يعرف أي والد أو والدة ما عليه أن يفعل. جميعنا يُعاني من متلازمة الخداع، ونمارسه في كل دقيقة من اليوم.

- لماذا أجد في ما تقولينه شيئًا مريحًا ومُرعبًا في ذات الوقت؟

- لقد لخَّصتَ لتوِّك معنى الأبوة في كلمتين.

يُطلق زفيرًا عميقًا، ويقول:

- عليَّ أن أعود إليه لأتأكَّد من أنه لم يقُم بسرقتي في هذه الأثناء، سأتصل بكِ لاحقًا، حسنًا؟

- حسنًا، بالتوفيق.

الطريقة التي يهمس بها أطلس كلمة *وداعًا* مثيرة حدَّ الهلاك!

حين أُنهي المكالمة، أرتمي على سريري وأُطلِق تنهيدةً عميقة. أُحِبُّ هذا الشعور الذي يغمرني عندما أتحدَّث إليه؛ تملأني النشوة والطاقة والبهجة الغامرة، حتى حين تكون المكالمة صادمة وصاخبة كهذه التي انتهت للتو.

كم أتمنى لو أنني أعرف عنوانه، لكنتُ ذهبتُ إليه على الفور ومنحتُه حُضنًا مماثلًا لحُضن الأمس الذي شملني به. يؤسفني ما يمُرُّ به الآن، غير أنني سعيدةٌ من أجله في ذات الوقت، فلا يمكنني أن أتصوَّر مدى الوحدة التي يشعر بها وليس لديه قريب واحد يشاركه الحياة.

https://t.me/fantazynov

أما هذا الصبي الصغير، فكأنما يُعيد تاريخ أطلس من بدايته، كأنه لم يكُن كافيًا أن يشعر ولد واحد بهذا الجحود من أمه.

يُطلق هاتفي طنين ورود رسالة جديدة. أبتسم حين ألاحظ أنها من أطلس، وأبتسم أكثر حين أرى كم هي طويلة رسالته النصيَّة.

شكرًا لكونكِ أكثر من يُريحني الآن في هذه الحياة. شكرًا لأنكِ الشعلة التي أحتاج إليها كلما فقدتُ الاتجاه. وسواءً قصدتِ أم لم تقصدي أن تضيئي لي الطريق، فإني أشعر بامتنان كبير نحوكِ. الحقيقة أني أفتقدكِ، وكان عليَّ بكل تأكيد أن أحظى بقُبلة منكِ.

أضع يدي أمام فمي حين أنتهي من قراءة الرسالة، يملأني شعور غامر لا أعرف أين أسكبه.

كم هو محظوظ جوش أن دخلتَ حياتَه الآن.

بعد ثوانٍ، يضع أطلس قلبًا على رسالتي، فأُرسل إليه رسالة جديدة.

ومعك كل الحق، كان عليكَ أن تُقبّلني بكل تأكيد.

فيضع قلبًا على هذه الرسالة أيضًا.

الفصل السابع عشر

أطلس

جوش لا يثق بي، لكنني سأظل وراءه حتى يستسلم لي. أنا على استعداد لأن أُراهن على أنه لا يثق في أي شخص مهما كان، لذا فالمسألة ليست شخصية بالنسبة لي. لو كانت طفولته شبيهة بطفولتي كما أعتقد، فلا بد أنه رأى ما يجعله أكثر صلابةً من أي صبي آخر في الثانية عشرة من العمر.

كلما حدَّق إليَّ بعينيه غير الواثقتين، أرى في نظرته فضولًا شديدًا نحوي. لا يطرح الكثير من الأسئلة، لكنه يراقبني بطريقةٍ تطفر منها ملايين التساؤلات العالقة فوق طرف لسانه، ولسبب ما يظلُّ يزدرد هذه الأسئلة دون أن يبوح بها. لا بد أنه يتساءل لماذا عامَلته بهذه البساطة ليلة أمس بعد أن تبيَّن لي أنه الشخص الذي أضرَّ بالمطعمَين. إنه يتعجَّب كذلك من كوني لم أعرف عنه أي شيء في السابق، ومن شدة التبايُن بيني وبين أمي وزوجها تيم.

وأيًّا كان ما يُثير استغرابه تجاهي، فإنه عاقد العزم على الحفاظ على تعبيرات وجهه صلبةً طوال الوقت. لا أعتزم أن أُشعره في صُحبتي بعدم ارتياح، لذلك أحرص على الحديث إليه فيما يتناول طعام الإفطار. ليس الأمر صعبًا لهذه الدرجة، فلديَّ مثل ما لديه من أسئلة أرغب في

https://t.me/fantazynov

طرحها عليه، وهي من ضمن الأسباب التي حرمَتني من النوم ليلة أمس حين عُدنا أخيرًا إلى البيت. ظللتُ أترقَّب صوت تسلُّله من البيت، وللأمانة صُدِمتُ حين وجدتُه لا يزال موجودًا حين طلع النهار.

لا بد أن أسئلتي تمثِّل له إزعاجًا ما بعده إزعاج، فأنا أتذكَّر جيدًا ما يعنيه أن تكون في الثانية عشرة من عمرك، كل ما أردته آنذاك أن أجد شخصًا يهتم بي، حتى لو كان اهتمامه مصطنعًا. لو كانت حياته قريبة من حياتي فقد أمضى اثنتي عشرة سنة شاعرًا بالإهمال، ولن أسمح بأن يشعر هكذا تحت سقف بيتي. لذلك فقد طرحتُ عليه أسئلة آمنة تمامًا حتى هذه اللحظة، تمهيدًا للأسئلة الأكثر وعورة.

يأكل جوش الطعام بالتناوب؛ البسكويت أولًا ثم اللحم المقدَّد. يشرع في تقطيع الفطائر حين أقول له:

- ما الأشياء التي تهتم بها؟ هل لديكَ هوايات؟

يتناول قضمة من الفطيرة، ويرفع أحد حاجبيه قليلًا إمَّا بسبب المذاق أو نتيجةَ السؤال. يقول:

- لماذا تسأل؟

- لماذا أسألك عن هواياتك؟

يبقى عُنُقه صلبًا وهو يومئ بالإيجاب.

- فاتتني اثنتا عشرة سنة من عمرك، فأريد أن أعرف عنك المزيد.

يُشيح ببصره ويحشو فمه بالمزيد من الفطير. يُتمتم قائلًا:

- رسوم المانجا.

تُدهشني الإجابة، لكنني، والفضل يعود إلى ثيو، أعرف أشياء عن المانجا، لذا أسأله:

- أي سلسلة تُفضِّل؟

- سلسلة «قطعة واحدة».

يهُزُّ رأسه كأنما ليمسح الإجابة السابقة ويقول:

- لا، بل سلسلة «الرجل المنشار» هي المفضَّلة لديَّ.

هذا أقصى ما باستطاعتي أن أخوضه في مناقشة كهذه قبل أن يظهر عليَّ الجهل، لهذا أقول:

- يمكننا أن نذهب لشراء الكتب اليوم لو أردْتَ.

يومئ برأسه ويقول:

- هذه الفطائر شهية.

- شكرًا على الإطراء.

أتأمَّله فيما يحسو حسوة من كوب العصير. يقول وهو يضع الكوب ويشير إلى الطبق:

- وما الذي تهتم به أنتَ بخلاف الطبخ؟

لا أعرف كيف أجيب على هذا السؤال، أكرِّس أكثر وقتي للمطعمين، وكلما أتيح لي وقت إضافي أقضيه إما في إجراء إصلاحات لازمة في البيت، أو في غسل الملابس، أو في النوم.

- أحب قناة الطهي.

يضحك جوش ويقول:

- يا للبؤس!

https://t.me/fantazynov

- لماذا؟

- لأنني قلتُ بخلاف الطبخ.

يبدو السؤال أصعب مما تصوَّرت حين أُلقِي الآن عليَّ. أقول:

- أحب زيارة المتاحف، والذهاب إلى السينما، والسفر والترحال، غير أنني لا أفعل أيًّا من هذا.

- لأنك تعمل طوال الوقت؟

- نعم.

- لهذا أقول إنه شيء بائس.

يميل فوق الطبق ليقضم قضمة أخرى من الفطير.

يبدو أن أسئلة التعارف هذه تأتي بنتائج عكسية وتنفجر في وجهي، لذا أوقِف هذه المطاردة قائلًا:

- لماذا تشاجرتَ معها؟

يهز كتفيه ويقول:

- كثيرًا ما يقع الشجار دون أن أعرف الخطأ الذي ارتكبتُه من الأساس؛ تثور ثائرتها بلا سبب.

أستطيع أن أضع نفسي في مكانه في هذا الأمر. أتركه يأكل لبرهة قبل أن أطرح عليه سؤالًا جديدًا:

- أين كنتَ تُقيم؟

لا ينظر جوش نحوي، يُحرِّك لقيمات الطعام في محيط طبقه لبرهة ثم يقول:

- في مطعمك.

يرفع عينيه إليَّ ببطء ويُكمل قائلًا:

- لديك أريكة مريحة للغاية في غرفة مكتبك.
- هل كنتَ تبيتُ *داخل* المطعم؟! كم أمضيتَ من الوقت تفعل ذلك؟
- أسبوعين.
- كيف أمكنكَ الدخول؟!
- ليس لديك جرس إنذار في هذا المطعم، وقد توصَّلتُ لطريقة لفَضِّ القفل بعد عدة محاولات. أما المطعم الآخر فوجدتُ في دخوله صعوبةً شديدة.
- تستطيع فَضَّ الأقفال!

لا أملك نفسي عن الضحك. براد ودارين سيقولان بكل استمتاع: *ألم نقُل لكَ.*

- وما الذي جعلكَ تُخرِّب المطعم بدلًا من المبيت بداخله؟

يرنو إليَّ جوش بنظرةٍ مترددة ويقول:

- لا أعرف، أظنني كنتُ غاضبًا.

يدفع الطبق بعيدًا ويتَّكئ على ظهر المقعد. يقول:

- وماذا بعد؟ هل يتوجَّب عليَّ أن أعود إليها؟
- ماذا تريد أنت؟

يهرش كُوعَه قائلًا:

- أريد أن أعيش مع أبي. هل يمكنكَ مساعدتي في العثور عليه؟

لا تزيد رغبتي في العثور على تيم عن رغبتي في رؤية أمي؛ كلاهما صفر. أسأله:

- هل تعرف عنه أي شيء؟
- أعتقد أنه يعيش الآن في فيرمونت، لكنني لا أعرف أين.
- متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟
- قبل سنوات، لكنه لم يعُد يعرف أين يجدني.

يبدو جوش الآن كأنما عاد لسِنِّه الطبيعية؛ صبي ضعيف يسهُل كسرُه، مهجور من أبيه، غير أنه يتعلَّق بالأمل. لا أريد أن أكون السبب في فُقدانه الأمل، لذلك أومئ إليه بالإيجاب وأقول:

- بالطبع، دعني أرى ما أستطيع عمله للعثور عليه، لكن حتى يحين ذلك عليَّ أن أُطَمْئِن أمكَ بشأنك. يجب أن أتصل بها.
- لماذا؟
- لأنني إن لم أفعل، قد أُعتبَر في نظر القانون خاطفًا.
- ليس في حالة أنني هنا بإرادتي.
- حتى لو كنتَ هنا بإرادتك، فلستَ في السن التي تؤهِّلك لاختيار مكان إقامتك، وإلى الآن أمك هي الوصيَّة عليك.

يبدو عليه الحنق بوضوح. يرمق فطوره بنظرة عابسة دون أن يتناول منه قضمة أخرى.

أبتعد عنه حتى أهاتف ساتن. كنتُ قد ألغيتُ حَظْر رقم هاتفها حين غادرَت المطعم ليلة أمس تحسُّبًا لاتصالها بي. أتَّصل بالرقم

https://t.me/fantazynov

وأضع الهاتف على أُذني، وبعد عدة رنات تُجيب الاتصال بـ «ألو» مُفعَمة بالسُّكْر.

- مرحبًا. لقد عثرتُ عليه.

- مَن أنت؟

أغمِض عينيَّ لبرهة في انتظار أن تستفيق وتتذكَّر أن لديها ابنًا مفقودًا تبحث عنه. بعد ثوانٍ أسمعها تقول:

- أطلس؟

- نعم، لقد وجدتُ جوش.

أسمع حفيفًا عبر الهاتف كأنما تنهض بعجالة من السرير.

- أين كان مختفيًا؟

لا أريد أن أُجيب سؤالها. صحيح أنها أمُّه، لكن برغم ذلك أرى أنه ليس من شأنها أن تسأل عن مكانه، وهذا رأي غير معتاد بالطبع، لذلك أقول:

- لستُ متأكدًا أين كان، لكنه ليس معي الآن على كل حال. اسمعي.. كنتُ أتساءل لو كان بإمكانه أن يبقى معي بعض الوقت؟ ربما تحصلين على استراحةٍ من المتاعب؟

- تُريده أن يُقيم معك *أنت*؟!

أجفل من الطريقة التي تتَّكئ بها على الكلمة الأخيرة. الأمر أصعب مما توقَّعت، إنها من ذاك النوع من البشر الذي يتشاجر لأجل الشجار فقط، بصرف النظر عن النتيجة المأمولة. أقدِّم إليها عرضًا مغريًا:

https://t.me/fantazynov

- أستطيع أن أُلحِقه بالمدرسة وأضمن حضوره، فأرفع عنكِ عبء تغيُّبه عن الحضور.

لا يصلني من ناحيتها غير الصمت، كأنها تُفكِّر في العرض. تُتمتم:

- يا لك من شهيد مُضَحٍّ. أحضره إليَّ، الآن.

تُنهي المكالمة. أحاول معاودة الاتصال ثلاث مرات، غير أنها تُحوِّل المكالمات إلى البريد الصوتي.

- لا يبدو هذا واعدًا.

هكذا يقول جوش، الذي أجده واقفًا عند باب المطبخ. لا أعرف كم سمع من المكالمة، لكن من حسن الحظ أنه لم يسمع الجزء الخاص بها على الأقل.

أدس الهاتف في جيبي وأقول:

- تريدكَ أن تعود اليوم، لكنني سأتصل بالمحامي غدًا، ويمكنني الاتصال بخدمة حماية الأطفال لو أردتَ ذلك، لكن ليس هناك الكثير مما يُمكننا القيام به في عطلة يوم الأحد.

تهبط كتفا جوش إحباطًا حين أقول ذلك، ويقول:

- ألا تُعطيني رقم تليفونك على الأقل؟

يسأل كأنما يخشى أن أقول لا.

- بالطبع، لن أتخلى عنك الآن بعدما علمتُ بوجودك.

يتفقَّد ثُقبًا في كُمِّه مُتفاديًا عينيَّ ويقول:

- لن ألومك لو شعرتَ بالغضب تجاهي؛ لقد كلَّفتك الكثير من المال.

- نعم فعلتَ، هذا الخبز المحمَّص الذي التهَمْتَه مكلِّف للغاية.

يضحك جوش لأول مرة هذا الصباح، ويقول:

- عزيزي، هذا الخبز المحمَّص *لذيذ* لدرجةٍ لعينة تُسيل اللعاب.

- لا تستخدم ألفاظًا لا تُناسب سنَّك.

***

يقع فندق رازمور على الجهة المقابلة من بوسطن. يستغرق الذهاب إليه خمسًا وأربعين دقيقة بسبب الزحام، مع أن اليوم عطلة نهاية الأسبوع. ندخل موقف السيارات، لكن جوش لا يخرج من السيارة عند توقفها، بل يظل جالسًا في صمت في مقعد الركَّاب، مُحدِّقًا في المبنى كأنه آخر مكان في العالم يريد أن يذهب إليه.

تمنَّيتُ ألا أضطر إلى إعادته لأمه، غير أنني حين اتصلتُ بصديقي المحامي بعد مكالمتي مع ساتن، نصحني بأن أُعيده إليها لو أردتُ الخوض في الاتجاه الصحيح دون أن أمنحها سلاحًا تضربني به. ثم يمكنني أن أرفع دعوى قانونية ضدَّها من خلال مُحامٍ لو أردتُ أن أمضي في هذا السبيل.

أما أي إجراء خارج الإطار القانوني فيُمكن أن يُستخدَم ضدي.

وبوضوح، لا يمكنني أن أختطف أخي حتى لو علمتُ يقينًا بأنه يتعرَّض لخطر ما.

أريد أن أشرح هذا كله لجوش بالتفصيل، حتى يعرف أنني لا أتخلى عنه وأُعيده إليها بلا سبب قهري، لكنه عاقد العزم تمامًا على الإقامة مع أبيه، لدرجة أني لا أعرف إن كان يريد حقًّا أن يبقى معي.

https://t.me/fantazynov

كما أنني غير متأكد من استعدادي لتنشئة أخٍ صغير، ومع ذلك فلن أهجره طالما حييتُ ولن أتركه تحت وصاية هذه المرأة بمحض إرادتي ودون محاولة جادة على أقل تقدير.

وحتى أتوصَّل لما يجب أن أفعله، لا أريده أن يجد نفسه وحيدًا بلا طعام ولا مال يُمدِّد به إقامتهما في هذا الفندق. أُخرِج محفظة النقود وأُناوله كارت الائتمان وأقول:

- هل أستطيع الوثوق فيك وإعطاءك هذا الكارت؟

ينظر جوش للكارت الذي تمتدُّ به يدي، عيناه تتسعان قليلًا وهو يقول:

- لا أجد سببًا يجعلك تثق فيَّ، بعدما أمضيتُ الأسبوعين الماضيين في محاولات لتخريب عملك.

أدفع إليه بالكارت وأقول:

- استعمله في الضروريات: الطعام، شراء رصيد لهاتفك المحمول.

كنا قد توقفنا في الطريق واشترينا له هاتفًا محمولًا لنبقى على اتصال. أضيف قائلًا:

- وربما ملابس جديدة مناسبة.

يتناول جوش الكارت في تردد ويقول:

- لا أعرف حتى طريقة استعمال هذه الكروت.

- عليكَ أن تُمَرِّره فقط لا غير، لكن لا تُخبِر ساتن بأنه في حوزتك.

https://t.me/fantazynov

أشير إلى هاتفه وأُكمِل قائلًا:

- خَبِّئه بين الهاتف والجراب.

يخلع الجراب ويحشر الكارت بداخله، ثم يقول:

- شكرًا لك.

يضع يده على باب السيارة ويقول:

- هل ستأتي لتتحدَّث إليها؟

أومئ برأسي نفيًا وأقول:

- الأفضل ألا أفعل، فهذا سيُشعل غضبها لدرجة أشد.

يتنهَّد جوش ويخرج من السيارة. يُحدِّق أحدنا نحو الآخر لمدة ثوانٍ قبل أن يُغلق أخيرًا باب السيارة.

أشعر بحماقة شديدة أن أُعيده إلى هنا، لكن ليس أمامي إلا أن أخوض في هذه المسألة بالطريقة السليمة. قد تُحرِّر محضرًا ضدي لو لم أُعِده إليها، ما لا أستبعده أبدًا نظرًا لمعرفتي بطباعها. الأفضل أن أتركه لها اليوم، وأشرع غدًا مع بداية الأسبوع في عمل اتصالاتي للوقوف على الخطوات التي عليَّ اتباعها حتى أنقله للسكن معي.

أعرف أنه لو عاش معها هنا فلن يكون أمامه أدنى فرصة للنجاة. كان من حظي الحسن أني وجدت لِيلِي، فقد أنقذت حياتي من الضياع. وأنا غير واثق من أن الحياة لديها ما يكفي من الحظ كي يجد كلانا غريبًا يجِدُّ في إنقاذه.

أنا كل ما لديه.

https://t.me/fantazynov

أبقى في سيارتي فيما يقطع جوش موقف السيارات في طريقه إلى الفندق، يرتقي الدرجات ويطرق ثاني باب قبل نهاية الردهة. ينظر وراءه بحثًا عني، فأُلوِّح له فيما يُفتح باب الغرفة.

برغم المسافة التي تفصلنا، أستطيع ملاحظة الغضب في عيني ساتن. تشرع مباشرةً في الصياح في وجه الصبي، *ثم تلطمه على وجهه*.

أضع يدي على أُكرة باب السيارة قبل أن يتَّخذ جوش أي ردة فعل. الآن تمسك ساتن بذراع جوش وتجذبه بعُنف لداخل الغرفة. أكون قد ابتعدتُ عن سيارتي لمسافة جيدة وأنا أراه يسقط من فوق عتبة الباب ويختفي بداخل الغرفة.

أرتقي درجتين في الخطوة الواحدة وقلبي يسابق خطواتي. أصل إلى الباب قبل أن تُغلقه، لا يزال جوش يعافر للوقوف على قدميه، وهي تُحلِّق فوقه وتوبِّخه.

- كنتُ سأدخل *السجن* بسببك أيها الخراء الحقير.

لا تعرف أني صرتُ وراءها، أُحيط خصرها بذراعي وأمنعها من الوصول إليه برَفْعها عن الأرض وإلقائها على المرتبة التي تقع ورائي. يحدث كل شيء في أقصى سرعة، ومن صدمتها لا تقوم بأي ردة فعل.

أساعد جوش على النهوض. هاتفه ملقى على الأرض على مسافة قريبة، ألتقطه وأناوله إياه، ثم أخطو به نحو الباب.

تنتبه ساتن لما يحدث، وتقفز من السرير وتتبعنا إلى الباب قائلةً:

- أعِدهُ إليَّ!

https://t.me/fantazynov

أشعر بيدها تمسك بي، تجذبني من القميص في محاولة لإيقافي أو دفعي جانبًا لكي تمسك جوش.

أدفعه للمُضِي إلى الخارج:

- اذهب إلى السيارة.

يمضي نحو درجات السلم، فأقف وأستدير مواجهًا ساتن. تشهق حين ترى الغضب يُشع من عينيَّ، وتلطم صدري براحتَيها فتدفعني إلى الخلف. تصيح فيَّ:

- إنه ابني *أنا*! سأتصل بالبوليس!

أطلِق ضحكةً ساخطة. أريد أن أقول لها اطلبي البوليس، أريد أن أصرخ في وجهها، لكن أكثر ما أريده الآن أن أُبعِد جوش عنها. لن أسمح لها أن تُفسد حياته في وجودي.

لا أملك حتى الطاقة للرد عليها. هذه المرأة لا تستحق الحديث. أمضي مُبتعدًا وأتركها تصرخ فيَّ كما كانت تفعل قديمًا.

حين أصل إلى السيارة أجد جوش جالسًا في المقعد الأمامي. أصفق الباب وأمسك عجلة القيادة بكلتا يدي قبل أن أُدير محرك السيارة. أحتاج لاستعادة هدوئي قبل القيادة من جديد والعودة للطريق.

يبدو جوش هادئًا على نحو لا يتناسب مع ما حدث للتو، ما يُثير لديَّ التساؤل إن كان هذا نمطًا معتادًا للتواصل فيما بينهما، فهو جالس بجواري يتنفس باعتيادية، لا يبكي، لا يُلقي بالسباب، يرمقني فحسب. أدرك أن ما سيبدر عني في هذه اللحظة بالتحديد سيتشرَّبه إلى الأبد.

https://t.me/fantazynov

أُنزِل يدي عن عجلة القيادة وأتنفس بهدوء.

ثمة احمرار على خدِّه، وجرح صغير ينزف فوق جبهته. أُخرج منديلًا من علبة القفازات وأناوله إياه، وأقلب الشماسة لأسفل حتى يرى أين عليه أن يمسح الدماء.

- رأيتها تصفعك، لكن كيف حدث هذا الجرح؟

- أظن أني ارتطمتُ بحامل التلفزيون.

ببطء وهدوء يا أطلس. أرجع بالسيارة إلى الخلف وأخرج من موقف السيارات، أقول له:

- ربما الأفضل أن نذهب لعيادة الطوارئ حتى نعالج هذا الجرح ونتأكَّد من أنك لم تتعرض لارتجاج في المخ.

- أنا بخير، أستطيع التمييز حين يحدث ارتجاج مخيّ.

يستطيع التمييز؟! أضغط فكيَّ حين يقول ذلك، أدرك أنني ليس لديَّ أدنى فكرة عن الجحيم الذي مَرَّ به هذا الصبي، وكنتُ على وشك أن أُلقيه فيه من جديد.

- الأفضل أن نأخذ احتياطنا.

هكذا أقول له، لكن ما أعنيه هو: *الأفضل أن نحصل على وثيقة رسمية تثبت الواقعة، إذ ربما نحتاجها كدليل على انتهاكها لك.*

https://t.me/fantazynov

الفصل الثامن عشر

لِيلي

مرَّت خمسة أيام منذ التقَيتُ أطلس. أحاول ألا أترك نفسي للتوتُّر الزائد بسبب انشغالنا أغلب الوقت، وأعرف أن حالتي ستتحسَّن كثيرًا حين أرتاح لوجوده مع إيمي في نفس المكان. لكنْ بدافعٍ من المسئولية أرى أن الأفضل أن يكون والد إيمي على عِلمٍ بأني أُواعد شخصًا جديدًا قبل أن أشرع في دعوته في حضور إيمي.

إنه لمُحبِط أن يكون التصرف الأكثر مسئولية هو ذات التصرف الذي يُثير رُعبي، ما يجعلني أؤجِّل اتخاذ القرار حتى وقتٍ لاحق. لا عيب في أن يكون الإنسان صبورًا.

محل الورد تنقصه العمالة هذا الأسبوع؛ لوسي مشغولة بحفل زفافها القريب، أما أطلس فمأخوذ بالإجراءات القانونية الخاصة بالوصاية، وإدارة المطعمين، ورعاية الصبي الصغير. وفوق كل هذا، فقد تحوَّلت الحمى التي عانَتها أمي خلال الأسبوع الماضي إلى دور أنفلونزا شامل، فلم تقدر على مجالسة إيمي على الإطلاق، فاضطررتُ لاصطحابها معي ليومين من الثلاثة التي ذهبتُ فيها إلى العمل هذا الأسبوع.

كان أسبوعًا من الجحيم، مضغوطًا لدرجة استحالة الحصول على حضن عابر على الطريق.

https://t.me/fantazynov

أخذ رايل ومارشال الفتاتين لحديقة الحيوان اليوم. إيمي أصغر من أن تستوعب الأمر وتستمتع به، لذا يبدو أن المتعة كانت من نصيب رايل اليوم.

مضى تبادل الأدوار بيني وبينه على نحو جيد هذا الصباح، على الرغم من أننا لم نتحدَّث معًا منذ ذلك النقاش حول الاسم الأوسط فوق سطح البناية في الأسبوع الماضي. كان فظًّا بعض الشيء، لكنني أفضل هذه الفظاظة على تلك المبادرات العاطفية التي لا يزال يقوم بها معي في بعض الأحيان.

أليسا تعمل معي اليوم لأن رايلي ليست معها. تعود حاملةً كوب القهوة بعدما أنجزنا جميع المهام، أعددنا كل الطلبات وسلَّمناها لمسئول التوصيل قبل ساعة من الآن، وهذه هي المرة الأولى التي نجد فيها الوقت للحديث الشخصي منذ واعدني أطلس في الأسبوع الماضي.

تُناولني كوب القهوة وتضغط زر الكمبيوتر لكي تراجع إن كان ثمة طلبات جديدة في صندوق الوارد. أسألها:

- ماذا سترتدين في زفاف لوسي؟
- لن نذهب.
- ماذا؟!
- لا يمكننا الذهاب. إنه عيد زواج أبي وأمي الأربعون. نرتِّب أنا ورايل لعشاء مفاجئ.

لقد أخبرتني بهذا من قبل، غير أني لم أكن أعرف أنه في نفس يوم زفاف لوسي. توضح قائلةً:

- إنها الليلة الوحيدة التي يمكن لرايل أن يترك فيها العمل.

ينال مني الإحباط. إني أكره جدول عمل رايل. أعرف أنه سيتحسن مع الوقت حين لا يكون أحدث الجراحين انضمامًا لفريق العمل، لكن حتى حين لا يُمثِّل جدول عمله عقبةً أمام ترتيبات رعاية الطفلة، فهو يجعل صديقتي مضطرة للاختيار بين حفل الزفاف والاحتفال بأبويها.

أعرف أن رايل لا ذنب له في هذه المسألة، غير أن إلقاء اللوم عليه في الأشياء التي ليس له يد فيها يشعرني بسعادة ما.

- هل لوسي تعرف أنكِ لن تحضري الزفاف؟

تومئ أليسا بالإيجاب وتقول:

- نعم تفهَّمت الأمر، وصار لديها فمان أقل لن تضطر لإطعامهما.

تحسو من كوب القهوة وتُكمل قائلةً:

- هل ستصحبين أطلس؟

- لم أدعُه. تصوَّرت أنكِ ذاهبة مع مارشال، ولم أكُن لأطلب أن تكذبا ثانيةً لأجل خاطري.

من المُخزي أني طلبتُ من أليسا أن تُجالس إيمي في الأسبوع الماضي حتى أذهب للقائي الغرامي، لأنها ستُضطر للكذب على رايل لو تطرق الأمر لهذا الموضوع. وبالفعل اضطرَّت إلى الكذب عليه نهاية الأمر.

https://t.me/fantazynov

- متى تُخططين لإخبار رايل برجوعكِ لعالم المواعيد الغرامية؟
- امهم.. هل يلزمني أن أُخبره؟
- سيعرف مع الوقت.
- ماذا لو كان بإمكاني أن أدَّعي مُواعدة شخص يُدعى جريج.. لا أظنُّه سيشعر بنفس التهديد حيال رجل اسمه جريج. ربما عليَّ ألا أُحدد اسم الشخص الذي أواعده حتى لا يغضب كثيرًا، ثم أُسرِّب معلومة أطلس بعد عشر سنوات، أو عشرين.

تضحك أليسا، ثم تُحدق فيَّ بفضول:
- لماذا يكره رايل أطلس لهذه الدرجة؟
- لم يُعجبه أني احتفظتُ بتذكارات قديمة من سنوات المراهقة حين كنتُ أواعد أطلس.

تظل تُحدق فيَّ، منتظرةً شيئًا إضافيًّا، وتقول:
- وماذا بعد؟

أهزُّ رأسي نفيًا، إذ ليس هناك شيء آخر، وأقول:
- ماذا تقصدين؟
- هل خُنتِ رايل مع أطلس؟
- *ماذا تقولين؟!* لا! *بالطبع لا!* يستحيل أن أفعل شيئًا كهذا لرايل.

أشعر بشيء من الإهانة نتيجة السؤال، لكن سرعان ما أستوعب سبب السؤال. من الطبيعي أن يتساءل أي شخص عن السبب وراء رد فعل رايل.

تسبح عينا أليسا في دوامة من الحيرة، وتقول:

- لا أزال لا أفهم المسألة. طالما لم تخونيه مع هذا الرجل، فلماذا يكرهه لهذه الدرجة؟!

أُطلق تنهيدة مضخَّمة، وأُجيبها:

- أليسا، لقد سألتُ نفسي السؤال ذاته ملايين المرات.

ترسم وجهًا مستاءً مما يُحتَفَظ به للإخوة الأشقاء، وتقول:

- لم أرغب في سؤالكِ من قبل، لظنّي أنكِ خجلانةٌ بسبب خيانتكِ لأخي ولا تُريدين الاعتراف لي.

- لم أتبادل حتى قُبلةً مع أطلس منذ كنتُ في السادسة عشرة. رايل لا يتحمَّل فكرة أن ماضيَّ يتسلل أحيانًا إلى حياتي الراهنة، على نحو أفلاطوني وعُذري.

- تمهَّلي هنا.. لم تُبادلي أطلس قُبلة واحدة منذ كُنتِ في السادسة عشرة؟!

إنها تتعلَّق بنقطةٍ خارج السياق تمامًا في هذه المناقشة.. تُكمل قائلةً:

- حتى أثناء موعدكما الغرامي في الأسبوع الماضي؟!

- اتفقنا أن نأخذ الأمور ببطء. وهذا أفضل بالنسبة لي، فكلما مضينا ببطء صار لديَّ وقت أطول لمصارحة أخيكِ.

- أرى أن عليكِ أن تقطعي العِرق مرَّةً واحدة.

تُشير إلى هاتفي الموضوع فوق الكاونتر وتُكمل قائلةً:

- اكتبي رسالة لرايل الآن، وأخبريه أنكِ تواعدين أطلس. سيتجاوز الصدمة؛ ليس لديه خيار آخر.

- عليَّ أن أُخبره بهذا وجهًا لوجه.

- أنتِ تُراعين شعوره أكثر مما يجب.

- بل أنتِ التي تأخذ الأمور بسذاجةٍ أكثر من اللازم. لو كنتِ تظننين أن رايل سيتجاوز الأمر فأنتِ لا تعرفين أخاكِ جيدًا.

- لم أدَّعِ المعرفة قط.

تتنهَّد أليسا وتضع ذقنها فوق راحتها وتقول:

- قال لي مارشال إنه أخبركِ بأني خُنته.

يسعدني أن تُغيِّر الموضوع..

- نعم، كانت صدمةً بالنسبة لي.

- أخطاء السَّكارى. كنتُ في التاسعة عشرة؛ لا شيء يُحسَب قبل الواحد والعشرين.

أضحك.

- صحيح؟

- بالطبع.

تقفز جالسةً فوق الكاونتر وتمرجح رجلَيها وتقول:

- احكي لي عن أطلس. احكي لي كأقرب صديقاتكِ، لا كأُختِ زوجكِ السابق.

ها قد عدنا سريعًا لنفس المناقشة؛ كانت استراحة قصيرة فحسب.

- ألن يُسبب لكِ حديث من هذا النوع شيئًا من الإرباك؟

- ولماذا يُربكني، ألأن رايل أخي؟ لا، ليس مربكًا على الإطلاق. كان عليه أن يكون ألطف معكِ، حتى لا يضطركِ لمواعدة آلهةٍ إغريقيين.

تلوي حاجبَيها في عبوس وتكمل قائلةً:

- إذًا، ماذا عن أطلس؟ يبدو غامضًا بعض الشيء.

- ليس غامضًا بالنسبة لي.

أشعر بابتسامة تريد أن تغمر وجهي، فأُطلق سراحها وأقول:

- أتكلم معه بسهولة تامة، كما أجده طيبًا معي؛ في مستوى طيبة *مارشال* مثلًا، لكن ليس منطلقًا مثله، إنه أكثر تحفُّظًا، يعمل كثيرًا، وإيمي معي طوال الوقت، لذا كان من الصعب أن نجد وقتًا نُمضيه معًا. كما أنه اكتشف منذ أيام أن له أخًا صغيرًا، لذلك ضربت الفوضى حياته قليلًا هذه الأيام. الرسائل والاتصالات الهاتفية هي وسيلة التواصل الأساسية بيننا، وهذا شيء مريع.

- ألهذا تتفقّدين هاتفكِ باستمرار؟

أشعر بالحرارة تضرب وجنتَيَّ حين تقول ذلك. من السيئ أنها لاحظت، حاولت جهدي ألا يظهر عليَّ ذلك. لا أريد أن يلاحظ أي أحد كم نتراسل أنا وأطلس، أو كم *أفكِّر* في مراسلته، أو كم *أفكِّر فيه* عمومًا.

https://t.me/fantazynov

ربما أخشى أن أتطرَّق لهذا مع أليسا حتى لا أسمح لنفسي بالشعور بالسعادة لعثوري على أطلس قبل أن أطمئن أن رايل لن تثور ثائرته بسبب أطلس.

أتلقَّى رسالةً فيما أنا سرحانة في هذه الفكرة، وأحتاج لكل قواي حتى أقاوم الابتسام حين أنظر إلى الهاتف وأقرأها.

- هو؟

تسألني أليسا فأومئ بالإيجاب، فتقول:

- ماذا يقول؟

- سألني إن كنتُ أريد أن يجلب لي طعام الغداء.

تقول بحماس:

- نعم.. قولي له إنكِ تتضورين جوعًا، وكذلك صديقتكِ.

أضحك، ثم أرُدُّ على أطلس: هل يمكنك إحضار غداء لشخصين اليوم؟ زميلتي تغار حين تجلب لي الطعام.

يردُّ مباشرة: سيكون هناك خلال ساعة.

***

حين يصل أطلس أخيرًا، يجدنا منشغلتَين أنا وأليسا مع الزبائن. يأتي حاملًا كيسًا ورقيًّا بني اللون. أشير إليه حتى ينتظر بجانب الكاونتر، فيقف في صبر حتى نفرغ مما نقوم به. تنتهي أليسا أولًا، ولمدة خمس دقائق على الأقل تخوض نقاشًا مع أطلس لا أسمع منه شيئًا من هذا الجانب من المحل. أحاول أن أظل منتبهةً مع الزبون

الواقف أمامي، لكن أليسا المنطلقة في الحديث مع أطلس تجعلني متوترة، فلا يمكن التكهُّن بما سيخرج من فمها.

يبدو أطلس سعيدًا بهذا الحديث معها، مُستمتعًا بما تقوله أيًّا ما كان فحواه.

أشعر كأن عِقدًا من الزمان مَرَّ عليَّ حين ألحق بهما أخيرًا. ينحني أطلس ويُحيِّيني بقُبلة على الخد، وتظل أصابعه تُملِّس على مرفقي لمدة ثوان قبل أن يسحب يده. تلك اللمسة البسيطة تُرسل تيارًا من المشاعر داخلي، فيصعب عليَّ أن أظل منتبهةً كي لا يظهر عليَّ أني أدوخ عند حضوره.

تبتسم أليسا كأنها تفهم كل شيء، وتقول:

- آدم برودي، صح؟

ليس لديَّ أدنى فكرة عما تقصد، لكن حين أنظر إلى أطلس وأجده يضحك أفهم المقصود. كان عندي بوستر لآدم برودي معلَّق فوق حائط غرفتي حين جاء أطلس إلى بيتي لأول مرة.

أدفع ذراع أطلس قائلةً:

- كنت في الخامسة عشرة من عمري!

يضحك، فتكتنِفُني البهجة من طريقة أليسا اللطيفة معه. أعرف أن لديها كل الحق أن تشعر بالولاء التام نحو أخيها، لكن ذلك لا يعطيها الحق في الإساءة لشخص لمجرد أن أناسًا آخرين لا يحبونه.

هي ليست تلك الصديقة التي ستبقى في ظهرك مهما فعلْت، ولا الأخت التي ستفعل ذلك مع أخيها، هذا أكثر ما أحبه في أليسا، فأنا

أيضًا لا أبقى في ظهر أحدٍ بصرف النظر عن تصرفاته، لو أسأت التصرف سأكون الصديقة التي تقول لك كم تصرفتَ بحمق، ولن أنضم إليك في حماقاتك.

وأريد من أصدقائي أن يعاملوني بنفس المنطق، فأنا أفضِّل الأمانة على الولاء الذي بلا شروط، فالأمانة هي ما يجلب الولاء الحقيقي.

أقول لأطلس:

- شكرًا على الغداء.. هل استقرَّت أمور جوش في المدرسة؟

كان أطلس يعمل جاهدًا على قَيْده في مدرسة قريبة من مسكنه، بدلًا من مدرسته التي تقع على الجانب الآخر من المدينة.

- نعم، استقرَّت الأمور. أحمد الله أنهم لا يراجعون بدقة نماذج القيْد التي اضطُررتُ إلى مَلْئها، فقد كذبتُ في بعض البيانات.

- أثق أن الأمور ستكون على ما يُرام. لا أستطيع الانتظار حتى أقابله.

تسأله أليسا:

- كم عمره؟

- أتمَّ لتوِّه اثني عشر عامًا.

- يا إلهي! إنها السن الأسوأ، لكن على الأقل لن تضطر إلى دفع مقابلٍ لجليسة أطفال كل يوم؛ ميزة مخفية.

تُفرقع أليسا بأصابعها وتُكمل قائلة:

- بمناسبة الحديث عن الأطفال، ستترك لِيلِي ابنتها إيميرسون تحت رعاية شخص آخر يوم السبت القادم لأنها ذاهبةٌ لحفل زفاف؛ ستكون وحدها تمامًا في هذه الليلة كأنها امرأة عازبة.

أُدير رأسي وأنظر إليها قائلةً:

- كنتُ على وشك أن أدعوه، ولم أكن بحاجةٍ لمساعدتكِ.

يشرئب أطلس بعنقه ويقول بابتسامة ماكرة:

- زفاف، هه؟ هل تُخططين للنوم أثناء الحفل؟

تحمرُّ وجنتاي، ما يثير فضول أليسا لمعرفة أصل الموضوع، فيستدير إليها أطلس ويقول:

- ألم تُخبركِ بأنها نامت طوال موعدنا الغرامي الأول؟

لا أنظر إلى أليسا، غير أني أشعر بتحديقها فيَّ، أقول في محاولةٍ لتبرير ما لا يُمكن تبريره:

- كنتُ تعِبة.. مجرَّد صدفة.

فتقول أليسا:

- أوه، أريد أن أعرف كل شيء عن هذه القصة.

فيقول أطلس:

- راحت في النوم ونحن في الطريق إلى المطعم، وظلت نائمة في موقف السيارات لأكثر من ساعة. لم ندخل المطعم من الأساس.

تضحك مني أليسا فأشعر برغبةٍ في الزحف والاختباء أسفل الكاونتر. فيما يسألني أطلس:

- حفل زفاف مَن؟

- صديقتي لوسي. إنها تعمل معي هنا.

- ما الموعد؟

- السابعة. زفاف مسائي، لو كان باستطاعتك المجيء.

- نعم، أستطيع.

يصنع أطلس بعينيه تلك الحركة التي تقول كم أتمنى أن نكون وحدنا الآن، الحركة التي تسري بسببها وخزاتٌ من الدفء أسفل عمودي الفقري.

- عليَّ أن أذهب الآن، استمتعا بالغداء.

يقولها أطلس، ثم يومئ لأليسا ويُكمل قائلًا:

- سعدتُ بلقائكِ الآن بصفة رسمية.

- وأنا أيضًا.

يمضي نحو باب المحل وهو يُصفِّر بسعادة، ويُغادر في مزاج رائق يجعل قلبي يتورَّم وهو يراه سعيدًا هكذا. لا أعرف إن كان شعوره بالبهجة يَمُتُّ إليَّ بأية صلة، لكن الصبية المراهقة التي بداخلي، والتي كانت قلِقةً عليه طوال تلك السنوات، تشعر بسعادةٍ غامرةٍ لرؤيته موفقًا في حياته لهذه الدرجة.

- ماذا به؟!

تقول أليسا، فأنظر إليها وأجدها تُحدق في الباب الذي اختفى وراءه أطلس الآن. أسألها:

- ماذا تقصدين؟

- لِمَ لم يتزوج حتى الآن؟ ولماذا لا يُرافق أحدًا؟
- آملُ أن تكون له رفيقة قريبًا.

لا أستطيع قَوْلَ ذلك دون أن أبتسم، فتقول أليسا:

- يبدو أنه يُعاني من مشاكل في الفِراش، ولذلك يبقى عازبًا.
- قطعًا لا يُعاني أيًّا من هذا!

يسقُط فكُّها لأسفل، وتقول:

- قلتِ إنكِ لم تُقبِّليه حتى الآن، فكيف لكِ أن تجزمي بذلك؟!
- لم أُقبِّله ونحن *ناضجان*.. لا تنسي أن لنا تاريخًا سابقًا؛ لقد كان أول شخص يشاركني الفراش، وكان جيدًا جدًّا، جدًّا. ولا أشكُّ في كونه أفضل الآن.

لبرهة تُحدق فيَّ أليسا، ثم تقول في عبوس:

- أنا سعيدة لأجلكِ يا لِيلِي. سيُحبُّه مارشال أيضًا؛ إنه لطيف وجذاب.

تقولها كأنها النتيجة الأسوأ على الإطلاق. فأسألها:

- وهل هذا شيء سيئ؟
- لا أعرف إن كان شيئًا جيدًا في الحقيقة.. المسألة كلها مربِكة، أنتِ تعرفين ذلك ولا أحتاج أن أشرح لكِ أي شيء، لكنني أستطيع أن أفهم تمامًا لماذا ترددين في مصارحة رايل بالأمر، فمعرفة أن زوجته السابقة تُشارك السرير مع كتلة الكمال هذه أمر مهين جدًّا لرجولته.

أرفع حاجبي اندهاشًا وأقول:

- ليس مهينًا للرجولة كأن يضرب زوجته.

أشعر بصدمة طفيفة وأنا أنطق بهذه الكلمات، لكنها خرجت مني ولن أستطيع ابتلاعها. لا أظنني أحتاج لذلك، فمن حسن حظي أن صديقتي المفضلة ليست الأخت التي ستبقى في ظهر أخيها مهما فعل.

وبدلًا من أن تشعر أليسا بالاستياء تومئ لي قائلةً:

- أحرزتِ نقطة جيدة يا لِيلِي، جيدة بحق.

الفصل التاسع عشر

أطلس

لا أعرف إن كانت سن الثانية عشرة مناسبة لاستقلال سيارة أوبر، لكني لم أُرِد أن أترك جوش وحيدًا في منزلي بعد رجوعه من المدرسة ثانيةً فطلبتُ أوبر حتى آتي به إلى المطعم. وكنا قد اتفقنا قبل أيام على ضرورة أن يساعد هنا لبعض الوقت كتعويض عن الخسائر التي تسبب فيها.

أتابع سيارة أوبر فيما تمضي على الخريطة حتى ألتقيه خارج المطعم متى يصل. يبدو صبيًّا مغايرًا تمامًا للذي التقيته قبل أيام. يرتدي ثيابًا تناسب قياسه، وقد أخذته ليقصَّ شعره بالأمس. وها قد جاء حاملًا حقيبة ظهر مليئة بالكتب بدلًا من علب الطلاء البخاخ.

أشك أن ساتن ستعرفه لو رأته الآن.

- كيف حال المدرسة؟

اليوم ثاني أيامه في مدرسته الجديدة. بالأمس قال إنها جيدة فحسب، ودون إسهاب.

- جيدة.

https://t.me/fantazynov

أظنني لن أحصل على أكثر من هذه الإجابة من صبي في الثانية عشرة. أفتح باب المطعم، ويتمهل جوش قبل الدخول. ينظر إلى المبنى كأنما يُقيِّمه، ويقول:

- من المضحك أني بِتُّ هنا لأسبوعين، وبرغم ذلك فهذه أول مرة أدخل من باب الدخول.

أضحك وأتبعه إلى الداخل. أتحمَّس لتعريفه على ثيو، مع أنني لم أجد الفرصة بعد لكي أُخبر ثيو عن جوش. وصل ثيو قبل دقائق ودخل من الباب الخلفي في نفس الوقت الذي توجَّهتُ فيه إلى الباب الأمامي للقاء جوش.

لم يجئ ثيو إلى المطعم منذ الأسبوع الماضي، ولم أُحضِر جوش لأني اضطُررتُ إلى الغياب عن العمل قليلًا حتى أُعيد ترتيب حياته. حين نمُرُّ من الباب المزدوج المُفضي إلى المطبخ المشغول بالعاملين، يتوقف جوش في اندهاش. يحدق بعينين مبرقتين في الهرج والمرج الدائر في المطبخ. أثق أن المكان يختلف تمامًا أثناء اليوم عما عرفه أثناء مبيته هنا.

باب غرفة مكتبي مفتوح، ما يعني أن ثيو بالداخل يُنجز فروضه المدرسية. أقود جوش في اتجاه غرفة المكتب فيتبعني إلى الداخل. ثيو جالس إلى المكتب يقرأ، يرفع عينيه إليَّ ثم ينظر إلى جوش. يستند إلى ظهر الكرسي ويحني وجهه لأسفل ويقول لجوش:

- ماذا تفعل هنا؟

فيُعيد جوش إليه السؤال:

https://t.me/fantazynov

- ماذا تفعل *أنت* هنا؟

يسألان أحدهما الآخر كأنما تعرَّفا منَ قبل. لم أكن أتصوَّر ذلك فالمدارس تتسع لأعداد هائلة من الطلبة، ولم أكُن حتى واثقًا من اسم مدرسة ثيو، أسألهما:

- هل تعارفتما قبل الآن؟

فيقول ثيو:

- نعم، إنه طالب جديد في مدرستي.

ثم يقول مُخاطبًا جوش:

- لكن كيف تعرف أطلس؟

فيلقي جوش حقيبة المدرسة ويومئ برأسه ناحيتي وهو يغطس بجسده في الكنبة قائلًا:

- إنه أخي.

ينظر إليَّ ثيو ثم إلى جوش، قبل أن يعاود النظر إليَّ قائلًا:

- لماذا لم تُخبرني من قبل بأن لديك أخًا؟

- إنها حكاية طويلة.

- ألا ترى أنه شيء جدير بأن يعرفه معالجكَ النفسي؟

- لم تكُن موجودًا طوال الأسبوع.

- كنت مشغولًا بتمرينات الرياضيات كل يوم بعد المدرسة.

- تمرين رياضيات؟ كيف يتمرن أحد على الرياضيات؟

يتدخَّل جوش قائلًا:

https://t.me/fantazynov

- تمهَّل قليلًا.. ثيو هو معالجك النفسي؟!

فيُجيبه ثيو:

- بالفعل، لكن بلا مقابل.. قُل لي، هل تحضر مع ترينت مدرِّس الرياضيات؟

- لا، بل سالي.

- يا للأسف!

ينظر نحوي ثيو، ثم إلى جوش، ثم يعود إليَّ ويقول:

- كيف لم تذكر قط أن لديك أخًا؟!

يبدو غير قادر على تجاوز هذه المسألة، لكن ليس لديَّ الوقت لشرحها في التو واللحظة، فالعمل دائر في المطبخ الآن. أقول له:

- يمكن لجوش أن يحكي لك، أما أنا فلديَّ مطبخ في انتظاري.

أتركهما في غرفة المكتب وأعود للمساعدة في المهام الصغيرة العاجلة.

يسعدني أن تعارفا من قبل، وفوق ذلك أن ثيو يبدو مرتاحًا لوجود جوش. أعرف عن ثيو ما يفوق بكثير معرفتي بأخي الصغير، وكان سيظهر على ثيو انطباع واضح لو شعر بعدم الارتياح في وجود جوش.

***

بعد نحو ساعة، أجد المطبخ مكتملًا بالعاملين فأستطيع أن أمنح نفسي دقائق للراحة. أدخل غرفة المكتب، فأجد جوش وثيو منهمكين في نقاش حاد حول عدد من المانجا في حوزة ثيو. أقول:

- آسف على المقاطعة.

وأشير لجوش حتى يتبعني قائلًا:

- هل انتهيت من واجباتك؟

- بالطبع.

- بالطبع؟

لا أعرفه بما يكفي لأفهم ما تعنيه *بالطبع* هذه، لذا أسأله:

- أهذا يعني «نعم»؟ «لا»؟ «بنسبة كبيرة»؟

- يعني نعم.

يُطلق تنهيدة، ويتبعني لخارج المطبخ.

- بنسبة كبيرة.. سأفرغ منه الليلة، فدماغي يؤلمني.

أعرِّفه بعدد من العاملين في المطبخ، آخرهم براد:

- جوش، هذا براد، والد ثيو.

وأشير إلى جوش قائلًا:

- أقدِّم لك جوش، أخي الصغير.

يتعقَّد جبين براد في ارتباك دون أن يرُدَّ بأي شيء، فأكمل قائلًا:

- جوش مدين لنا ببعض المجهود، هل لديك عمل له؟

- أنا مدين؟!

يسألني جوش في ارتباك، فأقول:

- دَيْنُ الخبز المحمص.

- آه.. هذا الدَّيْن!

سرعان ما يستوعب براد الموقف فيومئ بتفهُّم، ثم يقول لجوش:

- هل غسلتَ صحونًا من قبل؟

يُدير جوش عينيه في امتعاض، ثم يتبع براد إلى الحوض.

أستاء من نفسي أن أضطره إلى العمل عندي، غير أني سأشعر باستياء أشد لو مَرَّت الخسائر التي تكبَّدتُها بسببه دون تَبِعات. سأجعله يغسل الصحون لمدة ساعة ثم نُسوِّي المسألة.

أما الهدف الأساسي فأن أُخرِجه من غرفة المكتب حتى يتسنَّى لي الحديث مع ثيو حول المسألة، فلم أجد الفرصة إلى الآن لكي أتحدَّث معه بعيدًا عن جوش.

أجد ثيو جالسًا إلى مكتبي يُرتب أوراقه داخل حقيبة المدرسة. أجلس على الكنبة متأهِّبًا لسؤاله عن جوش، غير أنه يبادرني بالحديث:

- ألم تُقبِّل لِيلِي بعد؟

دائمًا ما يتحدَّث عني أنا، لا عن نفسه.

- ليس بعد.

- ماذا دهاك يا أطلس؟ أُقسِم أنك تتصرف بعجزٍ عجيبٍ في بعض الأحيان!

أغيِّر الموضوع سائلًا:

- هل كوَّنتَ فكرة جيدة عن جوش؟

- حضر إلى المدرسة ليومين فقط، فلم أعرفه جيدًا حتى الآن، كما أننا لا نحضر معًا سوى حصَّتين.

- ما مستواه في المدرسة؟

- ليس لديَّ أدنى فكرة، فلستُ مُدرِّسَه.
- لا أعني درجاته، أقصد فقط تفاعله، هل يكوِّن صداقات؟ هل يعامل الآخرين بلُطف؟

يحني رأسه جانبًا ويقول:

- أتسألني أنا إن كان أخوك لطيفًا مع الآخرين؟ ألا يُفترَض بك أنك تعرف؟
- عرفتُه منذ أيام.
- وأنا مثلك.. أنت تسألني سؤالًا مُعقَّدًا، فالصبية يكونون سيئي الطباع أحيانًا، وأنت تعرف هذا جيدًا.
- هل تعني أن جوش سيئ الطبع؟
- هناك أصناف عديدة من الصبية سيئي الطباع، جوش أفضلهم.

لا أفهمه بتاتًا، ويلاحظ هو ذلك فيستطرد قائلًا:

- هو متنمِّر حيال المتنمِّرين، لو جاز التعبير.

لا أشعر بالارتياح لهذا النقاش. أقول:

- إذًا جوش.. هو بالنسبة لك *مَلِك* المتنمِّرين؟ يبدو هذا الوصف شديد السوء.

يُدير ثيو عينيه تغيُّظًا ويقول:

- الأمر يصعُب شرحه. لا عَجَبَ في كوني لستُ الولد الأكثر شعبية في هذه المدرسة، فأنا في فريق الرياضيات، و... (ينفض عن كاهله الكلمة الأخيرة)، أما الصبيان من نوعية جوش فلا خوف عليهم. حين تسألني إن كان لطيفًا مع الآخرين لا أستطيع

https://t.me/fantazynov

الإجابة، فهو ليس لطيفًا بالطبع، لكنه ليس شريرًا أيضًا، على الأقل تجاه الأشخاص الودودين.

لا أردُّ عليه مباشرةً لأنني أحاول استيعاب كل هذه المعلومات. ربما أكون مرتبكًا الآن أكثر مما كنتُ في بداية النقاش، لكن ثمة شعورًا جيدًا في معرفة أن ثيو لا يخشى جوش.

يقول ثيو وهو يغلق سوستة الحقيبة:

- على أي حال، ماذا عن علاقتك مع لِيلِي، هل تبخَّرَت بهذه السرعة؟

- لا، نحن فقط منشغلان، سنذهب معًا لحفل زفاف في الغد.

- أخيرًا ستُقبّلها؟

- لو أرادت ذلك.

يهزُّ ثيو رأسه قائلًا:

- ستُريد غالبًا لو تجنَّبتَ التعليقات الرخيصة مثل، *فلْتنظُري لهذه السفن، وتميلي فنضمُّ الشفاه معًا!*

أتناول وسادة من فوق الكنبة وأقذفه بها قائلًا:

- سأبحث عن معالج نفسي لا يتنمَّر عليَّ.

الفصل العشرون

لِيلي

إنه لتَحَدٍّ أن أكون منسقة الزهور في حفل زفاف وإحدى الضيوف في ذات الوقت. ظللت أركض طيلة اليوم حتى أتأكَّد من تنسيق الزهور في مكان الحفل بالطريقة التي تُريدها لوسي. وفوق كل ذلك، سنُغلق المحل مبكرًا بسبب الزفاف، لذا فقد احتاجت سيرينا للمساعدة في تجهيز جميع الطلبيات ونقلها لعربة توصيل الطلبات.

عندما يصل أطلس حتى يُقلَّني من البيت، لن يجدني جاهزة على الإطلاق. تلقيتُ رسالة منه يسألني إن كان الأفضل أن يصعد إلى الشقة؛ إنه يأخذ الأشياء بحذر لكون الأمر في مُجمله جديدًا علينا، ولا يعرف مَن سيجده هنا لو صعد وطرق الباب، وإن كنتُ أريد إخبار هؤلاء بأن أطلس سيصطحبني لحفل الزفاف.

لهذا السبب بالتحديد ترددتُ في دعوته لحفل الزفاف، غير أني متأكدة من عدم وجود أي شخص في الحفل على علاقة برايل، فنحن نتحرك في دوائر مختلفة، وفي حالة ما إذا كان أحدهم يعرف رايل ويمكن أن يُخبره بحضور شخص معي إلى الحفل، فالمخاطرة حقًّا تستحق. فأنا أترقب هذه الليلة منذ وافق أطلس على الذهاب معي.

اصعد، لا زلتُ أتجهَّز للخروج.

https://t.me/fantazynov

يطرق أطلس الباب بعد لحظات، وحين أفتح الباب لاستقباله أشعر بعينيَّ تتضاعفان حجمًا كما يحدث في الكرتون. «واو!»، أحدق فيه وفي بدلته السوداء الأنيقة. أُبقيه واقفًا في الردهة أطول من المعتاد، فأنا أغفل عن أساسيات اللياقة والضيافة وقت حضوره.

يحمل لفافة على شكل باقة لكنها لا تحوي زهورًا، بل بسكويتًا!

يناولني الباقة قائلًا:

- أحسبكِ شبعانة من الزهور.

ينحني فوقي ويُقبّل خدي فأتوق إلى إمالة وجهي حتى تهبط شفتاه فوق شفتيَّ. آمل ألا أُضطر للانتظار طويلًا قبل تحقيق هذه الرغبة.

أقول وأنا أقوده إلى الداخل:

- هدية مثالية.. تفضل، يلزمني 15 دقيقة حتى أضع ثيابي.

انشغلتُ كثيرًا اليوم، فلم أجد الوقت حتى لتناول الطعام. أفتح غلاف بسكوتة وأقضم منها وأنا أقول:

- عذرًا، إني أتضور جوعًا. (أشير لغرفة نومي) يمكنك الانتظار معي في غرفتي فيما أتجهّز؛ لن أستغرق وقتًا طويلًا.

ينظر أطلس إلى المكان من حوله وهو يتبعني لداخل الغرفة.

فستاني مفرود فوق السرير، أرفعه وأمضي به إلى الحمام. أترك الباب مواربًا قليلًا حتى يتسنى لي الحديث معه وأنا أبدل ملابسي.

- أين جوش؟

- هل تتذكرين براد الذي كان موجودًا في ليلة البوكر تلك؟

- نعم، أتذكره.

- ابنه يُدعى ثيو، تركته في منزلي مع جوش. يذهبان لنفس المدرسة.

- هل تروقه المدرسة؟

لا يمكنني رؤية أطلس، لكن يبدو صوته أقرب إلى الحمام حين يقول:

- إلى حد ما، أعتقد.

يبدو من صوته كأنه واقف خلف الباب مباشرةً. أضع ثوبي سريعًا وأفتح الباب قليلًا. اخترتُ ثوبًا ضيقًا باذنجاني اللون بحمالات رفيعة، له شال من نفس اللون لا يزال معلَّقًا في خزانة الملابس.

يتأملني أطلس من فوق لتحت حين أظهر في فتحة الباب، ترتحل عيناه لأعلى حتى يستوعب كل تفصيلة مني، لكني لا أمهله الفرصة لإطرائي، أقول:

- هل يمكن أن تغلق لي سوستة الفستان؟

أعطيه ظهري وأرفع شعري لأعلى، لكني أشعر بتردده، أو ربما بتمهُّله لاستيعاب اللحظة.

بعد برهة قصيرة، أشعر بأصابعه تضغط على ظهري وهو يرفع السوستة قليلًا بقليل، فترسل دفقات من الإثارة فوق جلدي. حين ينتهي، أترك شعري يسقط وأستدير لكي أُواجهه.

- أحتاج لوضْع المكياج.

أتحرك ثانية نحو الحمام ولكنه يمسك برسغي قائلًا:

- تعالي هنا.

https://t.me/fantazynov

ويجذبني حتى أنسحق في حضنه. يتأمل وجهي لمدة ثوانٍ بابتسامة تشي بالتقدير، مِلؤها الإثارة، كأنما سيُقبّلني الآن، ويقول:

- شكرًا على دعوتي.

أرد بابتسامة وأقول:

- شكرًا على مجيئك. أعرف كم كان أسبوعكَ مشغولًا.

عيناه متعبتان، شحب بريقهما المعتاد قليلًا كأنه من شدة الضغط يحتاج لراحة ليلة كاملة. لا أتمالك نفسي من لمس خدِّه وأنا أقول:

- يمكننا أن نستقل سيارة أوبر لو وافقكَ ذلك، فأنت بحاجةٍ للشراب.

يلمس يدي المرتاحة فوق خدِّه ويميل بوجهه حتى يُقبِّل باطن يدي، ثم يعيدها لموضعها ويُشبِّك فيها أصابعه. يفتح فمه ليقول شيئًا لكني ألتقط اللحظة التي ينتبه فيها إلى الوشم.

لم يرَ أطلس من قبل وشم القلب المرسوم على كتفي، والذي جعلته في المكان الذي كثيرًا ما كان يقبِّلني فيه. يتلمَّسه بأصابعه برفق، مُتتبِّعًا حدوده بدقة، عيناه ترفّان نحو عينيَّ، يسألني:

- متى وضعتِ هذا الوشم؟

ينحبس صوتي، فأضطر أن أجلوه قبل أن أقول:

- وأنا في الجامعة.

تفكرتُ كثيرًا في هذه اللحظة؛ ماذا سيقول لو رأى الوشم ذات يوم، كيف يكون شعوره به؟

ينظر لي بهدوء ثم يعود ببصره إلى الوشم. إنه قريب جدًّا، أشعر بنَفَسِه يسري فوق عظمة ترقوتي وهو يقول:

- لماذا وضعتِه؟

وضعتُه لأسباب كثيرة، أختار أكثرها بديهية فأقول:

- لأني افتقدتُك.

أنتظر أن يخفض رأسه ويطبع قُبلة مكان الوشم كما فعل كثيرًا من قبل، أنتظره حتى يُقبِّلني؛ يضع فمه على فمي في شكر صامت.

لا يفعل أيًّا من هذا، بل يستمر في تأمُّل الوشم لبرهة، ثم يُفلتني ويستدير ذاهبًا. يصلني صوته من بعيد وهو يقول:

- عليكِ أن تنتهي سريعًا وإلا تأخرنا عن الحفل.

يخطو خطوتين أخريين صوب باب الغرفة ويُكمل دون أن ينظر خلفه:

- سأنتظر في غرفة المعيشة.

أشعر كأن أنفاسي تختنق فجأة.

لقد تحوَّل سلوكه بشكل عام، ما لم أتوقعه منه على الإطلاق. لثوانٍ كئيبة أقف متجمدةً في مكاني، ثم أُرغم نفسي على الانتهاء من إعداد نفسي للخروج. ربما أُخطئ في قراءة تصرفاته بطريقةٍ سلبية على غير حقيقتها، ربما من فرط المتعة يحتاج لأن ينفرد بنفسه ويتشرَّب اللحظة.

https://t.me/fantazynov

أيًّا كان سبب تصرُّفه غير المتوقع، أُقاوِم حُرقة الدموع طيلة المدة التي أحاول فيها أن أضع المكياج، لكنني لا أستطيع. لقد جُرِحَت مشاعري في ليلة لم أتوقَّع فيها حدوث ذلك من قريب ولا بعيد.

أخطو إلى الخزانة وأُخرِج الحذاء والشال، وأخرج من الغرفة وأنا شبه متوقعة أن يكون أطلس قد ذهب، لكني أجده موجودًا لا يزال، واقفًا أمام حائط الردهة يتأمَّل صور إيمي. حين يسمع خطواتي ينظر باتجاهي ويستدير نحوي.

https://t.me/fantazynov

- واو!

يبدو فَرِحًا بصِدق لعودتي إليه، ما يُشعرني بارتباكٍ بسبب النقلة الفجائية.

- أنتِ جميلة يا لِيلي.

أُقدِّر مجاملته، لكن لا يُمكنني تجاوزَ الموقف السابق، ولو كان ثمة ما تعلَّمته من العلاقة السابقة وكذلك التي شَهِدتُها بين والديَّ فهي أن أرفض أن أكون الشخص الذي يكنس المواقف تحت السجادة كي لا تظهر للعَيان. أرفض حتى وجود سجادة من الأساس.

- لماذا أغضبكَ الوشم؟

يُباغَتُ بالسؤال، يجذب رابطة عنقه في توتر، ويبدو كأنما يبحث عن عذر دون فائدة. يَلُفُّ الصمت جدران الردهة باستثناء صوت تنفُّسه البطيء والأجش. يقول:

- ليس الوشم.

- ماذا إذًا؟ لماذا تبدو غاضبًا مني؟

https://t.me/fantazynov

- لستُ غاضبًا منكِ يا لِيلِي.

يقولها بطريقة مقْنِعة، غير أن حاله قد تغيَّر بعد رؤية الوشم، ولا أريد أن نبدأ علاقتنا بالكذب، والواضح أنه لا يريد ذلك مثلي تمامًا فهو يُحاول أن يتحرَّى ما سيقوله لي تاليًا. يبدو غير مرتاح كأنما لا يرغب في خَوْض هذا النقاش، أو على الأقل لا يُفضِّل أن يخوضه الآن.

يضع يديه في جيب بنطاله ويُطلق تنهيدة ويقول:

- في تلك الليلة التي أخذتكِ فيها لغرفة الطوارئ.. ربطوا كتفكِ بالشاش ونحن هناك.

يبدو صوته متألمًا، غير أن هذا الألم يتضاءل كثيرًا أمام التعبير الذي يظهر على وجهه وهو ينظر إليَّ.

- سمعتكِ تقولين للممرضة إنه عضُّكِ، لكنني لم أكن قريبًا كفايةً لأرى ذلك...

يتوقَّف أطلس في منتصف الجملة ويزدرد ريقه بصعوبة.

- لم أكن قريبًا كفايةً لأعرف أنكِ وضعتِ هذا الوشم، وأنه عضّ...

يتوقَّف ثانيةً عن الكلام. إنه مُستاء جدًّا لدرجة أنه لا يستطيع إكمال الجملة، فينتقل لجملة أخرى:

- ألِهذا قام بِعَضِّكِ؟ لأنه قرأ المذكِّرات وعرف أنكِ وضعتِه لأجلي؟

ترتجف ركبتاي.

أرى لِمَ لم يرغب أطلس في خَوْضِ هذا النقاش غير المناسب ونحن في طريقنا للخروج الآن. أضغط براحتي فوق معدتي المضطربة تمهيدًا للرد عليه، لكنني أجد صعوبة في قَوْل أي شيء، خاصةً وأنا أرى كم هو غاضب لأجلي.

لا أريد أذيَّته، لكني في الوقت نفسه لا أريد أن أكذب عليه، أو أن أدافع عن رايل بأي شكل، فأطلس على حق. هذا بالضبط ما جعل رايل يُقدِم على فعلته، وما يزعجني أن أطلس سيربط دائمًا بين الوشم وبين هذه الذكرى الكريهة.

يكفيه ألا يجد مني أي ردة فعل الآن حتى يتأكَّد من صحة تفسيره. يجفل فجأة ويستدير مُبتعدًا عني. أرى بوضوح محاولته لتنظيم أنفاسه حتى يبقى هادئًا، يبدو كأنه يريد أن ينفجر من شدة الغيظ، لولا أن رايل غير موجود حتى ينفجر فيه الآن.

أطلس غاضب بشدة، غير أن غضبه ليس من النوع الذي يُخيفني.

أحاول استيعاب أهمية هذه اللحظة؛ وحدي مع رجل غاضب داخل شقتي، ومع ذلك لا أخشى على حياتي لأن غضبه ليس موجَّهًا نحوي، بل على العكس موجَّه نحو الشخص الذي جرحني. إنه غضب نابع من الرغبة في حمايتي، وثمة عالم يفصل بين رد فعلي لغضب رايل ونظيره في حالة أطلس.

حين يستدير إليَّ أطلس من جديد، أرى بوضوح تشنُّج فكَّيه وبروز الأوردة في عنقه وهو يقول:

- كيف يُفترض بي أن أكون متحضرًا في مُعاملته يا لِيلِي؟

ثمة شعور بالذنب يظهر في نبرة صوته وهو يقول هامسًا:

- كان عليَّ أن أكون موجودًا بجانبكِ. كان عليَّ أن أفعل المزيد.

يمكنني تفهُّم غضبه، أما شعوره بالذنب فغير مبرر على الإطلاق. لم يكن أطلس ليُغير نظرتي في رايل في تلك المرحلة من حياتي مهما قال أو فعل. كان عليَّ أن أصل لهذه النتيجة بنفسي.

أخطو نحو أطلس وأتَّكئ بظهري على الحائط في مواجهته. يفعل نفس الشيء على الحائط المقابل. إنه يُقاوم الآن تيارًا هادرًا من المشاعر، وأريد أن أترك له المساحة اللازمة لذلك. لكن لديَّ الكثير لكي أقوله بشأن هذا الذنب الذي يتعلَّق به أطلس.

- لقد ضربني رايل لأول مرة لأني ضحكتُ عليه، كنتُ ثَمِلة، وضحكتُ على شيء ليس مضحكًا في الحقيقة، فلطمني بظاهر يده.

يشيح أطلس ببصره حين يسمعني أقول ذلك. لا أدري إن كان يرغب في سماع هذه التفاصيل، لكنني منذ زمن طويل أريد أن أُفضي له بكل ذلك. يبقى ساكنًا عند الحائط المقابل، لكن ما يظهر عليه يشير لمحاولته أن يكبح جماحه من أن ينطلق الآن بحثًا عن رايل أينما يكون. يعاود النظر إليَّ بعينين حادتين منتظرًا أن أنتهي من الكلام.

- في المرة الثانية دفعني على السلم. بدأت تلك المشاحنة حين اكتشف رقم هاتفك مُخَبَّأً في هاتفي. وحين ضربني في كتفي.. معك حق، كان بسبب قراءته لليوميات واكتشافه أن السبب

https://t.me/fantazynov

وراء الوشم يرجع إليك، وأن المغناطيس الذي ألصقه على الثلاجة هدية منك.

أنظر أسفل قدميَّ حين يشُقُّ عليَّ أن أشاهد تأثره الشديد بهذا الكلام.

- لطالما تصورت أن أفعالي تبرر ردود فعله. ما كان سيضربني مثلًا لو أنني لم أضحك عليه. ما كان سيغضب لدرجة دفعي فوق السلم لو لم أحتفظ برقم هاتفك.

ما عاد أطلس ينظر نحوي. رأسه يستند إلى الحائط من خلفه وعيناه تحدقان في السقف، يمتص كل ما يُقال، متجمدًا في غضبه.

- في كل مرة كنتُ أُحمِّل نفسي الذنب لأبرر أفعال رايل، كنتُ أفكر فيك، وأسأل نفسي ماذا سيكون رد فعلك في هذا الموقف مقارنةً برايل، لأنني كنتُ أعرف يقينًا أنه سيختلف. لو ضحكتُ عليك في ظروف شبيهة كنتَ ستضحك معي، ما كنتَ لتلطمني بظاهر يدك قط. ولو أن شخصًا آخر أعطاني رقم هاتفه كوسيلة لحمايتي من شخصٍ آخر يراه خطِرًا عليَّ، كنتَ ستُقدِّر له صنيعه. ما كنتَ لتدفعني قط من فوق بسطة السلم. ولو كانت اليوميات التي أتركك تقرأها تحكي عن زميل آخر في المدرسة، كنتَ ستمازحني بشأنه. ربما كنتَ ستُظلل بعض السطور التي تراها ركيكة وتسخر منها معي.

أتوقف عن الكلام حتى يُعاود أطلس النظر إليَّ بانتباه..

- في كل مرة كنتُ أشكك في نفسي وأقتنع أن ما فعله بي رايل أيًّا كان يُعَدُّ مستحقًّا، ولا يبقى إلا أن أفكر فيك يا أطلس. كم كانت ستتغير هذه السيناريوهات لو كانت معك أنت، وهذا ما ساعدني على التفكير في أن الذنب ليس ذنبي. أنت سبب أساسي في تجاوزي كل هذا برغم أنك لم تكن موجودًا.

لمدة خمس ثوانٍ يمتصُّ أطلس كل ما قلته، ثم يقطع المسافة التي تفصلنا ويُقبّلني. أخيرًا. *أخيرًا.*

تلتف يده اليمنى حول خصري ويجذبني إليه، يتسلل لسانه بدفء ولطف بين شفتيَّ مارًّا من بينهما. تزحف يده اليسرى بين خصلات شعري حتى تتشكل راحة يده على رأسي من الخلف، فتَكُرُّ بَكَرَة الشوق التي بداخلي.

إنه لا يُقبِّلني مُرتعِشًا، بل تُلاقي شفتاه شفتيَّ بثقة وإقدام، فتستجيب شفتاي في ارتياح. أجذبه نحوي حتى يذوب دفئه في أوصالي. فمه ولمساته يعرفها جسدي فقد رقصنا هذه الرقصة من قبل، لكنها في ذات الوقت جديدة كل الجِدَّة لأن هذه القُبلة مصنوعة من مكونات جديدة تمامًا. أما قُبلتنا الأولى فكانت مصنوعةً من الخوف والخبرات الصبيانية.

في هذه القُبلة أمل، فيها الراحة والأمان والاستقرار. فيها كل ما افتقدته في حياتي السابقة، ومن شدة سعادتي بوجودي مع أطلس أشعر أنني على وشك البكاء.

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

الفصل الحادي والعشرون

أطلس

مَرَّ عليَّ الكثير من الأشياء التي أغضبتني في حياتي، لكن ليس من بينها ما شحنني بهذا الغضب الجامح الذي انتابني حين رأيتُ وشم لِيلِي والنُّدبة الشاحبة التي تُحيط به على شكل عَضّة.

كيف يفعل أي رجل شيئًا كهذا بامرأة! هذا شيء لا يمكنني فهمه. كيف يفعل ذلك *أي إنسان* تجاه الشخص الذي يُحبُّه ويرغب في حمايته؟ لن أفهم ذلك أبدًا.

لكن ما أفهمه هو أن لِيلِي تستحق الأفضل من كل هذا، وسأكون الشخص الذي سيمنحها ما هو أفضل، بدايةً من هذه القُبلة التي يبدو أننا لن نستطيع إنهاءها، كلما توقفنا وتلاقت أعيننا عاودنا التقبيل كأنما نُعوِّض كل الوقت الذي أهدرناه في هذه القُبلة.

أضع القُبلات بمحاذاة خط الفكّ حتى أصل إلى ترقوتها. لطالما أحببتُ تقبيلها هناك، لكنني لم أعرف كم تُدرك هي أني أحبُّ تقبيلها هناك حتى قرأتُ اليوميات. أطبع شفتيَّ فوق الوشم، عازمًا على تسجيل ذكريات سعيدة في كل القُبل التي سأطبعها لاحقًا في هذا المكان. لو احتاج الأمر مليون قُبلة حتى تنسى النُّدبة التي تُحيط بوشمها المرسوم على شكل قلب، سأُقبّلها مليون مرةٍ ومرة.

https://t.me/fantazynov

أطبع القُبلات فوق عنقها، وفكِّها، وحين أنظر إليها من جديد أُعيد حمالة الفستان لمكانها فوق كتفها، فبرغم رغبتي في البقاء معها هنا إلى الأبد، فإني يُفترَض بي أن أذهب معها لحفل الزفاف. أهمس في أذنها:

- علينا أن نذهب الآن.

تهزُّ رأسها موافقةً، لكني أعاود تقبيلها رغمًا عن إرادتي، فأنا في انتظار هذه اللحظة منذ كنتُ صبيًّا مراهقًا.

***

لا أعرف حقيقةً كيف كان حفل الزفاف، لأنني كنتُ منتبهًا لِلِيلِي أكثر من أي شيء آخر. لم أكن أعرف أي أحد هناك، والآن وقد قبَّلتُ لِيلِي بعد طول انتظار صار من الصعب أن أركِّز على أي شيء سوى رغبتي في تكرار تلك القُبلة. كان واضحًا لي أن لِيلِي تريد بنفس القدر أن تنفرد بي. الحقيقة أن إجباري على الجلوس بجوارها في هدوء بعد ما جرى بيننا في مدخل شقتها كان بمثابة التعذيب.

حالما وصلنا إلى مكان الاستقبال ورأت لِيلِي كم هو مزدحم شعرَت باطمئنان. قالت إن لوسي لن تلحظ أبدًا رحيلنا المبكر، ولكوني لا أعرف لوسي من الأساس لم أتجادل معها حين أمسكت يدي بعد نحو ساعة وتسللت بي إلى الخارج.

عُدنا من فورنا إلى مجمع البنايات الذي تسكن فيه لِيلِي، وبرغم ثقتي من كونها تريدني أن أصعد معها إلى الشقة، أصر ألا أفترض أي شيء. أفتح لها باب السيارة وأنتظرها حتى تلبس حذاءها من جديد،

فقد خلعته حين ركبَت السيارة بعدما أوجَعَ قدمَيها. يبدو أن حذاءها المصنوع من السيور متعب في ارتدائه، إذ تُعاني لِيلِي من صعوبة ربطه وهي جالسة في مقعد الركاب. غير أني أشكُّ أن تقبل بالمشي حافية القدمين في موقف السيارات.

- أستطيع أن أحملكِ على ظهري.

تنظر لأعلى وتضحك كأنما أمزح معها.

- أتريد أن توصلني محمولةً فوق ظهرك؟

- نعم، أمسكي حذاءكِ.

تُحدِّق فيَّ لبرهة، ثم تبتسم في حماس. أستدير وهي لا تزال تضحك وتلُفُّ ذراعيها حول عنقي. أساعدها في اعتلاء ظهري وأركل باب السيارة حتى يُغلق.

حين نصل إلى شقتها أنحني إلى الأمام حتى تدخل المفتاح في ثقب الباب. وحالما ندخل أهبط بها إلى الأرض وهي غارقة في الضحك. أستدير وأجدها تُفلِت حذاءها وتشرع في تقبيلي من جديد.

نستكمل ما بدأناه حيث تركناه بالضبط، فيما أظن.

تسألني:

- في أي وقت تريد أن تصل لبيتك؟

- قلتُ لجوش في حدود العاشرة أو الحادية عشرة.

أنظر في الساعة فأجدها قد تجاوزت العاشرة مساءً، أسألها:

- هل أتصل به وأُخبره باحتمالية أن أعود متأخرًا؟

تهزُّ رأسها وتقول:

https://t.me/fantazynov

- حتمًا ستتأخر. اتصل به وسأقوم بتحضير المشروبات.

تمضي إلى المطبخ فأُخرج هاتفي وأتصل بجوش عبر الفيديو حتى أتأكَّد من أنه لا يُقيم حفلًا في بيتي أثناء غيابي. لا أظن أن ثيو سيسمح له، لكني لن أترك مجالًا للاحتمالات مع هذين الولدين.

حين يُجيب جوش اتصال الفيديو، أرى أن هاتفه موضوع على الأرض. أستطيع تمييز ذقنه والنور الذي يسطع من التلفزيون، وأراه يمسك جهاز التحكم. يقول:

- نحن في منتصف دورة تنافسية.

- إني فقط أطْمَئِن، هل كل شيء على ما يُرام؟

- نعم، بخير!

هكذا أسمع صوت ثيو يقول، فيما يهزُّ جوش جهاز التحكم ويخبط الأزرار، ثم يصيح قائلًا:

- ما هذا الخراء!

ويُلقي بالجهاز جانبًا ويُمسك بالهاتف ويُقربه من وجهه:

- خسرنا.

يظهر ثيو وراءه ويقول:

- لا تبدو هذه خلفية حفل زفاف، أين أنت؟

لا أجيبه، لكني أقول:

- سأتأخر قليلًا الليلة.

- أوه، أنت في منزل لِيلِي؟

هكذا يقول ثيو وهو يقترب من شاشة الهاتف. يتبسم قائلًا:

- هل قَبَّلتها أخيرًا؟ هل بإمكانها سماعي؟ أيَّ بيت من الشِّعر قُلْتَ لها حتى تدعوك إلى منزلها؟ *لِيلِي! رأينا أناسًا يرفلون في الحرير، فهيا نقفز في السـ...*

أنهي المكالمة على الفور قبل أن يُكمل القافية، غير أن لِيلِي تسمع المحادثة بأكملها، فهي تقف على بعد خطوات مني ممسكةً بكأسين من النبيذ، رأسها مائل في حيرة.

- مَن هذا؟
- ثيو.
- كم عمره؟
- اثنا عشر.
- هل تحدِّث ولدًا في الثانية عشرة عنا؟

تبدو مندهشة. أتناول كأس النبيذ منها، وقبل أن أرشف منه أقول:

- إنه معالجي النفسي، نلتقي في الرابعة مساء كل خميس.

تضحك:

- معالجك في المدرسة المتوسطة؟
- نعم، لكني موشك على فصله.

أُحيط خصرها بيدي وأجذبها نحوي، وحين أُقبِّلها أجدها في مذاق النبيذ الأحمر الذي صبَّته للتو. أتعمَّق في تقبيلها حتى أحصل على المزيد من هذا المذاق، المزيد من مذاقها.

حين ترتدُّ إلى الخلف تقول:

- هذا غريب!

https://t.me/fantazynov

لا أعرف ما الذي تصفه بالغرابة، أرجو ألا تقصدنا نحن، فآخر ما يُمكن أن نوصَف به هو الغرابة.

- ما الغريب؟

- وجودك معي هنا. عدم وجود طفلتي. لستُ معتادةً على أوقات الفراغ، أو.. أوقات الحب.

ترشف رشفة أخرى من النبيذ ثم تبتعد عني، تضع كأسها على الكاونتر وتمضي إلى غرفة النوم.

- هيا، فلنستغل هذه الفرصة.

أتبعها في عجالة!

الفصل الثاني والعشرون

لِيلِي

أحاول أن أتصرَّف بثقة في هذا الأمر، لكن حالما أخطو داخل غرفتي أفقد كل ذرَّة ثقة في النفس أدخلتني هنا.

مضى وقت طويل جدًّا منذ آخر مرة كنتُ فيها بصُحبة رجل، غالبًا منذ حملتُ في إيمي. لم أمارس الجنس بعد الولادة، وكانت آخر مرة مع أطلس ونحن في السادسة عشرة، وهاتان الفكرتان تمتزجان معًا في إعصار ذهني متوحش يعصف الآن بعقلي.

أقف في منتصف غرفة نومي، وبعد ثوانٍ قليلة يظهر أطلس في فتحة الباب. أضع يديَّ على وسطي في وقفة ثابتة. إنه يُحدق فيَّ، أشعر كأنما يجب عليَّ أن أقوم بالحركة التالية لأني بادرتُ بدعوته لغرفتي، غير أنني أعترف له:

- لا أعرف ما الخطوة التالية، فقد مضى وقت طويل منذ...

يضحك أطلس، ثم يتقدَّم مُتسكِّعًا صوب السرير، فمِثْلُه لا يستطيع أن يمشي بطريقة عادية وغير جذابة. كل حركاته تُثيرني؛ خَلْعُه لسترته في هذه اللحظة مثير جدًّا، إلقاؤه بها فوق صوان الملابس وركله للحذاء.. *يا إلهي، حتى هذه الحركات تُثيرني بشدة.* ثم إذا به يقعد فوق سريري.

- فلنتحدَّث.

https://t.me/fantazynov

يميل متكئًا على ظهر السرير ويضع ساقًا فوق ساق، يبدو مرتاحًا تمامًا في جلسته، *ومثيرًا جدًّا!*

لا أتصوَّر أن أستلقي على السرير بهذا الفستان، لن يكون مريحًا، وغالبًا غير يسير في خلعه لو وصلنا لهذه النقطة. أقول له:

- دعني أبدِّل ملابسي أولًا.

ثم أخطو لداخل خزانة الملابس وأغلق الباب.

أضيء مفتاح النور فلا تُضاء الخزانة؛ اللمبة محروقة! اللعنة. لا أستطيع تبديل ملابسي في الظلام، وليس معي هاتفي حتى أستعين بالكشاف.

أفعل ما بوسعي، لكني أستغرق دقيقة لأفتح سوستة الفستان فقط، وبدلًا من أن أنزِل الفستان وأخلعه من ناحية قدميَّ، أرفعه لأعلى لسبب ما وأُحاول إفلاته من رأسي فيشتبك في شعري. أحاول تخليص شعري لكن الفستان ثقيل والعملية تستغرق وقتًا لا محدودًا في هذا الظلام، ولا أستطيع أن أخطو إلى الخارج وأقف أمام المرآة فأطلس جالس بالخارج. أستمر في محاولتي لفكِّ الاشتباك، وبعد دقائق من الهزيمة يطرق أطلس على الباب.

- هل أنتِ بخير في الداخل؟

- لا، إني محشورة هنا.

- هل أستطيع أن أفتح الباب؟

أقف بحمالة الصدر والسروال الداخلي وفستان نصف مخلوع يُغطي رأسي، غير أن هذا المصير ما أستحقه تمامًا بداخل الخزانة، أقول له:

- حسنًا، لكنني نصف عارية.

أسمعه يضحك، لكن حين يفتح باب الخزانة ويُعاين حالتي يُقدم سريعًا على إضاءة مفتاح النور، فلا يضيء بالطبع. أقول له:

- اللمبة محروقة.

يتقدَّم نحوي لمعاينة الموقف:

- ماذا حدث؟

- شعري تشابك مع الفستان.

يخرج هاتفه ويضيء الكشاف حتى يتفحَّص الحالة، يجذب خصلات شعري والفستان في اتجاهين مُعاكسين، ثم كأنما بسِحْرٍ ما أجد الفستان وقد سقط على الأرض.

أسرِّح شعري وأنا أقول:

- شكرًا.

وأحاوط جسمي بذراعيَّ قائلةً:

- الموقف مُحرِج!

الكشاف لا يزال مضاءً في هاتف أطلس، لذا يُمكنه رؤيتي واقفةً بحمالة الصدر والسروال. يُطفئ الكشاف، لكن يظل الباب مفتوحًا ونور أباجورة الغرفة يتدفق إلى الداخل فأظل مكشوفةً أمامه.

https://t.me/fantazynov

تضمُّنا لحظة من التردُّد؛ لا يمكنه الحسم إن كان عليه أن يخرج من خزانة الملابس ويتركني أُكمل تبديل ملابسي، وأنا كذلك لا أستطيع الجزم إن كنتُ أريده أن يخرج فعلًا.

ثم إذا بنا فجأةً نشرع في التقبيل.

هذا ما يحدث بلا مقدِّمات، كأنما تحرَّكنا تجاه أحدنا الآخر في نفس اللحظة، تتسلل إحدى يديه خلف رأسي، واليد الأخرى تمتد مباشرةً لأسفل ظهري، لدرجة أن أصابعه تُلامس سروالي الداخلي.

أُطبق بذراعيَّ حول عُنُقه وأجذبه بكل قوتي فنتعثَّر في صف من الملابس. يُقيمنا أطلس على قدمينا من جديد، وأشعر بابتسامته تتخلل القُبلة. يتراجع أطلس بما يسمح له بالحديث إليَّ، يقول:

- ما السر بينكِ وبين خزانات الملابس؟

ثم يُعاود تقبيلي. نتطارح الغرام لدقائق داخل الخزانة، فتُعاودني ذكريات شبيهة حين كنا نخطف لحظات الحب ونحن صغار، الرغبة، النشوة، الإحساس بكل ما نُجرِّبه لأول مرة، أو في حالتنا هذه لم نفعله منذ مدة طويلة.

تُذكِّرني بكَمْ كنتُ أتوق إلى النوم إلى جواره، سواء قضينا الوقت في التقبيل أو الحديث أو أي شيء آخر، تبقى ذكرياتي معه في غرفة نومي أفضل الذكريات على الإطلاق. إنه يُقبِّل عُنُقي حين أهمس إليه:

- خُذني إلى السرير.

لا يتردَّد لحظة. يتسحَّب بيديه لأسفل ويُمسك بفخذيَّ ويرفعني لأعلى، يحملني لخارج الخزانة عبر غرفة النوم ويزرعني فوق مرتبتي ويصعد فوقي.

الشعور بمُلامسته يجعل تَوْقي أشد، لكنه يستمر في مُعالجة الموقف كما كان يفعل دائمًا أثناء مُطارحتنا الغرام، بتمهُّلٍ وتقدير تام لكل لحظة، كأن هذه المقدِمات الغرامية تكفيه، كأن مجرد التقبيل امتياز كافٍ بالنسبة إليه.

لا أعرف من أين يأتي بهذا الصبر، فأنا أريده أن يخلع مَلابسه الآن ويُعاملني كأنها فرصته الوحيدة للحصول عليَّ كما يريد.

ربما يفعل ذلك لو أنه تصوَّر أن يكون الوضع على هذا النحو، لكن كلينا يعرف أنها مجرد بداية. إنه يمضي في الأمر ببطء لأنني طلبتُ منه ذلك، لو كنتُ طالبتُه بالإسراع لفعل.

أطلس المتفهِّم.

نَصِلُ إلى النقطة التي يجب علينا فيها أن نحدد موقفنا. لديَّ واقٍ ذكري في درج الكومود، وأمامه بعض الوقت قبل أن يضطر إلى الذهاب، لكن حين نتوقف عن التقبيل لمدة تكفي لأن تتلاقى عيوننا أجده يهزُّ رأسه. كلانا يتنفس في لهاث وتَعِبٍ من طول ما استغرقنا في مطارحة الغرام، فنستدير ونستلقي على السرير.

لا يزال مرتديًا ملابسه، ولا أزال بحمالة الصدر والسروال. لم نذهب أبعد من ذلك.

يقول فيما بين أنفاسه:

https://t.me/fantazynov

- برغم رغبتي الشديدة، لا أريد أن أضطر إلى الذهاب بعدها مباشرةً.

يستلقي على جانبه ويضع يده فوق بطني، ينظر إليَّ بعينين لم تشبعا بعد، كأنما يريد أن يقول *عذرًا*، ثم يقوم بافتراسي.

أتنهد وأغمض عينيَّ وأقول:

- أكره أحيانًا ذلك الشعور بالمسئولية.

يضحك أطلس، ثم أشعر به يقترب. يُقبِّل جانب فمي ويقول:

- لستُ مضطرًّا للذهاب *بعد*.

وحينما يقول ذلك يتسلل إصبعه السبابة تحت زيق سروالي، أسفل سُرَّتي مباشرةً. يُحرِّكه رواحًا وجيئة في انتظار رد فعلي.

أرفع خصري لأعلى على أملٍ أن يكفيه هذا عن أي حديث.

يشتعل كل جزء في جسدي حين يتسلل إصبعان آخران من أصابعه تحت سروالي. وحالما تتحرك يده بأكملها أصير هالكة. أُطلِق أنفاسًا مرتجفة وأقبض على الملاءة بجانبي، وأُقوِّس ظهري لأعلى مع حركة يده.

يقرِّب فمه فيلتصق في فمي، غير أنه لا يُقبِّلني. يبقى قريبًا من شفتيَّ فقط، مُتتبعًا حركة جسدي وصوت أنَّاتي كدليل ينقاد وراءه.

يبدو أن لديه حدسًا لا مثيل له. لا يمُرُّ وقت يُذكَر قبل أن يتوتَّر جسدي بين يديه، أجذبه لأسفل من خلف عنقه لكي يتسنى لي تقبيله فيما أبلغ ذروة الختام.

وحين ينتهي الأمر، يسحب يده ويضمُّني إليه ويُبقيني في حضنه حتى أستعيد الهدوء، بينما يموج صدري صعودًا هبوطًا وأنا أُحاول التقاط أنفاسي.

هو أيضًا نَفَسُه ثقيل.. تستغرقني دقيقة حتى أعود لحالتي وأستطيع القيام بأي شيء.

- لِيلِي..

يُقبِّلني بلُطف على الخد ويُكمل قائلًا:

- أظن أنكِ...

يتوقَّف عن الكلام، فأفتح عينيَّ وأنظر إليه. ينقل عينيه إلى صدري ثم يُعاود النظر لوجهي.

وبعد برهةٍ يفرد قميصه الأبيض ويرنو إليه في صمت، فأرى بقعةً في أسفله.

أوه، سُحقًا!

أنظر إلى حمالة صدري فأجدها قد ابتلَّت تمامًا.. *يا إلهي*. حليب الرضاعة يُغرقني. يا لي من حمقاء.

لا يبدو على أطلس أي انزعاج مما حدث، يتقلَّب لخارج السرير ويقول:

- يلزمكِ شيء من الخصوصية.

أشعر بالخزي قليلًا وحليب الرضاعة يغرق حمالة صدري على هذا النحو، لذلك أسحب الملاءة وأغطي صدري قبل أن أنهض وأقف حيال أطلس أمام السرير.

https://t.me/fantazynov

- هل ستُغادر الآن؟
- بالطبع لا.

يُقبّلني ويُغادر الغرفة، كأنما لا يشعر بأية غرابة في مطارحة الغرام مع امرأة تُرضِع طفلًا لا ينتمي إليه، مع أن الأمر غريب دون شك، لكنه يُجيد مداراة شعوره.

أقضي الدقائق التالية في الحمَّام أفرِغ صدري من الحليب بالمضخة اليدوية، ثم أتحمَّم في عشر ثوانٍ وأضع على جسمي قميصًا واسعًا وسروالًا منزليًّا قصيرًا قبل الخروج إلى غرفة المعيشة.

أطلس جالس على الكنبة، ينتظر في هدوء مُمسكًا بهاتفه. حين ينتبه لدخولي الغرفة ينظر إليَّ من أعلى رأسي حتى قدميَّ. لا أزال أشعر بشيء من الحَرَج، فأجلس إلى جواره، ليس بجواره مباشرةً بل أترك مسافة قليلة بيني وبينه، ثم أتمتم:

- أعتذر عما حصل.
- لِيلِي.

يشعر بحرجي فيقترب مني قائلًا:

- تعالي هنا.

يستند إلى يد الكنبة ويسحب ساقيَّ ويضعهما منفرجتين حول ساقَيه، يزحف بيدَيه فوق فخذيَّ وصولًا لخصري، ويترك رأسه يسقط إلى الخلف. يقول:

- كل ما حدث الليلة رائع بحق، إياكِ أن تعتذري.

أشيح ببصري وأقول:

- أنت تُحاول أن تلطِّف الأمور معي، لقد سكبتُ عليك حليب الرضاعة.

يمُدُّ يده ويجذبني نحوه من وراء عنقي.

- صحيح، ونحن نتطارح الغرام.. كوني واثقة، هذا لا يُزعجني على الإطلاق.

ثم يُقبِّلني، ما يُعتبَر خطأً غير مقصود، فها نحن *نعاوِد الأمر من جديد.*

يستحيل أن يُغادر مع هذا المعدَّل السريع. كان عليَّ أن أضع حمالة صدر أخرى، لكنني ظننتُ بكل أمانة أنني سأخرج إليه فقط لكي أودِّعه. لم أتصوَّر أن نستكمل ما تركناه هنا على الكنبة، مع ذلك لا أمانع بتاتًا.

وضعيتنا مثالية، لا نحتاج لتعديل أوضاعنا حتى نحصل على المتعة الأكبر من هذا الوضع. يتأوَّه وهو يُقبِّلني فأتحفَّز للمزيد.

تتسحب إحدى يديه خلف ظهري، وأشعر بتردده حين لا تُلاقي يده حمالة الصدر حيث يتوقعها. يتوقَّف عن تقبيلي وينظر في عينيَّ، نظرة تخترقني حتى النخاع. ينقل يده ويضعها على ثديي، يملِكه تمامًا في راحة يده، فتندلع فينا نحن الاثنين شرارة ما، كأن مفتاحًا قد ضُغِط عليه.

تصاب قُبلتنا بحمى مفاجئة، وأشرع في حلِّ أزرار قميصه. لا نقول أي شيء، ننزع فقط كل قطعة ملابس تفصل بيننا في هياج محموم،

ولا نعبأ حتى بالذهاب إلى غرفة النوم. نواصل التقبيل المحموم وهو يمُدُّ يده لكي يلتقط واقيًا ذكريًّا من محفظته ويضعه في عجالة.

ثم إذا به يلِجُني دون أن يتوقَّف عن تقبيلي، كأن ما يأتي به الآن طبيعي ومعتاد، فأشعر بكل شيء كما شعرتُ به أول مرة، مشاعر بلا حدود تُفصح عن نفسها في هذه اللحظة، لا أعرف إن كنتُ قد اختبرتُ شيئًا فوضويًّا ممتعًا كهذا من قبل.

يطلق زفيره حول عنقي، كأن ما أشعر به هو نفس شعوره، ويشرع في الحركة ببطء دون أن يتوقف عن التقبيل. خلال دقائق تصير القُبَل هوجاء مجنونة، يغمرنا العرق، وألتحم في اللحظة بكل كياني، لا شيء يمثل أية أهمية بالنسبة لي، إلا حقيقة أننا معًا وأن هذا هو الصواب الوحيد. كل ما في هذه العلاقة صواب في صواب.

أنا الآن في مكاني الذي أنتمي إليه، مغمورةً بحُبِّ أطلس كوريجان.

الفصل الثالث والعشرون

أطلس

لا بد أن أعود الآن إلى البيت، لكن الزحف لخارج هذا السرير شديد الصعوبة بعد الساعتين اللتين قضيتهما معها. بعد وقت الكنبة، جاء وقت الاستحمام، والآن لا طاقة لنا نحن الاثنين سوى للحديث.

هي مستلقية على ظهرها وذراعاها مطويتان تحت رأسها، تُحدِّق فيَّ، تُصغي باهتمام شديد فيما أخبرها عن اجتماع الأمس مع المحامي:

- قال إنني فعلتُ الصواب حين أخذته إلى المستشفى، فقد كانوا ملزمين بإبلاغ خدمة حماية الأطفال. لكني لستُ متأكدًا من شعوري حيال كل ذلك، فهو يضع سلطة اتخاذ القرار في يد الحكومة، ماذا لو لم يروا أن بيتي أفضل مكان بالنسبة له؟

- ولماذا يرون ذلك؟

- أعمل لوقت طويل، وغير متزوج، لذا فجوش سيبقى وحده لوقت طويل. كما أنني لا خبرة لي في تربية الأطفال. ربما يختارون تيم بصفته والده البيولوجي، بل ربما يُعيدونه إلى أمي؛ فكيف أعرف أن ما اقترفَتْه كافيًا لكي ينتزعوا منها الوصاية عليه.

تنحني لِيلِي عليَّ وتطبع قُبلة فوق ذراعي وتقول:

- سأقول لك ما سبق أن قُلتَه لي في أول محادثة بيننا على فيستايم. قلتَ: أنتِ تحملين هَمَّ أشياء لم تحدُث بعد.

أزمُّ شفتيَّ للحظةٍ وأقول:

- نعم، لقد قلتُ ذلك.

- صحيح.

تطوي نفسها في حضني وتلُفُّ ساقها حول فخذي وهي تقول:

- سيتحقق ما تريد يا أطلس، أنت أفضل ما يمكن أن يحدث له، أي مسئول سيرى ذلك، أعِدُك.

أضمُّها إليَّ جاعلًا رأسها تحت ذقني. من المذهل كم تغيَّرنا جسديًّا منذ كنا مراهقين، غير أننا لا نزال متلائمين معًا كما كنا آنذاك. تقول:

- كنتُ أنتظر الوقت المناسب لكي أقول لك شيئًا، (تتراجع إلى الوراء قليلًا لتنظر إليَّ) أتَذْكُر المرة الأولى؟ أعني ما حدث بعد تلك الليلة؟ بعد أن أصابك أبي..

ليس غريبًا أن تُفكر في هذا الأمر، أنا أيضًا فكرتُ فيه. إنها المرة الأولى التي نفعل فيها شيئًا حميميًّا منذ تلك الليلة التي انتهت نهاية مفجعة، فكيف لا نقارن بين الليلتين.

كان هذا آخر ما كتبَتْه في كراسة اليوميات، وقد سبب لي أثناء قراءته ألمًا بالغًا، أن أعرف اليوم كم تألمت نتيجة هذا الموقف. كم كنتُ أتمنى أن تنتهي الليلة نهاية أفضل. أعترف إليها قائلًا:

- لا أتذكَّر الكثير من أحداث تلك الليلة. أذكر أنني استيقظتُ في اليوم التالي في المستشفى شاعرًا بالارتباك، أدرك أن أباكِ هو الشخص الذي أصابني، كنتُ أذكر هذه التفصيلة، لكن لا أعرف على الإطلاق إن كان فعل بكِ ما فعله بي. دستُ زر الاستدعاء عدة مرات، وحينما لم يأتِ أحدٌ إلى الغرفة جرجرتُ جسدي إلى الردهة الخارجية بطريقة ما، على الرغم من كاحلي المكسور، كنتُ في حالة هياج عصبي، سألتُ الممرضة إن كنتِ بخير، لكن المسكينة لم تفهم شيئًا من كلامي.

تتقلَّص قبضة لِيلِي وأنا أتكلم.

- وأخيرًا استطاعت تهدئتي بما يكفي لتعرف مني بعض المعلومات الخاصة بكِ، ثم عادت لتُخبرني بأنني المصاب الوحيد الذي تم نقله إلى المستشفى، وسألتني إن كان والدكِ هو أندرو بلوم، فقلتُ لها إنه هو وإنني أريد أن أُحرر محضر اتهام. وحين طلبتُ إليها أن تستدعي ضابطًا إلى الغرفة نظرَت إليَّ بتعاطُف وقالت كلمات أذكرها بالتحديد «القانون في صفه يا حبيبي. لا أحد يستطيع إدانته، ولا حتى زوجته».

تزفر لِيلِي فأشعر بنفسها على صدري، فأتوقف عن الكلام وأُقبِّلها في قمة رأسها. تهمس إليَّ:

- ثم ماذا؟

- صممتُ أن أفعل ذلك. كنتُ أدرك أنني لو لم أقُم بتحرير محضر ضده، فلن تستطيع أمكِ الخلاص من هذا الموقف.

https://t.me/fantazynov

طلبتُ من الممرضة أن تتصل بضابط الشرطة، وحين وصل أخيرًا مساء نفس اليوم، لم يكن هدفه أن يأخذ أقوالي بل جاء ليقولها لي بوضوح: لو كان ثمة مَن سيُقبَض عليه فلن يكون أبوكِ، فبإمكانه أن يجعلهم يقبضون عليَّ بتهمة اقتحام بيته واغتصاب ابنته. كانت هذه كلمات الضابط بالتحديد، كأن ما كان يربطنا فعلٌ إجرامي، لذلك شعرتُ بالذنب طيلة هذه السنوات.

تنظر إليَّ لِيلِي وتضع يدها على وجنتي وتقول:

- ماذا تقول يا أطلس؟ فارق السن بيننا ليس إلا سنتين ونصف. لم ترتكب أي خطأ.

أُقدِّر مقولتها، غير أنها لا تُغيِّر حقيقة أني شعرتُ بالذنب حيال الضغط الذي تسببتُ لها فيه.

- لم يبدُ لي أي خيار صحيحًا آنذاك. لم أرغب في البقاء فأُعرِّضكِ إلى المزيد من المخاطر بالظهور مجددًا في بيتكِ، كما لم أُرِد أن أجد نفسي مقبوضًا عليَّ فأفقد فرصة التجنيد في الجيش. رأيتُ أن أفضل شيء هو أن أضع مسافةً بيننا، على أن أتصل بكِ ذات يوم وأعرف إن كنتِ قد فكَّرتِ فيَّ كما فكَّرتُ فيكِ.

تقول هامسةً:

- كل يوم.. لم يمضِ عليَّ يوم دون أن أفكِّر فيك.

أُملِّس على ظهرها لبرهة، ثم أمرر أصابعي بين خصلات شعرها متسائلًا كيف تُشعِرني بالاكتمال، وكيف لم أُدرك أني بدونها نصف إنسان.

كنتُ أفتقدها بالتأكيد طيلة هذه السنوات، ولو كان بالإمكان أن أستعيدها لفعلتُ دون إبطاء. لكننا أقمنا حياتَين مستقلتين، هي مع رايل وأنا مع مشروعاتي العملية، ما جعلني أفترض أن القَدَر يريدنا منفصلين. تعودتُ على المُضِي في حياتي بدونها. أما الآن وقد عادت إليَّ فلن أشعر بالاكتمال بعيدًا عنها، خاصةً عقب هذه الليلة.

أهمس إليها:

- لِيلِي..

فلا تستجيب. أتمطى قليلًا إلي الوراء فأرى عينيها مغمضتين، وأشعر بذراعها وقد تراخى حولي. أخشى لو تحركت أن أوقظها. لكنني قلتُ لجوش إنني سأتأخر لساعتين فقط، وقد طالت المدة لثلاث ساعات الآن. لستُ متأكدًا إن كان يحق لي أن أترك صبيين في الثانية عشرة وحدهما في المنزل.

إني أُبالغ في التفكير في هذا الأمر؛ هما بخير بكل تأكيد. لم يتصل أحدهما بي أو يبعث رسالة لأي ظرف طارئ، والصبيان في هذه السن يُجالسون الأطفال الأصغر منهم في بعض الأحيان.

كل شيء حسن على ما أظن، لكن عليَّ أن أعود إلى البيت على أية حال، ولا أعرف عن جوش ما يكفي للاطمئنان إلى أنه لا يُقيم حفلًا ماجنًا في منزلي الآن. أسحب ذراعي ببطء من تحت رأس لِيلِي

https://t.me/fantazynov

وأنهض بخِفَّة من السرير. أرتدي ملابسي بهدوء قدر الإمكان، وأمضي بحثًا عن ورقةٍ وقلم. لا أريد أن أوقظها، لكنني لا أريد أن أغادر دون أن أقول أي شيء، خاصة بعد الليلة التي أمضيناها معًا.

أجد نوتةً وقلمًا في درج المطبخ، فأجلس إلى الطاولة لأكتب لها رسالة. وحين أنتهي، أعود بها إلى غرفة نومها وأضع النوتة على الوسادة المُجاورة لها، ثم أُقبِّلها متمنيًا لها ليلةً سعيدة.

الفصل الرابع والعشرون

لِيلِي

ثمة خبط في رأسي.

وخبط *خارج* رأسي.

أرفع وجهي عن الوسادة وأُحِس باللعاب السائل على ذقني، أمسحه بطرف غطاء الوسادة وأنهض جالسةً فأُدرك أن أطلس غادر وترك لي رسالةً بجانبي. أمسك الرسالة، وأسمع الخبط من جديد، فأدسُّ الرسالة تحت الوسادة وأُجبِر نفسي على تصفية مساحةٍ في عقلي الغائم حتى أستوعب ما يحدث في هذه اللحظة.

إيمي في بيت أمي.

حصلتُ لتوّي على أفضل نومة منذ عامين.

شخص ما يقف بباب شقتي.

أمدُّ يدي وأقبض على الهاتف بجواري وأحاول التركيز على الشاشة. لديَّ عدة اتصالات فائتة من رايل، ما يُقلقني من أن شيئًا قد حدث أثناء نومي، أما أمي فلم تُرسل لي إلا صورة لإيمي وهي تتناول الفطور قبل نصف ساعة.

https://t.me/fantazynov

ففف.. إيمي بخير. أهدأ على الفور، لكن حدسي بأن رايل هو مَن يطرق الباب لا يسمح لي بالكثير من الاسترخاء.

أصيح:

- انتظر!

أرتدي بعُجالة تيشيرت وجينز ثم أفتح الباب، يعبر من جانبي لداخل الشقة دون دعوة للدخول. يقول:

- هل كل شيء على ما يرام؟

يبدو عليه الاضطراب، وكذلك الارتياح لرؤيتي حيَّة.

- كنتُ نائمة. كل شيء بخير.

بإمكانه أن يميِّز أني منزعجة. يبحث بعينيه عن إيمي فأقول:

- باتت الليلة عند أمي.

- أوه! (يبدو عليه الإحباط) حاولتُ الاتصال حتى آخذها لبضع ساعات. لم تردي على الهاتف، وعادةً ما تكونين مستيقظة في وقت كهذا...

تتبدَّل نبرة صوته حين يلاحظ الكنبة.. أُجزم بأن التيشيرت والسروال الداخلي لا يزالان مُلقيْن باعتباط خلف الكنبة.

- دعني أتصل بأمي وأُخبرها بمجيئك.

أذهب إلى الغرفة طلبًا للتليفون، على أمل ألا يبدأ رايل في استجوابي. إنه يُفسد المزاج الجيد الذي تركني فيه أطلس الليلة الماضية.

أعود إلى غرفة المعيشة، وأبحث عن رقم أمي على الهاتف، فيما يُمسك رايل بكأس نبيذ ويتأمَّل فيها. إنها الكأس التي شرب منها أطلس، كأسي كانت بجوارها فوق الكاونتر - ثمة دليل واضح على وجود شخص معي في الليلة الماضية.

قبل خلع سروالي وإلقائه على الكنبة.

أستطيع أن ألمح الغيرة التي تغلي في عينَي رايل قبل أن يعيد الكأس لموضعها وينظر إليَّ:

- هل بات أحدٌ هنا بالأمس؟

لا أكلّف نفسي عناء الإنكار، فأنا امرأة راشدة، عازبة وراشدة. *حسناً، لا أُعتبَر عازبة تمامًا الآن، لكن هذا شأن آخر.*

- نحن مطلقان يا رايل، لا يحق لك أن تسألني أسئلةً من هذا النوع.

ربما كان من الخطأ أن أقول هذا، فرايل يرُدُّ على الفور بأن يتحرك نحوي خطوتين قائلًا:

- ألا يحق لي أن أسألكِ إن كان شخصًا قد قضى الليلة في المنزل الذي تعيش فيه ابنتي؟

أتراجع خطوةً إلى الخلف وأقول:

- لم أقصد ذلك. ما كنتُ لأجلب شخصًا ما ليعيش معها دون موافقتك؛ لهذا هي عند أمي.

تضيق عينا رايل في اتهام. يبدو قرفانًا مني وهو يقول:

https://t.me/fantazynov

- ترفضين أن تتركيها تبيت معي، وتتركيها في مكان آخر حتى تقضي وطركِ (يضحك).. تربية رائعة يا لِيلِي.

الآن أشعر بالغضب..

- هذه ثاني مرة تبيت بعيدًا عني منذ ولادتها قبل عام من الآن. لا توبِّخني على ليلة وحيدة أخصصها لنفسي، وما أفعله في هذه الليلة لا يخصُّك من قريب ولا بعيد.

تظهر تلك النظرة التي أعرفها في عينيه، نظرة خاوية مُفارِقة تسبق قيامه بشيء فيه تجاوز.

يتحول غضبي لخوفٍ على الفور، وحين يراني رايل أتراجع أمامه يُطلق صوتًا حَلْقيًّا غاضبًا يتردد في أنحاء الغرفة.

يغادر الشقة صافقًا الباب وراءه، وأسمعه يصيح بالسباب في الردهة الخارجية.

لا أعرف يقينًا من أين ينبع غضبه تجاهي؛ أهو غاضب لأني أمضي في الحياة بدونه، أم لأني أترك إيمي تبيتُ عند أمي في حين لا أرتاح لمَبيتها معه؟ ربما ينبع غضبه من تضافر الثلاثة أسباب في موقف واحد.

أُطلق زفيرًا يُعيد إليَّ الهدوء، شاعرةً بالارتياح بعد ذهابه، لكن قبل أن أُفكِّر في ما أفعله الآن أجد رايل يفتح الباب من جديد. يرمقني بلا تعبير وهو لا يزال واقفًا في الردهة الخارجية، ويقول:

- هل كنتِ معه؟

أشعر بقلبي محشورًا في حَلْقي إذ ينطق بهذا السؤال. لا يذكر اسم أطلس، لكن مَن غيره؟ لا أنكر على الفور، فيتأكَّد من كونه هو.

ينظر للسقف للحظات، ثم يهزُّ رأسه بأسف..

- إذًا كنتُ مُحِقًّا في قلقي تجاهه طوال هذا الوقت؟

مَرَّت الدقائق السابقة كما قطار الملاهي، لكن كل شيء يهون أمام عاصفة السؤال الذي أطلقه للتوِّ. أخطو عدة خطوات حتى أقف في فتحة الباب، مستعدَّةً لغلق الباب في وجهه فور الإجابة على سؤاله:

- لو كنتَ تُصدِّق حقيقةً أني يمكن أن أخونك، فلتُصدِّق ما تشاء. ليس لديَّ الطاقة للاستمرار في إقناعك بعكس ذلك. لقد شرحتُ لك الأمر من قبل، فلا حاجة لأن أُعيد الشرح الآن. لم أكُن لأتركك قط بسبب أطلس. لم أطلب الطلاق من أجل أطلس. تركتك لأني أستحق مُعاملة أفضل من تلك التي نِلتُها منك.

أشرع في غلق الباب، لكن قبل أخطو خطوةً إلى الخلف يتحرك رايل ويدفعني حتى يلصقني في باب غرفة المعيشة. عيناه مفعمتان بالغضب حين يُطبِق بيده اليسرى على أسفل حَلْقي ويُثبِّتني في مكاني. يصفع براحته اليمنى على الباب بجوار رأسي مباشرةً، فأغمض عينيَّ على الفور، لا أريد أن أشهد ما سيحدث بعد ذلك.

تغمُرني موجة من الرعب والتوتر الشديد أخشى أن أغرق بسببها. أشعر بنَفَسِه يغمر وجنتي مندفعًا من بين فكَّيه المُطبِقَين، لأن وجهه قريب يكاد يُلاصق وجهي. يتقافز قلبي بشدة، فلا يمكن ألا يشعر

https://t.me/fantazynov

بضربات الخوف تحت راحته المُطبِقة على حَلْقِي. أرغب في الصراخ، لكني مرعوبة من أطلق أي صوتٍ فيزيد من غضبه.

تمُرُّ عدة ثوانٍ بين اللحظة التي يُثبِّتني فيها رايل في الباب واللحظة التي يُدرك فيها ما اقترفه معي، وما هو *موشك* على اقترافه الآن.

عيناي لا تزالان مغمضتين، لكني أشعر بالندم الذي ينتابه من طريقة انحنائه على الباب وضغطه عليه بجبهته، بجوار رأسي تمامًا. لا يزال يحتجزني، غير أنه يُخفِّف من ضغط يده الممسكة بعُنُقي، وثمة حشرجة تصدر منه كأنه يوشك على منع نفسه من البكاء.

تُعاودني ذكرى الليلة التي أصابني فيها، والاعتذارات التي كان يهمس بها وأنا أتأرجح بين الوعي واللا وعي.. *أنا آسف، آسف، آسف..*

قلبي يتحطَّم، لأن رايل لم يتغيَّر قط. بقَدْر ما أملتُ في تغيُّره، وبقَدْر ما أُدرِك كونه يريد التغيُّر، أعرف أنه نفس الشخص الذي كانه دائمًا. لسبب ما كان لديَّ ذرَّة أمل في أنه قد صار أكثر تحكُّمًا من أجل إيمي، غير أن ما يقترفه الآن يُؤكِّد أن اختياري هو عين الصواب لإيمي.

رايل يستمسك بي كأنما باستطاعتي أن أغيِّر الواقع، وفي زمن ما كنتُ أتصوَّر أني أستطيع القيام بذلك. إنه رجل مكسور، لكن ليس بسببي. يتصوَّر بعض الناس أحيانًا أنك لو أحببتَ شخصًا بما يكفي ستجبر كسره مع الوقت، لكن الأمر ينتهي بالشخص المُحِبِّ وقد صار مكسورًا مثله.

https://t.me/fantazynov

لا يمكنني أن أسمح لأي مَن كان بأن يكسرني مرة أخرى. لديَّ طفلة أريد أن أكون لها أمًّا مكتملة.

أضغط بخِفَّة على صدره حتى أحثَّه على التراجع إلى الردهة الخارجية، وحالما تسمح المسافة بيننا بإغلاق الباب أُغلقه وأوصده بالمفتاح، ثم أتصل بأمي على الفور وأخبرها بأن تأخذ إيمي بالسيارة وتقابلني في المتنزَّه. لا أريدهما موجودتين في بيتها لو قرر رايل أن يذهب هناك.

بعدما أنهي المكالمة، أتحرك عمدًا في أرجاء الشقة؛ لو توقَّفتُ عن الحركة وسمحتُ لنفسي بالتوهان في ما حدث للتو لربما بكيت. لا وقت الآن للبكاء. أبدِّل ملابسي لأذهب إلى المتنزَّه وأكون مع ابنتي بكل طريقة أستطيعها.

وقبل أن أخطو خارج الباب، أمسك برسالة أطلس وأضعها في حقيبتي. لديَّ شعورٌ بأن كلماته ستكون بقعة الضوء في هذا اليوم.

***

توجُّساتي تُثبت صحَّتها، أسمع الرعد يصفق بشدة حالما أدفع السيارة خارج موقف السيارات. ثمة عاصفة تستعدُّ للهبوب من ناحية الشرق في هذا الاتجاه.

لم تُمطر حتى الآن، أتفقَّد ساحة اللعب حتى أجد أمي، إنها تمسك إيمي وتهبط بها على الزحليقة. لم تلاحظ وجودي بعد، لذا أخرج رسالة أطلس من حقيبتي لكي أقرأها. لا أزال أشعر بالدوار من مواجهتي مع رايل، أريد أن أقرأ شيئًا آمل أن يحسِّن من مزاجي قبل لقاء ابنتي.

https://t.me/fantazynov

عزيزتي ليلي،

أعتذر عن اضطراري للذهاب دون كلمة وداع، لكنكِ رُحتِ في النوم بسهولة غير معقولة. لا مانع لديَّ في نومكِ، فأنا أحب أن أطالعكِ وأنتِ نائمة، حتى في قلب سيارةٍ أثناء موعدٍ غرامي.

كثيرًا ما طالعتكِ أثناء نومكِ ونحن صغيران، كنتُ أحب الاطمئنان الذي تبدين عليه، فلطالما بدا عليكِ خوف صامت وأنتِ مستيقظة، كان يَتلاشى حين تنامين فأشعر بالارتياح.

لا أعرف كيف أبدأ في الحديث عما تعنيه لي هذه الليلة. لا أظنني في حاجةٍ لأن أصفها في كلمات، فقد شاركتِني هذه الليلة وشعرتِ بها مثلي تمامًا.

أعرف أنني ذكرتُ من قبل أني لطالما شعرتُ بالذنب حيال ما حدث بيننا، لكنني لم أفكِّر يومًا في الندم على حُبي لكِ. لو كان ثمة ما أندم عليه فهو أني لم أُحارب لأجلكِ أكثر مما فعلْت. أظن أن هذا الشعور هو السبب الأكبر وراء شعوري بالذنب؛ لو لم أتركِكِ لما قابلتِ رجلًا يسبب إليكِ جرحًا شبيهًا بما فعله والدكِ في والدتكِ.

لكن مهما كان الطريق الذي أتى بنا هنا، فقد وصلنا أخيرًا. كان حتمًا عليَّ أن أبلُغ النقطة التي أدرك فيها أني كنتُ دائمًا مُستحقًّا لحُبكِ. من المؤسف أننا لم نصل هنا مبكرًا؛ فكم كنتُ أتمنى ألا تمُرِّي بالكثير مما عانيتِ منه. غير أن أي طريق آخر لم يكُن ليمنحكِ إيميرسون، لذا فأنا ممتنٌّ لحيث انتهينا الآن.

أحب مشاهدتكِ تتكلمين عنها، ولا أستطيع الانتظار حتى أتعرَّف عليها. ستجيء الفرصة بمرور الوقت، وكذلك الكثير من الأشياء التي أتطلَّع إليها. سنمضي في طريقنا بالسرعة التي ترتاحين إليها. سواء أُتيح لي الحديث معكِ كل يوم، أو رأيتكِ مرة كل شهر، فأي شيء أفضل من السنوات التي مرَّت عليَّ دون أن أعرف شيئًا عنكِ.

أنا في غاية السعادة لرؤيتكِ سعيدة، هذا كل ما حلمتُ به لكِ.

لكن عليَّ الاعتراف، لا شيء أفضل من حقيقة أنني الشخص الذي تجدين السعادة معه.

محبتي،

أطلس

أجفل بشدة، أكاد أمزق الرسالة نصفين حين يخبط شخص ما على زجاج السيارة. أشهق وأبرِّق في اتجاه الصوت فألمح أمي واقفةً بجوار السيارة. يُشرق وجه إيمي حين تراني عبر الزجاج؛ لا أحتاج أكثر من هذه الابتسامة حتى تغمرني السعادة وأبتسم إليها.

حسنًا، ابتسامتها وهذه الرسالة التي في يدي.

أطوي الرسالة وأُعيدها إلى الحقيبة. تفتح أمي الباب وتسألني:

- هل الأمور على ما يرام؟

- نعم، بخير.

آخذ منها إيمي، لكن تبقى عينا أمي مبرقتين في ارتياب.

https://t.me/fantazynov

- كان صوتكِ خائفًا حينما طلبتِ مني لقاءكِ في المتنزَّه.
- أنا بخير، كل ما هنالك أني لا أريد لرايل أن يأخذها اليوم. مزاجه ليس على ما يرام، وعرِف أن إيمي معكِ، لذلك..

أُطلق زفيرًا وأمشي صوب منطقة المراجيح الخالية، أجلس على مقعد إحدى المراجيح وأضع إيمي فوق حِجْري، ظهرها ناحيتي.

تنظر إليَّ أمي في قلق وتقول:

- لِيلِي، أخبريني بما حدث.

برغم أن عُمْرَ إيمي عام واحد ولن تستوعب ما يُفترض أن أقول، لستُ مرتاحةً للتحدُّث عن أبيها في حضورها، فلديَّ قناعة أن الأطفال الصغار لديهم حساسية خاصة لحالتنا المزاجية، حتى لو لم يفهموا ما نقوله.

أشرع في شرح الحالة دون ذِكْر أسماء:

- تعرَّفتُ على شخص ما؟

أُفصِح بهذا الاعتراف في نبرة أشبه بالسؤال، لأننا لم نُعلِن علاقتنا بعد، لكني لا أظننا نحتاج أنا وأطلس لتوصيف العلاقة حتى نعرف لأين تتجه.

- فعلًا؟ مَن هو؟

أهزُّ رأسي.. لن أقول لها إنه أطلس، مع أنها لن تعرف عمَّن أتحدَّث على أي حال، لقد رأتهُ مرَّتين في السابق، ولم نتحدَّث عنه قط. ولو كانت تتذكَّره فلن تريدني أن أذكر اسمه، باعتباره الشخص الذي تسبب زوجها في دخوله المستشفى.

ربما يأتي اليوم الذي أقدِّم فيه أطلس لأمي بطريقة رسمية، ولا أريدها أن تربط بينه وبين ماضيَّ وإلا أُصيبت بالذعر.

- مجرد شخص قابلتُه. لا يزال الوقت مبكرًا للحُكم، لكن...

أُطلق زفيرًا حارًّا وأدفع الحديث إلى الأمام قليلًا:

- اكتشف رايل الأمر، وليس سعيدًا بالمرة.

تجفل أمي، كأنها تعرف جيدًا ما تعنيه كلمة *ليس سعيدًا*.

- مَرَّ عليَّ صباح اليوم، وكان رد فعله مخيفًا بحق. أُصبتُ بالذعر من فكرة أن يذهب لبيتكِ ليأخذ ابنتنا، لهذا لم أرِدكما في البيت.

- ماذا فعل؟

أهز رأسي وأقول:

- لم أُصَب بسوء، كل ما هنالك أنني منذ زمن طويل لم أرَ هذا الجانب المخيف منه، ما جعلني أرتجف قليلًا، لكنني بخير.

أُقبِّل رأس إيمي، وأندهش إذ أُحسَّ بدَمعة تسيل فوق خدِّي فأسارِع إلى مَسْحِها.

- لا أعرف حقيقةً كيف أتعامل مع زياراته هذه. كدتُ أتمنى أن يحدث شيء بالغ السوء حتى أحرر له محضرًا هذه المرة. ثم أعود وأشعر بأنني أمٌّ بالغة السوء كوني أُفكِّر بهذه الطريقة في والد ابنتي.

تمسك أمي بيدي وتعتصرها، فأوقِف أرجوحتي وألتفُّ لكي أواجهها. تقول لي:

https://t.me/fantazynov

- أيًّا كان قرارِكِ فلستِ أمًّا سيئة، بل على العكس من ذلك تمامًا.

تُفلت يدي وتمسك السلسلة التي يتعلَّق بها مقعد الأرجوحة، مُحدِّقةً في إيمي:

- أُقدِّر جميع اختياراتكِ الخاصة بابنتك. أشعر بالحزن أحيانًا لكوني لم أكن بنفس القوة في الدفاع عن مصلحتك.

أهز رأسي نفيًا على الفور:

- لا يمكنكِ مقارنة حالتينا يا ماما. تلقيتُ الكثير من الدعم حتى أقوم بهذه الاختيارات، أما أنتِ فلم يدعمكِ أحد.

تنظر لي بابتسامة حزينة مليئة بالعرفان، ثم تميل إلى الوراء وتركل الأرض حتى تمنح نفسها دفعة هينة:

- أيًّا كان الشخص، فهو رجل محظوظ. (تنظر في عينيَّ) مَن هو؟

- (أضحك) لا، لن أتحدث معكِ عنه حتى يصبح الأمر مؤكدًا.

- لقد صار مؤكدًا بالفعل، أرى ذلك في ابتسامتكِ.

ننظر لأعلى في ذات الوقت حين يبدأ الرذاذ في الهبوط. أُلِفُّ إيمي أسفل ذقني وأتَّجه عائدةً إلى موقف السيارات. تُقبِّل أمي إيمي قبل أن أضعها في كرسي الأطفال، تقول لها:

- أنا أحبكِ، جدتكِ تُحبكِ يا إيمي.

- جدة! في الأسبوع الماضي كنتِ تعلِّمينها لقب *ناني*.

- لم أستقر بعد على أيٍّ منهما.

تُقبِّلني أمي على خدي وتُسرع إلى سيارتها.

أدلف إلى السيارة في اللحظة التي يبدأ فيها المطر في الهطول بكثافة؛ حبات كبيرة من المطر تنقَضُّ على الزجاج الأمامي والرصيف وسقف السيارة، حبات ضخمة لها صوت حبات جَوْزٍ تتساقط فوق السيارة.

أجلس لبرهة أتدبر في وِجهَتي قبل أن أدير المحرك. لا أريد العودة إلى البيت الآن، فربما يظهر رايل من جديد، وبالتأكيد لا أريد الذهاب لأليسا إذ لا مفر من اللقاء به هناك في البناية التي يسكن فيها.

ما يهمني الآن هو حماية إيمي، فرايل له كل الحق على الورق في أن يأخذها كي تقضي اليوم معه، لكنني لن أسمح بوجودها معه في يومٍ يفتقد فيه لصمام الأمان.

أنظر في المرآة الخلفية فأرى إيمي تجلس في هدوء، تشاهد المطر عبر الزجاج الجانبي. ليس لديها أدنى فكرة عن الفوضى التي تجري حولها، لأنني بالنسبة إليها جميع ما حولها. تضع كل ثقتها فيَّ أنا، تعتمد عليَّ كليًّةً، وها هي تجلس في راحة وهناء كما لو أنني أضع كل شيء تحت السيطرة.

وبرغم أني أفتقد هذا الشعور بالسيطرة الكاملة، يكفيني أنها تفترض ذلك. أنظر إليها وأقول:

- إلى أين نذهب اليوم يا إيمي؟

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

الفصل الخامس والعشرون

أطلس

- متى عُدتَ إلى البيت ليلة أمس؟

هكذا يسألني جوش. يدلف لداخل المطبخ مرتديًا جوربَين مختلفَين، أحدهما جديد اشتريتُه له، والثاني لي! كان نائمًا هو وثيو حين عدتُ إلى البيت، مع ذلك استيقظتُ قبلهما بثلاث ساعات. وقبل عشرين دقيقة جاء براد وأخذ ثيو.

- لا شأن لك بهذا.

أشير إلى الطاولة حيث واجباته المدرسية التي لم يُنهِها بعد، والتي وعد بأن ينجزها أمس لو سمحتُ لثيو بالمَبيت معه، لكن يبدو أن ألعاب الفيديو وأعداد المانجا والأنيمي حالت دون ذلك.

- ألم تنجز واجباتك؟

يرنو جوش إلى كومة الأوراق ثم يعاود النظر إليَّ قائلًا:

- لا.

- أنجِزها.

أقولها بثبات وثقة، مع أنني ليس لديَّ أدنى فكرة عن طريقة التعامل الصحيحة مع هذا الموقف؛ لم أضطر يومًا لأن أُوجِّه صبيًّا

https://t.me/fantazynov

للقيام بواجباته. لا أعرف حتى طريقة العقاب المناسبة لو لم يقُم بما عليه. أشعر كأنني أمثّل دورًا ما. الحقيقة أنني أمثِّل بالفعل. لستُ إلا نصابًا في هذا الموقف. يقول جوش:

- أنا لا أتجنَّب القيام بها، بل لا أستطيع.
- هل هي صعبة للغاية؟ ما الذي صَعُب عليك، الحساب؟
- لا، أنهيتُ واجب الحساب. الحساب سهل. المشكلة في هذا الخراء الخاص بمادة الكمبيوتر.
- هذا الهراء.

أصوِّب له الكلمة، ثم أفكِّر.. ربما تكون هراء سيئة بالمِثل. أجلس بجواره لأرى ما يجد صعوبة فيه. يُزحزِح الواجب ناحيتي فأُطالعه. الواجب أن يعمل بحثًا حول موضوع «الأنساب»، والمطلوب منه خمسة أشياء على مدار الفصل الدراسي، أحدها أن يرسم شجرة عائلة وكان عليه تسليمه يوم الجمعة الماضي، والثاني تحليل للأجيال باستخدام موقع إلكتروني متخصص في الأنساب، وعليه أن يسلمه يوم الجمعة القادم. يقول لي:

- المطلوب أن نبحث عن أقاربنا من خلال موقع إلكتروني، وأنا لا أعِرف اسمًا واحدًا ولا من أين أبدأ.. هل تعرف؟
- (أهز رأسي) لا.. قابلتُ والد ساتن مرة واحدة، لكنه مات وأنا طفل، حتى إنني لا أتذكَّر اسمه.
- ماذا عن جدي وجدتي من ناحية أبي؟
- لا أعرف أي شيء عن عائلته.

يستعيد جوش كومة الأوراق، ويقول:

- عليهم أن يتوقفوا عن مطالبة الأولاد بواجبات من هذا النوع، فلم يعُد هناك عائلات طبيعية.

- معك حق.

أسمع طنين رسالة واردة لهاتفي الذي تركتُه في المطبخ، فأنهض واقفًا حتى أتفقَّده. يسألني جوش:

- هل حاولتَ يومًا أن تبحث عن والدي من أجلي؟

لقد حاولتُ بالفعل، غير أن تيم لم يرُدَّ على الرسالة الصوتية التي تركتها له، ولا أريد أن أخبر جوش بهذا حتى لا يناله الإحباط. ألتقط هاتفي وأعود إلى جوش قبل أن أطَّلع على الرسائل، أقول له:

- لم أجد الفرصة بعد للبحث جيدًا عن أبيك. هل أنت واثق أنك تريدني أن أبحث عنه؟

- (يومئ برأسه) ربما يريد أن يعرف أخباري. أنا واثق أن ساتن فعلت كل المستطاع كي تُفرِّق بيننا.

أشعر بطعنة قلقٍ تخترق صدري في منتصفه. أملتُ أن يكون جوش مرتاحًا هنا بما يغنيه عن البحث عن أبيه، لكنه أمل سخيف. إني صبي في الثانية عشرة، ولا بد أن يريد إيجاد أبيه.

- سأساعدك في البحث عنه، (أشير إلى الأوراق) لكن حاول مع هذا بقدر ما تستطيع، فطالما حاولت فلن يستطيع أحد أن يعطيك درجة سيئة لمجرد أنك لا تعرف أجدادك.

ينكبُّ جوش على الأوراق، وأنظر في الهاتف أخيرًا لأقرأ الرسالة. إنها من لِيلِي.

هل يمكنني الاتصال بك؟

كيف لا تعرف أن باستطاعتها أن تتصل بي في أي وقت من اليوم؟! أذهب بالهاتف لغرفتي وأتصل بها دون أن أرد على رسالتها. تُسرع بالرد قبل أن تكتمل أول رنَّة.

- ألو.

- مرحبًا.

- ماذا تفعل؟

- أساعد جوش في واجباته. أحاول ادعاء أنني لا أفكر فيكِ.

تصمت لبرهة، وأشعر على الفور أن ثمة ما يضايقها. أقول:

- هل أنتِ بخير؟

- نعم، أنا فقط.. لا أرغب في العودة للبيت. كنتُ أتساءل لو كان بالإمكان أن آتي لمنزلك؟

- بالطبع. ألا تزال إيمي مع والدتكِ؟

- (تتنهَّد) هذه هي المسألة، إنها معي، أعرف كم يبدو هذا غريبًا لكني سأشرح لك الأمر حين أصل.

إن كانت ستأتي بإيميرسون لبيتي فهناك قطعًا ما يُضايقها. لقد كانت صلبة في موقفها من المجيء بها إليَّ قبل أن يعرف رايل بعلاقتنا.

- سأرسل إليكِ عنواني.

- شكرًا لك. سأصل خلال مدة وجيزة.

تُنهي المكالمة، فأرتمي على سريري مفكرًا في ما يمكن أن يكون قد حدث معها خلال هذه الساعات بين تسللي من شقتها ليلة أمس وهذه المكالمة.

هل قرأتْ رسالتي؟ هل قلتُ شيئًا أزعجها؟

هل تنوي أن تقطع علاقتها بي؟

كل هذه المخاوف تُدوِّم في أحشائي بينما أنتظرها، لكن يبقى أكبر مخاوفي هو الشيء الذي لا أريد أن أترك عقلي يُسلِّم باحتماليته.. *هل أقدم رايل على أذيَّتها؟*

***

أقف مترقِّبًا وصولها حين أرى سيارتها تجنح إلى الطريق الداخلي، فأستقبلها بالخارج. ألاحظ فور خروجها من السيارة أن ثمة ما يزعجها، ولا أظنه يَمُتُّ لي إذ يبدو عليها الارتياح لرؤيتي. أضمُّها إليَّ حين أدرك حاجتها لهذا الحضن، وأقول:

- ماذا حدث؟

تضع يديها على صدري وتتراجع قليلًا حتى تراني. تبدو مترددة في الإفصاح عن أي شيء. تنظر عبر النافذة الخلفية لتطمئن على ابنتها النائمة في كرسي الأطفال. ثم تشرع في البكاء. تدفس وجهها في صدري وتجهش باكيةً في قميصي فينكسر قلبي. ألمس شعرها بشفتيَّ وأتركها تفرغ شحنتها.

لا تستغرق وقتًا طويلًا، تتماسك سريعًا وتمسح عينيها وتقول:

- أنا آسفة، أمسكتُ نفسي عن البكاء طيلة النهار منذ غادر رايل.

https://t.me/fantazynov

يُصيبني ذِكْرُ اسمه بتصلُّب في العمود الفقري؛ كنتُ واثقًا أن الأمر يتصل به.

- لقد عرف ما بيننا.

- ماذا حدث؟

أستنجد بكل قوايَ حتى أظل واقفًا في مكاني ولا أركض بحثًا عنه. عظامي تتخبَّط من شدة الغضب.

- هل آذاكِ؟

- لا، لكنه غاضب بشدة ولا أريد أن أبقى وحدي في البيت. أعرف أنه لا يُستحسَن أن أجيء بإيمي إليك الآن، لكني أشعر بأنني أكثر أمانًا معها هنا من أن يظهر رايل ويُحاول أخذها اليوم. أنا آسفة، لا أريد أن أبقى في مكان يمكنه العثور عليَّ فيه.

أرفع ذقنها لأعلى لأجعلها تنظر إليَّ..

- أنا سعيد بوجودكما أنتما الاثنتين. ابقي طوال اليوم لو أردتِ.

تُطلِق زفيرها وتطبع شفتيها فوق شفتيَّ، تقول:

- شكرًا.

وتمضي نحو باب السيارة الخلفي لتحمل ابنتها من كرسي الأطفال. الطفلة لا تستيقظ، تترنَّح بين ذراعَي لِيلِي غائبةً عن الوعي.

- لقد كانت في المتنزه العام، لذا فهي مرهقة.

أتأمل إيميرسون في ذهول، لا زلتُ أتعجب من درجة التشابه بينها وبين لِيلِي. إنها صورة طبق الأصل من أمها ولا تَمُتُّ بصلة لشكل أبيها.

- هل تحتاجين أن أحمل معكِ أي شيء؟
- حقيبة الحفاضات في المقعد الأمامي.

أجلبها ونمضي لداخل البيت. ينظر جوش إلى الخلف حين أخطو إلى الداخل، تُلوِّح له لِيلِي فيومئ إليها بالتحية، ثم يلمح إيميرسون فيستدير إلينا في كرسيِّه قائلًا:

- هذهً طفلة رضيعة.

فتجيبه لِيلِي:

- نعم، اسمها إيميرسون.

ينظر جوش إليَّ يقول:

- هل هي ابنتك؟ (يُشير نحو إيميرسون) هل هذه ابنة أخي؟

تضحك لِيلِي في عدم ارتياح.

كان عليَّ أن أنبِّه جوش قبل وصولها، أقول:

- لا، لستُ أبًا ولا أنت عمًّا.

يُحدِّق فينا جوش لبرهة، ثم يهز كتفيه قائلًا:

- حسنًا.

ويستدير عائدًا إلى الواجب المدرسي.

أقول بصوت خافت:

- أعتذر عن هذا.

وأضع حقيبة الحفاضات بجوار الكنبة قائلًا:

- هل تحتاجين لحافًا لها؟

https://t.me/fantazynov

تومئ لِيلِي، فأجيء بلحاف من خزانة الطرقة وأفرشه على الأرض بجوار الكنبة، مطويًا عدة طيَّات حتى أجعله أكثر طراوة، فتضع عليه إيميرسون التي تظل نائمة حتى تصل مستقرَّها الجديد.

- لا تتركها تخدعك، فنومها خفيف جدًّا.

تخلع لِيلِي حذاءها وتقعد على الكنبة طاويةً رِجلَيها تحتها. أجلس بجانبها آمِلًا أن تشرع في الحديث عما حدث لأعرف ما يُخيفها.

ليس بإمكان جوش أن يرانا من غرفة الطعام، لذا أُقبِّل لِيلِي قُبلة سريعة. أشك أيضًا في إمكانية أن يسمعنا من حيث يجلس، لكنني أهمس على أي حال:

- ماذا حدث؟

تتنهَّد بجماع جسدها وتستند إلى يد الكنبة في مواجهتي وتقول:

- جاء ليأخذ إيمي، ولم أكن أتوقع مجيئه. رأى كوبَي النبيذ والملابس الداخلية، ربط بين الأشياء وصدر عنه رد الفعل الذي كنتُ أخشاه بالتحديد.

- أي رد فعلٍ هذا؟

- لقد غضب، لكنه غادر قبل أن يبلغ به الغضب أقصى أطواره.

أقصى أطواره؟! ماذا يعني ذلك؟

- هل عرِف أنني الشخص الذي كان معكِ؟

- (تومئ بالإيجاب) كان هذا أول سؤال طرحه عليَّ. غضب بشدة، فطلبتُ منه أن يغادر الشقة. وغادر بالفعل.. لكن...

تتوقف عن الكلام، ولأول مرة ألاحظ ارتجاف يدها. يا إلهي كم أكرهه. أجذبها نحوي حتى تنضغط ذقنها في صدري وأقول:

- ما الذي فعله ليُخيفكِ هكذا يا لِيلِي؟

كفُّها موضوعة فوق قلبي تمامًا، تهمس:

- حاصرني عند الباب، واقترب كثيرًا من وجهي فظننتُ أنه يوشك أن يضربني أو.. لا أعرف ماذا. لكنه لم يفعل.

لا بد أنها تشعر بنبضات قلبي التي تضاعفت طَرَقاتُها داخل صدري، فهي ترفع رأسها وتنظر إليَّ قائلةً:

- أنا بخير يا أطلس. أقسم لك، لم يحدث شيء بعد ذلك؛ كل ما هنالك أن وقتًا طويلًا قد مضى منذ آخر مرة رأيته فيها غاضبًا لهذه الدرجة.

- لقد حشركِ في الباب، هذا يُعَدُّ شيئًا.

تشيح بعينيها، وتُريح رأسها من جديد على صدري.

- أعرف، أعرف.. لكني لا أعرف ما يُمكن عمله حيال ذلك، ماذا أعمل لأجل إيمي، كنتُ على وشك أن أتركها تبيت معه، أما الآن فلا أريده أن يحصل على زيارات غير خاضعة للرقابة.

- إنه لا يستحق الزيارات غير الخاضعة للرقابة، عليكِ أن تُعيديه إلى المحكمة.

تُطلق لِيلِي زفيرًا عميقًا، فيظهر لي جليًّا أن هذا الجزء من حياتها هو الذي يُسبب الضغط الأكبر. لا يمكنني أن أتصوَّر شعورها وهي تراه يأخذ ابنتها في سيارتها، وهي تعرف عنه ما تعرفه. مجيئها هنا

اليوم أمرٌ صائب. فبرغم قرارها السابق بأن تتمهَّل قبل أن تجيء بإيمي في حضوري، فقد اختارت الصواب، فمن الجائز أن يعود رايل ليعتذر منها ويأخذ إيمي، وهنا سيبحث عنها في كل الأماكن المعتادة. لن يبحث عنها هنا، كما أننا أنا ولِيلِي نعرف جيدًا أن هذا الشيء الذي ينضج على مهلٍ بيننا سيكون ذا أمدٍ طويل. ليس عليها أن تقلق من أن أصنع رابطةً مع إيمي ثم أختفي. فطالما تريدني لِيلِي موجودًا بجانبها فلن أذهب لأي مكان.

ترفع وجهها وتُعاود النظر إليَّ، ثمة لطخة من المَسْكَرَة أزيلها من جانب صدغها، تقول:

- هذا الاشتباك مع رايل هو ما حاولتُ أن أُحذِّرك منه، قد يدوم الأمر طويلًا، خاصةً وقد عرِف الآن بعودتك إلى حياتي.

تقول ذلك كأنها تُعطيني الفرصة للتراجع عن إقحام نفسي معها؛ لا أصدِّق كونها تضع احتمالَ أن شيئًا كهذا قد يخطر لذهني.

- حتى لو كان لكِ خمسون زوجًا سابقًا يحاولون أن يُحيلوا حياتَنا إلى جحيم، طالما صرتِ معي فلن أتأثر بما يُعانيه هؤلاء من مشاعر سلبية، أعِدُكِ بهذا.

تبتسم لأول مرة منذ مجيئها. لا أريد أن أقول أو أفعل شيئًا يمكن أن يسرق هذه الابتسامة، لذا أحوِّل مجرى الحديث بعيدًا عن طليقها الدنيء.

- هل أنتِ عَطِشَة؟

تدفعني في صدري وتتسع ابتسامتها وهي تقول:

- بالطبع، عطشانة وجائعة! وإلا فلماذا أجيء إلى منزل رئيس الطُّهاة؟

***

منذ أربع ساعات ولِيلِي وإيميرسون هنا. حالما انتهى جوش من واجبه بقدر ما يستطيع، شرع في اللعب مع إيميرسون. قالت لِيلِي إنها تتعلَّم المشي منذ أسابيع، وها هي تتبع جوش في كل مكان فيجد ذلك مضحكًا بشدة. لساعةٍ ظلَّ يمشي في أنحاء البيت وهي تتخبَّط في إثره، لكنها عادَت للنوم الآن؛ راحت في النوم وهي مُستلقية إلى جواري على الأرض، ورأسها فوق حِجري. عرضَت لِيلِي أن تنقلها لمكان آخر حتى أتحرك بحُريَّتي، لكنني لم أدَعها تفعل ذلك.

سأكون مُدَّعيًا لو قلتُ إن الأمر ليس غريبًا بالنسبة لي. لكنني أعرف يقينًا أننا أنا ولِيلِي سنوفِّق جميع هذه الأوضاع. هي مَن أبحث عنها، وأنا مَن تبحث عنه، وهذا ما عرفتُه في غضون أسبوع منذ التقَينا. لكن بالنظر إلى إيميرسون، والتفكير في أن هذه الطفلة ستحتلُّ مع الوقت جزءًا كبيرًا من حياتي، فهذا ما لا أستوعبه حقيقةً. قد أُصبح في مقام والدها البديل، وغالبًا سيكون لي تأثير أكبر في حياتها من والدها البيولوجي حين نُقيم أنا ولِيلِي في بيت واحد مع مرور الوقت، والأرجح أننا سنتزوج ذات يوم.

لن أُفصِح بشيء من هذا أبدًا لأن أناسًا مثل ثيو سيقولون إنني أتعجَّل الحكم على الأمور، أما الحقيقة فأني تأخرتُ لسنوات عن الحياة التي أطمح إليها مع لِيلِي. هذا يوم فارقٌ في حياتي، وإن لم يُقدَّر

https://t.me/fantazynov

لي أن أرى إيميرسون ثانيةً لمدة شهور، فقد يكون أول يومٍ أقضيه مع مَن ستصير ذات يوم بمثابة ابنتي.

أسرّح خصلات رقيقة من الشعر الأحمر خلف أُذُن إيميرسون، بينما أُفكِّر في ما يمكن أن يكون السبب وراء غضب رايل. لا بد أنه يعرف ما يعنيه أن تمضي لِيلِي في حياتها من تأثير على علاقته بإيميرسون. تقضي لِيلِي مع إيميرسون أغلب الأوقات، لذا فأي شخص تُدخِله لِيلِي إلى حياتها هو الشخص الذي سيقضي مع إيميرسون هذا الوقت الطويل.

لا أُحاول تبرير تصرفاته بحال، لو كان بيدي لاخترتُ أن يحصل على وظيفة في السودان فلا نضطر للتعامل معه سوى مرة كل عام. لكن الواقع ليس كذلك، رايل يعيش في نفس المدينة التي تعيش فيها ابنته، فيما طليقتُه توشك أن تنتقل للسكن مع شخص آخر، هذا ليس أمرًا هيِّنًا على أي شخص. ومع تفهُّمي لمدى صعوبة ذلك بالنسبة له، فلن أتفهَّم فشله في إدراك حقيقة أن الخطأ ليس خطأ أحدٍ سواه. لو كان رجلًا أكثر نُضجًا وعقلانية لما اختارَت لِيلِي أن تتركه، ولكان معه الآن زوجته وابنته، ولما كنتُ أنا ولِيلِي على اتصال من أي نوع.

أنا قلِق على لِيلِي، قلِق من أن يكون رايل بدرجة ما مثل أمي، وأنه سينتقم عن طريق الشجار بلا هدف إلا الشجار في حد ذاته ودون سبب آخر. أسألها:

- هل سبق لكِ أن حرَّرتِ محضرًا ضد رايل؟

https://t.me/fantazynov

إنها جالسةٌ بجواري على الأرض، ترمق إيميرسون النائمة على حِجْري. تقول بطريقةٍ يشوبها الخِزي:

- لا.

- هل وضعتما معًا اتفاقيةَ رعاية مشتركة؟

- (تومئ) الوصاية لي وحدي، لكن بشروط. فبسبب جدول عمله أُطالَب بالمرونة في ما يخصُّ مواعيده، لكن من الناحية العملية لا يأخذها سوى مرتين في الأسبوع.

- هل يدفع إعالة الطفل؟

- (تومئ ثانيةً) نعم يفعل، ولم يتأخَّر عن دفعها قط.

أشعر بالراحة لكونه يُسدي لها ذلك على الأقل، غير أنني أستنتج من هذه الإجابات أن موقف لِيلِي محفوف بالصعوبات. تقول:

- لماذا تسأل؟

فأهزُّ رأسي قائلًا:

- لا شأن لي.

هل لي علاقة بكل ذلك؟ لا أعرف حقيقةً. أُحاول أن آخذ الأمور ببطء وأترك لِلِيلِي المساحة الكافية، غير أن هذا الجزء مني يتعارك مع الجزء الآخر الذي يتوق لحمايتها.

تشير لِيلِي بيدها حتى أنتبه لها وتقول:

- بل هو شأنك يا أطلس، نحن الآن معًا.

يتلعثم قلبي نتيجةً لهذا التعليق؛ هل أضفَت لتوِّها على علاقتنا صفة رسمية؟

https://t.me/fantazynov

- فعلًا؟ هل نحن معًا؟

أتبسَّم وأحثُّها على الاقتراب، وأسمع صوت نبضي يعلو وأنا أقول:

- هل صرنا أنا وأنتِ معًا يا لِيلِي بلوم؟

تتبسَّم شفتاها وهي تلصقهما في شفتيَّ، وتهزُّ رأسها موافقةً فيما تُقبّلني.

أظن كلينا كان يعرف أن علاقتنا ليست عابرة أو مؤقتة. لو كانت ابنتها لا تنام على حِجْري الآن لكنتُ حملتُ لِيلِي ودُرتُ بها.. فأنا سعيد لهذه الدرجة.

ولهذه الدرجة أريد أن أبذل المزيد من الوقت والجهد في هذه العلاقة.

تبدأ دفعة الأدرينالين في التراجع الآن، فتُعيدني إلى أفكاري السابقة على إعلان لِيلِي أن علاقتنا باتت رسمية.

رايل، الوصاية، انعدام النضج.

تضع لِيلِي رأسها على كتفي ويدها على صدري، لذلك تشعر بي حين أزفر كل الهواء الذي في صدري دفعة واحدة. ترفع رأسها وترنو إليَّ بقلق وتقول:

- قُلْها فحسب..

- ماذا أقول؟

- أفكارك حول موقفي. في تَقَلُّصِ حاجبَيكَ ما يُفصِح عن قلقك من شيء ما.

ترفع يدها وتزيل بإبهامها تلك الجِدية البادية في ملامحي.

- هل فات الوقت لكي تُخبري المحكمة بأنه كان يُمثِّل خطرًا عليكِ فيما سبق؟ ربما يمنعه هذا من المطالبة بمبيتها معه.
- طالما اتفق شخصان على ترتيب لرعاية ابنتهما، فلا يمكن استخدام الأدلَّة السابقة على تلك الاتفاقية بغرض تعديلها. بكل أسف، لم أُحرِّر ضده أي محضر من قبل، فلا يحق لي الآن أن أستخدم الإيذاء السابق كأساس للدفاع.

هذا مؤسف، لكنني أستطيع أن أتفهَّم محاولتها إبقاء الأمور فيما بينهما بعيدًا عن المحاكم آنذاك. ما يقلقني هو ما يمكن أن يترتَّب على ذلك من تأثير سلبي.

- إنه مشغول لدرجة عدم استطاعته رعايتها لنصف الوقت، ولا حتى وقت المبيت في حقيقة الأمر. أشكُّ في أنه سيُقدم يومًا على طلب الوصاية المشتركة.

أزمُّ شفتيَّ معًا وأهزُّ رأسي موافقًا، آمِلًا أن تكون على حق. لا أعرفه كما تعرفه لِيلِي، لكن مما أعرف عنه يبدو لي كشخص يُضمِر الأحقاد، والناس من هذا النوع يميلون إلى الرغبة في الانتقام. أولياء الأمور يفعلون ذلك طوال الوقت، لا يعجبهم ما يفعله الطرف الآخر، أو لا يعجبهم الشخص الذي يُواعِده الطرف الآخر، فيستخدمون الأبناء كسلاح في مواجهته، وهذا ما يُقلقني جدًّا. أستطيع أن أرى رايل يتخذ قرارًا بأن يأخذ لِيلِي إلى المحكمة، لمجرد الانتقام منها على اختيارها لي. وغالبًا سيحصل على ما يريد، فهو لم يؤذِ إيميرسون قط، ولم يُبلَّغ

عن إيذائه لِلِيلِي، ولم يتأخر يومًا عن سداد رعاية الطفلة، كما أن لديه عملًا ناجحًا. كل هذه الأشياء تصُبُّ في صالحه.

حين أنظر إلى لِيلِي أجدها على وشك أن تغوص في الأرض من شدة الإحباط. لم أقصد أن أزيد من همِّها بهذا الحديث.

- أنا آسف. لا أقصد أن أكون متشائمًا لهذه الدرجة. يُمكننا تغيير الموضوع.

- لستَ متشائمًا يا أطلس، بل واقعيًّا، وهذا ما أحتاجه منك بالتحديد.

ترفع رأسها عن كتفي وتشرئب حتى تتفقَّد إيمي، النائمة لا تزال على حِجْري. ثم تعود لجلستها مُطلِقةً تنهيدة هادئة.

- أتعرف، حتى لو كنتُ قد أبلغتُ عن رايل وحاربتُ من أجل الرعاية المنفردة، لكانت فرصي ضعيفة في الحصول عليها. ليس له سِجِل جنائي، ولديه المال ليدفع بأفضل المحامين. كل المحامين الذين استشرتهم تقريبًا شجَّعوني على التفاهم معه بعيدًا عن المحاكم لأنهم رأوا حالات كثيرة من هذا النوع، كما أن الترتيبات التي وافق عليها رايل بدت كأفضل الخيارات في هذا الوقت.

أُمسك بيدها وأشبِّك أصابعي في أصابعها. تمسح دمعة سالت على خدِّها. يسوؤني أني فتحتُ معها هذا الموضوع، غير أن هذه المخاوف تُعشِّش داخلها على أي حال، ومن الجيد أن تتدبَّر أمرها وتُفكِّر في جميع المعطيات حتى تبقى متقدِّمة بخطوة على رايل.

- مهما كان، فلن تكوني وحدكِ بعد الآن.

تتبسَّم في امتنان.

تبدأ إيميرسون في التقلُّب والاستيقاظ فوق حِجْري، تفتح عينيها وتنظر نحوي، وتبحث مباشرةً عن لِيلِي. تذهب إليها من أقصر طريق عبورًا فوق حِجْري فتحملها لِيلِي وتضمُّها إليها، وهنا أرفع رِجْلي وأحرِّكها لأعيد إليها الحيوية، فلم يكن بإمكاني تحريكها لأكثر من نصف ساعة أثناء نومها. تقول لِيلِي:

- علينا أن نذهب الآن، أشعر بالذنب لوجودي هنا مع إيمي، سأشعر بالغضب لو فعل رايل نفس الشيء وأخذها لصديقته دون علمي.

- أرى أن الحالتين مختلفتان قليلًا، فرايل لا يحتاج للبحث عن مكان آمن ليُخبِّئ فيه ابنته لمدة يوم لأنه خائف من عصبيتكِ. لا تقسي كثيرًا على نفسكِ.

تنظر لي بامتنان.

أساعدها في توضيب حاجياتها وأذهب معها إلى السيارة. وحالما تقعد إيميرسون في كرسي الأطفال، تقترب لِيلِي لكي تودِّعني. أجذبها من خصرها لأقرِّبها مني وأميل برأسي وأحكُّ أنفي في أنفها، ثم ألتقط شفتيها بين شفتيَّ وأُقبِّلها باشتهاء عازمًا على جعلها تتذكَّر القُبلة في طريقها إلى البيت.

أدسُّ يديَّ في الجيوب الخلفية لبنطالها الجينز وأعتصر ردفيها فتضحك، ثم تهمس بأسى:

- إني أفتقدك بالفعل.

أومئ موافقًا وأقول بنبرة اعتراف:

- أشعر بهذا وأكثر، إني مهووس بكِ يا لِيلِي بلوم.

أُقبِّل خدَّها وأُجبر نفسي على تركها.

هذا هو العيب الوحيد في وجودك مع الشخص الصحيح؛ تتألَّم لسنوات من الرغبة في الوجود معه، وحالما يحتل مكانه من حياتك تجد الألم *يزيد*.

الفصل السادس والعشرون

لِيلي

أنتِ تُحبطينني يا لِيلي.

أُحدِّق في صدمةٍ في شاشة الهاتف..

هل هذه نكتة؟

تُعاملينني كما لو كنتُ وحشًا مع أنني أبوها.

إنها الخامسة صباحًا. أستيقظ لأدخل الحمَّام، وبطبيعة الحال أنظر إلى الهاتف قبل أن أحاول النوم لساعة إضافية حتى يحين موعد المنبِّه.

كل الرسائل من رايل، مع أنه لم يُراسلني أو يتصل بي منذ حضر إلى بيتي يوم الأحد الماضي. مرَّت أربعة أيام، ولم يُقْدِم حتى على الاتصال والاعتذار عن فَقْدِه السيطرة على أعصابه معي. ظلَّ صامتًا لأربعة أيام، ثم يُرسل *هذا*!

كنتُ أكثر سعادة قبل لقائكِ.

أُتِمُّ قراءة الكم الهائل من الرسائل وأنا واثقة تمامًا أنه أرسلها وهو سكران ليلة أمس. أرسل الرسالة الأولى عند منتصف الليل، والأخيرة في الثانية صباحًا، تلك التي قال فيها: *استمتِعي بمضاجعة ذاك الشخص المُشرَّد.*

https://t.me/fantazynov

ألقي هاتفي على السرير ويداي ترتعشان، لا يمكنني التصديق. كنتُ آمل أن تكون أربعة أيام من الصمت فرصة لاستشعار الندم من ناحيته، لكن الواضح أنه كان يغلي في غضبه.

هذا أسوأ بكثير مما تصوَّرت.

أُحاول أن أعاود النوم لكني لا أستطيع. أنهض وأُعِدُّ كوبًا من القهوة، ثم أجد معدتي مُتعبة جدًّا فلا أشربه. وأقضي نصف الساعة التالية واقفةً في المطبخ، مُحدِّقة في الفراغ، مُعيدة هذه الرسائل في ذهني عدة مرات.

وحين تستيقظ إيميرسون أخيرًا أشعر بالارتياح، وأُرحِّب كثيرًا بالشوشرة الناتجة عن روتيننا الصباحي الفوضوي.

***

حين أصل إلى العمل بعد ترك إيميرسون في بيت أمي، تكون الساعة الثامنة صباحًا بالضبط. أسبق الجميع في الوصول إلى محل الورد، فأُلهي نفسي بكل ما أستطيع عمله حتى تصل سيرينا ولوسي. تلاحظ لوسي أن ثمة ما يشغلني، حتى إنها تُعاود سؤالي إن كنتُ بخير، فأُطَمْئنُها أن الأمور على ما يُرام.

أتصنَّع أني بخير، لكنني أُلمح الباب الأمامي كلما وجدتُ الفرصة، متوقعةً أن أجد رايل يندفع غاضبًا عبر الباب، وأنتظر رسالة جديدة تُضمر السوء أو مكالمة تليفون.

تمضي الساعات دون أن يحدث شيء من هذا، ودون أي اعتذار.

https://t.me/fantazynov

لا أُخبر أطلس بما حدث، ولا أليسا، لا أُخبر أي أحد بما اقترفه طوال اليوم. فالأمر مُحرِج؛ مُهينٌ لأطلس ولي. لا أعرف ماذا عليَّ أن أفعل حيال ما حدث، لكنني أعرف أنني غير مستعدة لتقبُّل ذلك. لن أقبل أن أُكمِل السبعة عشر عامًا المُقبلة من عمر ابنتي في تحمُّل إساءات من أي نوع، حتى عبر الرسائل النصيَّة.

غادرت سيرينا مبكرًا، وكنتُ وحدي مع لوسي حينما وقع أخيرًا ما لا مفر منه. تجاوزت الساعة الخامسة مساءً، فنتأهَّب لإغلاق المحل حتى أذهب لآخذ إيميرسون من بيت أمي، حين يدخل رايل عبر الباب الأمامي.

يتصاعد الاضطراب في نفسي مثل حمم البركان.

ليست لوسي ممن يروقهم رايل كثيرًا، لهذا تتأفَّف بصوت مكتوم حين تراه يدخل المحل وتقول:

- سأعود إليكِ إذا احتجتِني.

- لوسي، انتظري.

هكذا أهمس إليها سريعًا، وأنظر في الهاتف كأنني مشغولةٌ بشيء ما حتى لا يلاحظ رايل شفتيَّ وأنا أهمس بكلمة «انتظري».

أنظر إليها حتى تُدرك القلق الذي يجيش في نفسي، فتومئ متفهمةً وتبحث عن شيء تُلهي نفسها به حتى تبدو مشغولة.

قلبي يطرق داخل صدري مع اقتراب رايل، لا أحاول إخفاء توتري خلف أي تعبير مُصطنَع حين أنظر له في عينيه.

https://t.me/fantazynov

يُحدِّق في عينيَّ لثوانٍ قبل أن يحدج لوسي بنظرة غير مُرحِّبة، ثم يومئ برأسه نحو غرفة المكتب قائلًا:

- هل نستطيع أن نتحدَّث قليلًا؟

- كنتُ على وشك الذهاب، (تخرج كلماتي سريعة وحاسمة) عليَّ أن أُحضِر ابنتَنا.

أرى يده اليسرى تقبض على حافة الكاونتر، يعتصرها، فتتوتَّر عضلات ذراعه.

- من فضلك، لن نستغرق وقتًا طويلًا.

- (أُخاطب لوسي) انتظريني حتى نُغلق المحل معًا.

تُطمئنني بإيماءة من رأسها، فأستدير متجهةً إلى المكتب. أسمع خطواته خلفي تمامًا، فأعقِد ذراعيَّ أمام صدري وآخذ نَفَسًا عميقًا تأهُّبًا لمواجهته.

ندمه يثير اشمئزازي، أرغب في مسح هذه التقطيبة المرسومة على وجهه؛ إني غاضبة بشدة.

- إني آسف. (يُمرِّر أصابعه في شعره ويقترب) شربتُ كثيرًا ليلة أمس في إحدى المناسبات..

أتذرَّع بالصمت.

- حتي إنني لا أتذكَّر كيف أرسلتُ هذه الرسائل يا لِيلِي.

أبقى صامتة، فيتململ في وقفته متحفِّزًا لغضبي الصامت. يضع يديه في جيبَيه ويرنو إلى قدمَيه ويقول:

- هل أخبرتِ أليسا؟

لا أجاوب سؤاله الذي يزيد من غضبي. هل هو قلِق على صورته أمام أخته أكثر من قلقه على الضرر الذي سببه لي؟

- لا، لكنني أخبرتُ المحامية.

هكذا أقول كاذبةً، غير أنها ستصير الحقيقة فور مغادرته لهذا المكان. من الآن فصاعدًا سأسجِّل كل ما يفعله بي. أطلس على حق، إذ يبدو موقف رايل مثاليًّا جدًّا على الورق، وفي حال ما إذا استمرَّ في تصرفاته المؤذية، فعليَّ أن أحمي نفسي أنا وإيميرسون.

تدنو عيناه من عينيَّ ببطء، ويقول:

- ماذا فعلتِ؟

- أرسلتُ رسائلك إلى المحامية.

- ولماذا تفعلين ذلك؟

- حقًّا؟ أأنت جادٌّ في استفسارك؟ تُثبِّتني في الباب يوم الأحد الماضي، ثم تُرسل لي بتهديداتك في منتصف الليل.. أنا لا أستحق منك كل ذلك يا رايل!

يسحب يديه من جيبيه ويستدير موليًا ظهره إليَّ وهو يعتصر عُنُقه من الخلف. يشُدُّ ظهره ويتنفَّس بعمق، ويكتم هذا النفَس فيما يَعُدُّ محاولة للسيطرة على غضبه الآخذ في التصاعد.

كلانا يعرف طرُق الآخر وكيف كان يستعملها في السابق.

حين يستدير عائدًا إليَّ يكون الندم قد زال أثرُه تمامًا. يقول:

- ألا تُلاحظين تصرفاتكِ المتكررة؟ هل أنتِ عمياء لهذه الدرجة كي لا تلحظي التكرارات؟

https://t.me/fantazynov

أوه.. إني ألاحظ التكرارات بكل وضوح، لكن يبدو أننا ننظر في ناحيتين مختلفتين.

- مضَت أمورنا على نحو جيد لمدة سنة يا لِيلِي. لم تواجهنا مشكلة واحدة حتى عاد هذا الشخص إلى الظهور. الآن نتشاجر طوال الوقت، وتريدين أن تُقحِمي المحامين!

يبدو كأنه يُريد أن يلكم الهواء الذي يفصلنا..

- كفاكَ إلقاءً للَّوْم على الآخرين يا رايل!

- كفاكِ أنتِ إغفالًا للعامل اللعين المشترك في جميع مشاكلنا، يا *لِيلِي*!

تظهر لوسي في فتحة الباب. تنقل عينيها بيني وبين رايل ثم تقول لي:

- هل أنتِ بخير؟

فيُطلق رايل ضحكة مُحنقة ويقول في غضب:

- إنها بخير.

ويمضي صوب الباب فتُضطر لوسي إلى إلصاق جسدها في إطار الباب كي لا يصطدم بها.

أسمعه يُتمتم قائلًا:

- محامية لعينة.. دعيني أُحزِّر مَن صاحب هذه الفكرة!

يتوجَّه رايل نحو الباب كأنه في مهمة عاجلة، فيما نخرج أنا ولوسي من المكتب وفي ذهننا نفس الهدف، أن نُحكِم غَلْقَ الباب فور خروجه من المحل.

حين يصل رايل إلى بوابة المبنى يستدير ويرشقني بنظرة نارية ويقول:

- أنا جرَّاح أعصاب، بينما أنتِ تعملين في *الزهوريا لِيلِي*. تذكَّري ذلك قبل أن تقوم مُحاميتكِ بأي تصرُّف أخرق يُهدِّد وظيفتي. وتذكَّري أنني أدفع إيجار الشقة اللعينة التي تعيشين فيها.

يكتمل تهديده بحركة يده وهو يصفق الباب خارجًا.

تقوم لوسي بإيصاد الباب بعد مغادرته لأني أقف في جمودٍ من صدمة الإهانة الأخيرة. تدنو مني وتضمُّني في تعاطُف.

أُدرك عند هذه اللحظة أن أصعب ما في إنهاء علاقة مدمرة أنك لا تضع النهاية للحظات السيئة، بل إن هذه اللحظات تنظر إليك بوجوهها البشعة بين الحين والآخر. حينما تُنهي علاقة مدمرة فإنك تضع النهاية للحظات السعيدة فقط.

أثناء زواجنا، كانت اللحظات المفزعة تتوارى خلف ستار لحظات كثيرة جيدة، أما الآن وقد انتهى زواجنا فقد أُزيحَ الستار فلم يبقَ لي إلا الجانب الأسوأ منه. كان زواجنا أشبه بهيكل عظمي مكسو باللحم والجلد الطري، الآن لا يتبقى منه إلا العظام، بقسوتها وحِدَّتها التي تخترقني مباشرةً.

- هل أنتِ بخير؟

هكذا تسألني لوسي وهي تُمشِّط شعري بأصابعها، فأهزُّ رأسي قائلةً:

- نعم، لكن.. هل بدا عازمًا على شيء وهو يُغادر المكان؟ يبدو كأنه ذاهب لمكان آخر؟

تحدق عينيها في الباب وهي تقول:

- نعم، لقد خرج من موقف السيارات بسرعة رهيبة، ربما عليكِ أن تُحذِّري أطلس.

فأُمسك بالهاتف وأتصل به على الفور.

الفصل السابع والعشرون

أطلس

مضت نصف ساعة فقط منذ تركتُ هاتفي، لذلك أستغرب حين أجد العديد من المكالمات الفائتة من لِيلِي ومعها ثلاث رسائل.

أرجو أن تتصل بي.

أنا بخير لكن رايل غاضب.

هل ذهب إليك؟ أطلس، اتصل بي أرجوك.

اللعنة.

- دارين، هل يُمكنك أن تعمل مكاني؟

يتحرك دارين ليُنهي تلميع الأطباق بدلًا مني، وأتجه مباشرةً لغرفة مكتبي حتى أتصل بها. تتحوَّل المكالمة مباشرةً للبريد الصوتي. أحاول مرة أخرى؛ لا فائدة.

أتأهَّب للذهاب إلى السيارة حين يرنُّ الهاتف أخيرًا، أردُّ على الفور:

- هل أنتِ بخير؟

- أنا بخير.

أتوقَّف عن السعي تجاه الباب وأستند بكتفي إلى الحائط. أُطلِق سراح أنفاسي ويستعيد نبضي معدله الطبيعي.

الأصوات من حولها تُنبئ بأنها تقود السيارة، تقول:

- إني ذاهبة لآخذ إيمي من بيت أمي. أردتُ فقط أن أحذِّرك من أنه غاضب، وأني أخشى أن يذهب إليك.

- شكرًا على التحذير. هل أنتِ واثقة من أنكِ بخير؟

- نعم. اتصل بي حين تعود إلى البيت، أيًّا كان موعد عودتك.

يندفع رايل عبر باب المطبخ في منتصف الجُملة. يُحدِث ما يكفي من الضجيج لتنبيه جميع الموجودين وتوقيفهم عما يعملون. يظهر ديريك، رئيس النُّدُل، خلف رايل تمامًا وهو يقول له:

- قلتُ لك سأُناديه!

وينظر إليَّ رافعًا يدَيه في استجداء حتى أفهم أنه حاول مَنْعَ هذا الاقتحام.

أقول:

- سأتصل بكِ في طريقي إلى البيت.

لا أُخبِرها بقدوم رايل، لا أريد إقلاقها بشأني، أُنهي المكالمة في اللحظة التي تَحُطُّ فيها عينا رايل عليَّ.

لا أظنُّه جاء لأجل تهنئتي على المطعم.

يسألني دارين:

- مَن هذا؟

فأقول:

- أكبر المشجِّعين.

وأومئ برأسي صوب الباب الخلفي حتى يتبعني رايل في هذا الاتجاه.

تعود جَلَبَة العمل ثانيةً في أرجاء المطعم ولا يعبأ أحد باقتحام رايل، بخلاف دارين، فهو الوحيد الذي يقول:

- هل تحتاج مني أي شيء؟

- سأكون بخير.

أقولها هازًّا رأسي في تأكيد، فيدفع رايل الباب الخلفي بعنف شديد فيصفع الحائط من الخارج.

إنه شخص غريب الأطوار فعلًا. أذهب وراءه، لكن حالما أفتح الباب وأخطو فوق الدرج الخلفي يُهرَع نحوي رايل ويُطيح بي من فوق الدرج، وفيما أحاول النهوض يلكمني لكمةً توقعني من جديد.

يا لها من لكمة جيدة، أعترف له بذلك.

اللعنة.

أمسح جانب فمي وأنهض واقفًا، شاكرًا له أن تَرَك لي المجال حتى أنهض في سلام. ليس من العدالة أن يكون الشخص مقعيًّا على الأرض حين يُشرَع في لَكْمِه، لكن رايل ليس من النوع الذي يعبأ كثيرًا بعدالة المنافسة.

يوشك على ضربي من جديد، لكنني أتراجع خطوة إلى الوراء فيختل توازنه. يدفع نفسه للنهوض سريعًا ويُحدِّق إليَّ واقفًا على قدمَيه

ينفث الدخان. لا يبدو عليه الرغبة في الهجوم في هذه اللحظة، فأُبادره قائلًا:

- هل انتهيت؟

لا يرُدّ، ولا أظنه سيُقدِم على لكمي من جديد. يُهندم قميصه ويقول مبتسمًا:

- استمتعتُ أكثر في المرة السابقة حين ردَدْتَ لي الهجوم.

- ليس لي رغبة في مصارعتك.

يُطقطِق عنقه ويقف في تحفُّز، ويتميَّز غضبًا لدرجة تجعلني أتساءل كيف كانت لِيلِي تتعامل مع مثل هذا الغضب. نَفَسُه ثقيل ويداه معقوفتان حول جانبيه، وعيناه ترشقاني مثل السكاكين. لا أرى الغضب فقط في ملامحه، بل ألمًا هائلًا يفوق احتماله.

أُحاول أحيانًا أن أضع نفسي في مكانه وأتفهَّم موقفه، لكن يبقى مستحيلًا أن أجد مبررًا كافيًا للتسامح مع تصرفاته، فليس ثمة إنسان له من الماضي الأليم ما يُبرر له ضَرْبَ الشخص الذي يُفترَض أن يحميه.

- هيَّا، قُل لي ما حملتَ نفسك إلى هنا لكي تقوله.

يمسح رايل الدم الذي تفصَّد من براجم يده[1] في طرف قميصه، فألاحظ أن كفه قد تورَّمَت. يبدو أنه كان يسدد اللكمات لشيء ما قبل مجيئه إلى هنا. من الجيد أن لِيلِي بخير، وإلا ما تركتُه يخرج من هنا في الحالة السليمة التي جاء عليها. يقول:

(1) البراجم: مفاصل الأصابع

https://t.me/fantazynov

- أتظنني لا أعرف أنك صاحب فكرة إبلاغ المحامية؟

أحاول إخفاء دهشتي، فليس لديَّ أدنى فكرة عما يقوله. هل تحدَّثَت مع محامٍ عن مشكلتها؟ أُمسِك نفسي عن الابتسام، فالابتسامة من شأنها أن تستعدي رايل، وأنا أستعديه بما يكفي بمجرد وجودي في محيطه.

صمتي يثير حنقه بشدة، يتقلَّص وجهه في غضب وهو يقول:

- تستطيع أن تخدعها الآن، لكن حتمًا ستأتي أول مشاجرة، ثم تليها الثانية، ثم تكتشف أن الزواج ليس ملوَّنًا بألوان قوس قزح لعينة طوال الوقت.

- قد أختلف معها مليون مرة، لكنني أعدك ألا تنتهي أيٌّ منها بدخولها المستشفى.

يضحك رايل؛ يُحاول أن يقلب الموضوع حتى يُبدي موقفي سخيفًا، مع أنني لستُ الشخص الذي اقتحم مكان عمل لمجرد أني لا أتحكَّم في أعصابي. يقول:

- أنت لا تملك أدنى فكرة عما مررنا به أنا ولِيلِي، ولا أدنى فكرة عما عانَيْتُه أنا.

كأنه حضر إلى هنا بهدف الشجار فلم أُنوِّلْهُ ما يريد، فإذا به يتحوَّل إلى التنفيس عما يعتمل بداخله. قد يكون الأصوب أن أعطيه رقم ثيو ليتصل به. أشعر عند هذه النقطة بالتوهان التام!

لا أريد أن أعود بذاكرتي غدًا لهذه اللحظة فأراها كفرصةٍ ضائعة. هدفي الوحيد أن أجعل حياة لِيلِي مع هذا الرجل أكثر هدوءًا وسلامًا

https://t.me/fantazynov

مما هي عليه. آخر ما أريده أن تتخذ الأمور مجرى أكثر صعوبة لنا جميعًا. لكن حتى يستوعب رايل أنه الشخص الوحيد المسئول عن السيطرة على انفعالاته، سأظل حائرًا مثل لِيلِي في طريقة التعامل معه. أومئ إليه بهدوء:

- أرى أنك مُحِقٌّ يا رايل، فلستُ أملك أدنى فكرة عما مررتَ به.

أجلس على الدَّرَج حتى أعطيه انطباعًا بأني لا أُمثِّل أي تهديد عليه، لكن لو حاول مهاجمتي ثانيةً وأنا جالس على الدَّرَج فلن أتلقَّى هجومه بهدوء ورباطة جأش هذه المرة. أضُمُّ يديَّ معًا وأفعل كل ما بوسعي لكي أتحدَّث إليه بطريقةٍ يفهمها:

- أيًّا كان ما حدث في ماضيك فقد ساهم في جعلك جرَّاح أعصاب عظيمًا، والعالم يحتاج لهذا الجانب الرائع فيك. غير أن ماضيك نفسه -لسبب ما- جعل منك زوجًا سيئًا، والعالم لا يحتاج لهذا الجانب على الإطلاق. حصولنا على فرصة أن نكون شيئًا ما، لا يضمن أن نكون النسخة الأفضل من هذا الشيء. https://t.me/fantazynov

- (يدير عينيه بنفاد صبر) هذا وصفٌ دراميٌّ جدًّا.

- لقد رأيتهم يخِيطون جرحها يا رايل.. اصْحَ يا رجل، لقد كنتَ زوجًا فظيعًا بحق.

يحدق فيَّ لبرهة ثم يقول:

- ما الذي أقنعك بأنك ستكون أفضل مني حالًا؟

https://t.me/fantazynov

- لأن معاملتها بالطريقة التي تستحقها هو أسهل شيء في الحياة بالنسبة لي. أظنك سترتاح كثيرًا حين تكون لِيلِي مع شخص مثلي.

- (يضحك) أرتاح؟ تظن أنني *سأرتاح*؟

يخطو نحوي والغضب يتصاعد ثانيةً في قسمات وجهه، يُكمل قائلًا:

- *أنت* السبب في أننا لم نعُد معًا!

أستعين بكل قوتي حتى أبقى جالسًا في مكاني على الدَّرَج، وبكل صبري حتى لا أرُدُّ بالمثل على صياحه.. كأن أقول له: بل أنت السبب، كانت غضباتك وقبضاتك ما وصل بك لهذه النقطة. كنتُ مجرد شخص على معرفة بلِيلِي وهي معك، فتصرَّف بنضوج وكُفَّ عن إلقاء اللوم عليَّ وعلى لِيلِي، وعلى كل شخص آخر سواك.. أنهض واقفًا، لا لأضربه، بل لأُتيح لنفسي مجالًا للتنفُّس، فإن لم أفعل فلا أعرف حتى متى سأواصل الحديث دون أن أصيح به كما يفعل بي. من الصعب أن أنظر إليه وأحافظ على رزانتي، خاصة مع معرفتي بما فعله مع لِيلِي. أتمتم قائلًا:

- اللعنة.. يا للسُّخف.

نبقى أنا ورايل صامتَين لبرهة. ربما يُلاحظ أني بلغتُ الذروة فلم أعُد أسيطر على حنقي كما كنتُ قبل قليل. أستدير ناحيته وأنظر إليه بإشفاق، قائلًا:

- صارت هذه حياتنا الآن: حياتك، حياتي، حياة لِيلِي، وكذلك *ابنتك*. يجب علينا أن نتعامل مع هذه المعطيات الآن وإلى الأبد: الإجازات، أعياد الميلاد، حفلات التخرُّج، زفاف إيميرسون. ستكون كل مناسبة من هذه صعبة بالنسبة لك، غير أنك الشخص الوحيد القادر على جعلها لا تصعُب على الباقين، فلسنا مدينين لك بسعادتنا، *خصوصًا* لِيلِي.

يهزُّ رايل رأسه في اعتراض، يضرب الأرض كأنما يريد أن يمحو الأسفلت ويُعرِّي باطن الأرض، ويقول:

- ماذا تتوقع مني؟ أن أشجِّعكما على المُضيّ قُدُمًا في حياتكما معًا؟ أن أتمنى لكما السعادة والهناء؟ أن أوصيك بأن تكون أبًا جيدًا لابنتي؟ اللعنة!

يضحك من غرابة الفكرة، لكنني أحتفظ بوجهٍ جادٍ إزاء انفعالاته وأقول:

- نعم، هذا بالتحديد.

أظن أن ردَّ فعلي يهزُّه حتى النخاع. يتوقف ويضع يده على قفاه.

أتقدم خطوة في اتجاهه، بطريقة ليس فيها تهديد. لا أريد أن أصيح، أريده فقط أن يستشعر الصدق في ما أقول:

- مهما كنتُ واثقًا من قدرتي على إسعاد لِيلِي، فإن سعادتها لن تكتمل إلا بموافقتك وتعاونك. وأنت تُصعِّب عليها الأمور حتى الآن، مع أنك تُدرك جيدًا أنها تستحق حياةً أفضل. كلتاهما تستحق. لو أردت لابنتك أن تنشأ مع أفضل نموذج

من لِيلِي فإني أرجوك أن تُساعدها. وهذا ما يُمكن تحقيقه لو تكاتفنا معًا.

- (يحني رايل رقبته) هل صرنا *فريقًا* الآن؟

أكره طريقته في إبداء كل ما أقوله كأنه خارج عن إطار المعقول. أقول له:

- تكوين فريق هو الاحتمال المنطقي الوحيد في وجود أطفال.

تصفعه الجملة؛ أرى ذلك في جفوله ثم ابتلاعه لريقه في هدوء. يستدير في عكس اتجاهي ويتحرك خطوات وهو يحاول استيعاب ما قُلتُه لتوِّي، وحين يستدير عائدًا يبدو أقل تحفُّزًا للانتقاد.

- حين تتعقد الأمور بينكما وتحتاج لِيلِي لمكانٍ تلتجئ إليه، فلن أكون أنا مَن يُلملم الشظايا هذه المرة.

يُغادر رايل بعدما يُلقي بهذه الجملة، لا يعبر من خلال المطعم هذه المرة، بل يقطع الشارع الصغير متجهًا نحو الطريق العمومي.

أعجز عن عمل أي شيء سوى التحديق فيه بأسف حتى يغيب عن المشهد. إنه بالفعل لا يعرف أي شيء عن لِيلِي.

أي شيء على الإطلاق.

لِيلِي لا *تركض* إلى أحد بحثًا عن ملجأ، لم تركض خلفي حينما غادرتُ ماين، ولا ركضَتْ إليَّ حين تركَتْ رايل. بل صبَّت تركيزها على كونها أمًّا، ومع ذلك فهذا ما يتصوَّره عنها لو فشلَتْ الأمور بيننا؛ أن *تركض* إليه كأنه ملجأها الوحيد!

إيميرسون هي ملجأها الحقيقي ولو كان لا يستطيع إدراك ذلك حتى الآن فهو غافل بحق.

لو استمرَّت معه لِيلِي، لكان قد أمضى حياتهما معًا في اختراع أسبابٍ لتبرير غضبه غير المحسوب، فلم أكُن ذات يوم سببًا في فشل زواجه منها.

لقد تصوَّرتُ أني متعاطف معه، لكني أدرك الآن أنه يُحارب لأجل امرأةٍ لا يعرف عنها أي شيء، لذا فهو يتشاجر لأجل الشجار فقط. له شخصية قريبة جدًّا من شخصية أمي، وأحيانًا تكون عيوب هذه الشخصية بلا علاج؛ عليكَ أن تعرف كيف تتعايش معها فحسب.

ربما علينا أنا ولِيلِي أن نتعلَّم ذلك؛ أن نعيش حياتنا بأفضل طريقة ممكنة مع وجود رايل، وإن اضطُرِرنا بين الحين والآخر إلى التعامل مع انفعالاته السخيفة.

حسنًا، أستطيع أن أعبر فوق هذا الخراء كل يوم، ما دام يعني ذلك أن أكون الشخص الوحيد الذي يسقط في النوم بجانبها كل ليلة.

أرتقي الدَّرَج وأعود إلى جلبة المطبخ، وأنهمك في العمل مباشرةً كأنه لم يجئ من الأساس. لا أدري إن كان تعاملي معه اليوم قد حَسَّنَ من حالته قليلًا، لكني واثق من أني لم أجعلها تسوء.

يُناولني دارين قطعة قماش مبتلة ويقول:

- أنت تنزف.

يُشير إلى الجانب الأيسر من فمي فأكبس القماشة عليه. يسألني دارين:

- هل هو طليقها؟

https://t.me/fantazynov

- نعم.

- الأمور على ما يُرام الآن؟

- (أهزُّ كتفي) لستُ أدري، قد يُجَنُّ من جديد فيعود. اللعنة، قد يطول هذا لسنوات!

أنظر إلى دارين وأقول مبتسمًا:

- لكنها تستحق.

***

بعد ثلاث ساعات أطرق بخفةٍ باب شقة لِيلِي. راسلتُها حتى أُخبرها بقدومي، إذ أحسب أنها قد تحتاج لحُضنٍ عابر آخر.

حين تفتح الباب أتأكَّد من أن هذا ما تحتاجه بالفعل، وما أحتاجه أنا كذلك. وحالما ندخل غرفة المعيشة تلفُّ ذراعيها حول خصري فأُطوِّقها من كل جانب، ونبقى متعانقين لدقائق.

وحالما ترفع وجهها إليَّ يتباعد حاجباها في ذهول وهي تلمح القَطْعَ في جانب شفتي، وتقول:

- حقًّا إنه أحمق عديم النُّضج.. هل وضعتَ ثلجًا فوقها؟

- سأكون بخير، لم تتورَّم من الأساس.

تشُبُّ لِيلِي على أصابع قدمَيها وتطبع قُبلة على الجرح، وتقول:

- احكِ لي كيف حدث هذا؟

نجلس على الكنبة وأُحاول أن أتذكَّر جميع ما قُلناه، وتسقط مني بعض العبارات بطبيعة الحال. أنهي حديثي وهي تستند إلى جانب

الكنبة وتفرد ساقها فوق حِجْري، تُنصِت لي بتركيز وتُمرِّر أصابعها عبر خصلات شعري.

تصمت لمدة طويلة، وتنظر لي بعذوبة تذوب فوقي حتى تغمرني وهي تقول:

- أنت الشخص الوحيد فوق هذا الكوكب الذي يستطيع أن يتلقَّى لكمة من غريمه ثم يُسدي إليه النُّصح.

وقبل أن أُجيب، ترتقي حِجْري وتُقرب وجهها من وجهي وتُكمِل قائلةً:

- لا تقلق، أجد في ما فعلتَه جاذبيةً أكبر بكثير مما لو كنت رددتَ إليه الاعتداء.

أُطوِّقها بذراعي مُستغربًا مزاجها الرائق. ظننتُ أن هذه الأحداث ستكون ثقيلة على نفْسها، أما الآن فأرى أن ما توصَّلنا إليه هو أفضل نتيجة ممكنة. رايل يعرف أننا معًا، وقد وجدتُ الفرصة لكي أُفصح إليه عمل لديَّ، ونخرج جميعًا من كل ذلك دون خسائر حقيقية.

- لا يمكنني البقاء طويلًا، لكن يُمكنني أن أمُدَّ هذا الحضن لربع ساعة أخرى قبل أن يلحظ جوش تأخُّري.

- (ترفع حاجبها) حين تقول «حُضن»، هل تعني...

- أعني أن تتجرَّدي من ملابسكِ حالًا، فقد صار الوقت الباقي أربع عشرة دقيقة!

أدفعها حتى ترقد على ظهرها وأشرع في تقبيلها فلا نتوقف لأربع عشرة دقيقة كاملة، تمتدُّ لسبعة عشر، ثم عشرين.

تمضي ثلاثون دقيقة قبل أن أخرج أخيرًا من شقتها.

الفصل الثامن والعشرون

لِيلي

يتفتَق عقل أليسا عن فكرة ألمعيَّة، وهي أن نضعهم على الأرض فوق طبقةٍ من أكياس الزبالة حتى يسهل تنظيفها فيما بعد؛ إيميرسون وابنة عمَّتها رايلي، كلتاهما مغطاة بالكيك الآن.

ليس لدى إيمي أدنى فكرة عما يحدث، غير أنها تستمتع به تمامًا. توصَّلنا أخيرًا لأن نُقيم لها حفلًا صِغيرًا في بيت أليسا. أمي تحضر الحفل معنا، ووالد رايل ووالدته، ومارشال وأليسا.

حضر رايل أيضًا، لكنه على وشك الذهاب. يلتقط صورتين على هاتفه قبل أن يُعطي البنتين قُبلة وداع سريعة.

سمعته يقول لمارشال إن يومه كان مضغوطًا بكَمٍّ هائل من الأشغال، وبرغم ذلك حرص على المجيء إلى الحفل. فرحتُ بمجيئه قبل فتح الهدايا وبقائه حتى انتهينا من دَكِّ كيكة عيد الميلاد. سيعني هذا الكثير بالنسبة لإيمي ذات يوم حين تشاهد الصور.

لم نتكلم طوال وجوده هنا، تحركنا في نفس المحيط مُدَّعين أمام الجميع أن الأمور على ما يُرام، لكن رايل ليس قط على ما يرام. أستطيع أن ألتقط الشدَّ العصبي الذي يُشعُّ منه من موقعي على الجهة

المقابلة من غرفة المعيشة. غير أن تجاهُلَه لي أفضل كثيرًا من لومه؛ سأختار معاملته الصامتة على أي معاملة أخرى شهِدتُها معه.

للأسف، لا تستمر المعاملة الصامتة طويلًا. ينظر رايل في عينيَّ لأول مرة اليوم. لقد وقعتُ في خطأ الوقوف بمفردي، لذا ينتهز الفرصة فيقطع المسافة التي تفصلنا ويقف إلى جواري. أتصلَّب في وقفتي، فليس لي رغبة الآن في أيٍّ من هذا. لم نتحدَّث معًا منذ أهانني قبل أسبوع أثناء خروجه من محل الزهور. أدرك أنه يتوجَّب علينا أن نتناقش معًا، غير أن عيد ميلاد ابنتنا ليس المكان ولا الوقت المناسب.

يُدخل يديه في جيبيه ويلصِق ذقنه في صدره مُحدِّقًا أسفل قدمَيه، ويقول:

- ماذا قالت لكِ المحامية؟

يتصاعد الغضب في صدري، وأحدجه بجانب عيني هازَّةً رأسي وأنا أقول:

- لن نناقش هذا الآن.

- متى إذًا؟

لا يتعلَّق الأمر بسؤال متى، بل سؤال مع مَن؟ لأنني لن أناقش أبدًا أي شيء على انفراد، فقد أثبت لي أنني لستُ في مأمَن حين ينفرد بي، لذلك فقد انتهى هذا الامتياز إلى الأبد. أقول له:

- سأراسلك على الهاتف.

وأمضي بعيدًا تاركَةً رايل واقفًا وحيدًا. أمي تمسح الكيك عن وجه إيمي ويديها، أتوجَّه إليهما فتستوقفني أليسا وتجذبني نحو ركن الصالة لتقول:

- دعينا نتكلم.

أتبعها إلى غرفتها حيث أجدها تجلس على السرير.

لا تأخذني إلى غرفتها إلا حين تريد مواجهتي بشيء ما، ودائمًا ما يكون اختيارها للتوقيت مثاليًّا جدًّا. أُدير عينيَّ فور دخولي الغرفة، ثم أجلس بجوارها على السرير، أقول:

- ما الذي تُريدين معرفته؟

مَرَّ أسبوعان منذ انفردَت إحدانا بالأخرى، لا بد أن هناك الكثير مما ترغب في الاستفسار عنه بخصوص حياتي، فقد وقع الكثير من الأحداث بالفعل.

ترتمي أليسا على السرير قائلةً:

- أنتِ ورايل لستما على ما يُرام.

- هل هذا واضح؟

- واضح تمامًا بالنسبة لي. هل أنتِ بخير؟

أُفكِّر طويلًا وعميقًا في هذا السؤال.. *هل أنتِ بخير؟* لطالما اختبأتُ من هذا السؤال لأنني لم أكن بخير. حتى بعد شهور من ميلاد إيميرسون حين كنتُ أُسأَل هذا السؤال، كنتُ أضع على وجهي ابتسامة مُفتعلة بينما أرتجف من الداخل.

هذه المرة الأولى التي أقولها بلا كذب:

https://t.me/fantazynov

- نعم، أنا بخير.

ترمقني أليسا في صمت، ثمة توكيد ما في تعبير وجهها يوحي بأنها تُصدقني هذه المرة. تتناول يدي وتجذبني حتى أستلقي بجوارها على السرير، تشبك ذراعينا معًا ونظلُّ محدِّقتَين في السقف، مُستمتعتَين بلحظةٍ من الصمت في البيت المليء بالناس.

أنا سعيدة لأن أليسا لا تزال معي. كان قلبي سيُكسَر حتمًا لو أنني خسرتُها بسبب الطلاق من أخيها، وهذا ما يُشعرني بالامتنان لتسامُحها وإيجابيتها الشديدين.

كنتُ أتمنى لو أنني أستطيع أن أقول الشيء نفسه لأخيها، أشعر أحيانًا أن رايل مسكونٌ بوَحْشٍ يبحث حثيثًا عن سبب للشعور بالإهانة. جانبه المظلم يتغذَّى على الشعور بالمأساة، وإن لم يمنحه أحد ما يحتاجه فإنه يختَلِقه اختلاقًا. غير أنني لا أستطيع الاستمرار في هذه اللعبة. أعرف أن نواياي كانت سليمةً يوم تزوَّجتُ رايل، مهما حاول أن يُثبت أن تهيُّؤاته صادقة حتى يبرر تصرُّفاته.

- كيف تمضي الأحوال مع أدونيس؟

- (أضحك) تقصدين أطلس؟

- قلتُ ما قصدْت، أدونيس، الإله الإغريقي الجميل الذي تُحبينه.

- (أضحك ثانيةً) ألم يكُن أدونيس نتيجة زنى المحارم؟

- (تلطمني أليسا) كفاكِ انحرافًا، كيف تمضي الأمور بينكما؟

أستدير لأستلقي فوق بطني وأتكئ على مِرفقيَّ وأقول:

https://t.me/fantazynov

- جيدة، حين نحصل على الفرصة لقضاء الوقت معًا. لا يفتح مطعمه حتى أغلق محل الزهور، لذا لم نقضِ ليلة كاملة معًا إلى الآن.

- وماذا يفعل أطلس الآن؟ يعمل؟

أومئ بالإيجاب فتقول:

- اسأليه لو كان باستطاعته أن يُغادر اليوم مبكرًا، وسأُبقي إيميرسون معي الليلة.

تُبحلق عيناي استجابةً لعَرْضها، وأقول:

- هل أنتِ جادة؟

تنهض أليسا من السرير وتقول:

- رايلي تستمتع كثيرًا حين تبيت معها إيميرسون. اذهبي واقضي الليلة مع أدونيسكِ.

***

لم أُراسل أطلس حتى أُخبره بأنني في الطريق إلى كوريجانز. كان قد أخبرني بأنه يعمل هذه الليلة هناك، وتصوَّرتُ أنه سيسعد لو فاجأتُه بحضوري، لكني حين أدلف من الباب المُفضي إلى المطبخ أُذهَل من عجلة العمل الدائرة بداخله؛ لا ينتبه إليَّ أحد ولا يسمع صوتي أحد، فأنظر في كل اتجاه حتى تقع عيناي عليه.

يتفحَّص أطلس جميع الأطباق فيما يتناولها ويضعها على صواني التقديم، قبل أن يحملها النُّدُل ويختفون بها عبر الباب المزدوج المفضي لصالة المطعم. هذا المكان أكثر فخامةً من بيبز، على الرغم

https://t.me/fantazynov

من إعجابي بفخامة بيبز. جميع النُّدُل يرتدون الثياب الكلاسيكية، أما أطلس فيرتدي معطف الطهاة الأبيض مثله مثل طاهيين آخرين في المطبخ.

تجعلني عجلة العمل الدائرة هنا بدأب شديد أتساءل إن كان صوابًا أن آتي الآن. أحدس بأنني سأُعيق الطريق لو سرتُ إليه الآن، ما يجعلني أشعر بغرابة قدومي إليه دون سابق اتفاق.

ألاحظ وجود دارين في نفس اللحظة التي يراني فيها، يبتسم لي ويومئ برأسه تحيةً ثم يُنبِّه أطلس لوجودي. يخطو في اتجاهي، فيستدير أطلس ويراني واقفةً في المطبخ فتُضيء عيناه للحظةٍ عابرة سرعان ما تخبو، فحقيقة أني هنا تُحوِّل حماسه اللحظي لقلقٍ عليَّ. يتقدَّم نحوي في خط مستقيم مارًّا بمحاذاة نادل عائد إلى المطبخ بصينية تقديمٍ فارغة.

- مرحبًا، هل جميع أمورك بخير؟
- بخير، قررَتْ أليسا أن تُبقي إيمي عندها الليلة، ففكَّرتُ في المرور عليك.

يبتسم أطلس في حبور وتفاؤل، ويقول:

- هل تُبقيها لليلة كاملة؟

وتظهر في عينيه لمعة مغازلة، فأومئ بالإيجاب.

يصيح أحدهم من خلفي:

- حاذر خلفك!

حاذر خلفك؟ تتسع عيناي دهشةً حين يسحبنا أطلس جانبًا ليُفسِح الطريق لنادلٍ يحمل صينية تقديم. يقول:

- هذه لغة المطابخ، ومعناها أنكِ تسدِّين الطريق أمام الطعام الساخن.

- أوه!

يضحك أطلس، ثم ينظر وراءه إلى الأطباق التي خَلَّفها دون أن يتفحَّصها جيدًا.

- أتمنحينني عشرين دقيقة حتى أفرغ من العمل؟

- بالطبع، لم آتِ إلى هنا لأطلب منك أن تُغادر مبكرًا. فكرتُ أن أتابعك فقط أثناء عملك؛ إنه لشيء ممتع.

يُشير أطلس إلى كاونتر معدني ويقول:

- اجلسي هناك، فهذا أفضل مكان تكشفين منه ما يجري في المطبخ دون أن تكوني عُرضةً للارتطام. تجري الأمور هنا بإيقاع أسرع من المعتاد. سأنتهي سريعًا.

ويرفع ذقني لأعلى وهو ينحني ويُقبلني قبل أن يعود لما كان عليه قبل وصولي.

أجلس مُتربعةً فوق الكاونتر حتى أُخلي الطريق تمامًا فلا أُعيق حركة العاملين. ألاحظ بعضهم يسترقون إليَّ النظرات، ما يجعلني أشعر بعدم الارتياح قليلًا. من بين كل مَن يعملون هنا الآن، لا أعرف سوى دارين، أما الباقون فليس لديَّ أدنى فكرة عنهم. أتساءل ماذا

يقولون عن الفتاة العابرة التي قَبَّلَها أطلس، والتي تتابعهم الآن فيما يعملون.

لا أعرف إن كان أطلس يستقبل النساء عادةً في مكان عمله، لكن حدسي يُخبرني بأنه لا يفعل ذلك فالكل ينظر نحوي كأن شيئًا عجيبًا يحدث أمامهم.

يجيء دارين ويُرحب بي حالما يجد الفرصة، يُعانقني بعُجالةٍ وهو يقول:

- يُسعدني أني أراكِ ثانيةً يا لِيلِي، ألا زلتِ تطاردين لاعبي البوكر المتواضعين؟

أضحك قائلةً:

- توقَّفتُ منذ مدة، ألا زلتم تلتقون هنا للعب البوكر؟

يهزُّ رأسه نافيًا ويقول:

- لا، صرنا مشغولين الآن بالمطعمين اللذين يملكهما أطلس، فصار من الصعب أن نوجِد ليلة نلتقي فيها جميعًا.

- هذا مؤسف، هل تعمل هنا الآن؟

- ليس رسميًّا. أراد أطلس أن يجرِّبني في قائمة الطعام الذي يُقدَّم هنا؛ إنه يُفكر في ترقيتي لرئيس الطهاة. (ينحني مُبتسمًا) قال إنه بحاجة لأوقات فراغ أطول، وأظنني أعرف السبب الآن.

يُلقي دارين بخرقة فوق كتفه ويُكمل قائلًا:

- لقد سعِدتُ بلقائكِ.. يبدو أنكِ ستظهرين هنا كثيرًا.

ويغمز بعينيه قبل ذهابه.

تتقلَّب معدتي من السعادة حين أعرف أن أطلس يُحاول أن يُفرِّغ لي المزيد من الوقت.

أقضي ربع الساعة التالية في صمتٍ أشاهد أطلس وهو يعمل. بين الحين والآخر يسترق النظر إليَّ ويُهديني ابتسامةً دافئة، لكن يظل تركيزه منصبًّا على عمله أكثر الوقت؛ يسحرني بحماسه في العمل وثقته بنفسه.

لا يبدو أن أحدًا يخشاه أثناء العمل، لكنهم جميعًا يحتاجون لمشورته. يتلقى أسئلتهم طوال الوقت فيُجيب على كل منهم بصبر، وفيما بين إسداء النصائح والتوجيهات هناك الكثير من الصياح، ليس من نوع التصايح الذي أتوقع حدوثه في قلب المطبخ، بل أن يصيح أشخاص بطلبات رُوَّاد المطعم فيرُدُّ الطهاة بتلقِّيهم الطلبات. ثمة جلبة وزحام، لكنها تخلق جوًّا محفِّزًا للجميع.

لم أكن أتوقع شيئًا من هذا بكل صدق. توقعتُ أن أشاهد جانبًا مُغايرًا تمامًا من شخصية أطلس، كأن يصيح بالأوامر بنبرةٍ غاضبة ويتصرَّف مثل جميع الطهاة الذين شاهدتهم في التلفزيون. غير أن ما توقعته يُخالف كثيرًا ما أراه ماثلًا أمامي في قلب المطبخ.

وبعد نصف ساعة مفعمة بالحماس، يترك أطلس مكانه ويغسل يديه قبل أن يدنو من مكان جلوسي فوق الكاونتر. تتقلص معدتي حماسًا حين يميل إلى الأمام ويطبع فمه فوق فمي، كأنه لا يعبأ بوجود كل هؤلاء حولنا، يقول:

- أعتذر عن التأخير.

https://t.me/fantazynov

- لقد استمتعت، لقد خالفتَ توقعاتي.
- كيف ذلك؟
- تصوَّرتُ أن جميع الطهاة حمقى يصرخون فيمَن يعملون معهم.
- (يضحك) لا يوجد حمقى في هذا المطبخ، أعتذر عن إحباطكِ.

يفرد ساقيَّ حتى يقف فيما بينهما ويقول:

- حزِّري ماذا حدث؟
- ماذا؟
- سيبيتُ جوش الليلة عند ثيو.

أمسك بضحكة تكاد تُفلت مني، أقول:

- أيُّ صدفة رائعة!

يغمرني أطلس بنظراته ثم يميل برأسه عليَّ ضاغطًا بشفتيه فوق أذُني قائلًا:

- بيتكِ أم بيتي؟
- بيتك، أريد أن أنام في سريرٍ يفوح برائحتك.

يعض أذُني، فتغمر البرودة عنقي، ثم يمسك بيديَّ ويساعدني على النزول من فوق الكاونتر. يُوجِّه انتباهه لشخص عابر من جوارنا ويقول:

- مهلًا، هل بإمكانكَ أن تتولَّى المكان؟

فيجيبه الشخص:

- تستطيع أن تراهن عليَّ.

فيعود إليَّ قائلًا:

- سألتقيكِ في منزلي.

***

مررتُ بشقتي قبل الذهاب إلى المطعم وجهَّزتُ حقيبة للمبيت تحَسُّبًا لهذا الموقف، لذلك أسبقه إلى بيته. وها أنا أنتظره في السيارة وأُزجِّي الوقت بمراسلة أليسا.

- *هل نامَتْ بسهولة؟*

- *كل شيء على ما يُرام. كيف تمضي ليلتُك؟*

- *على ما يُرام، أيضًا ؛).*

- *استمتعي.. أنتظر تقريرًا كاملًا.*

تسطع أنوار سيارة أطلس وهو يدخل موقف السيارات. يفتح الباب المجاور لي وأنا لا أزال أُلمِلم حاجياتي استعدادًا للنزول، وحالما أنزل يُخلِّل أطلس يده قليلة الصبر في شعري ويُقبِّلني. إنها قُبلة من النوع الذي يصرخ قائلًا: *إني مشتاق لتقبيلكِ.*

وحين يتراجع خطوة إلى الخلف، يتفحَّص وجهي بابتسامة رقيقة قائلًا:

- أحببتُ مشاهدتكِ لي وأنا أعمل في المطبخ قبل قليل.

تنتابني رعشة مفاجئة، أقول:

- أحب مشاهدتك.

https://t.me/fantazynov

ولا أستطيع كَبْحَ الابتسامة التي تغمر وجهي وأنا أقولها. أحمل حقيبتي من المقعد المجاور فيحملها عني أطلس ويرفعها فوق كتفه. أتبعه عبر موقف السيارات. لا يزال لديه بعض الكراتين المرصوصة بمحاذاة جدار الجراجٍ منذ انتقل لهذا البيت، وبجوارها مقعد لرفع الأوزان لا يزال مفككًا على الأرض، كما توجد سلَّتان مليئتان بالغسيل أمام غسالة الملابس والمجفف.

من المريح أن أطَّلع على جانبٍ من الفوضى التي تسكن في جراجه، فقد كنتُ على وشك أن أتصوَّر أنه مثالي لدرجة يصعب تصديقها، غير أن أطلس كوريجان متأخر عن إنجاز الغسيل وعن صنع حياةٍ مثالية مثله مثل الجميع.

يفتح باب البيت ويوسعه لي حتى أعبر أمامه؛ إنه أصغر من بيته السابق، لكنه أشبه به. كما أنه ليس نموذجًا معماريًّا مكررًا، فبيوت هذه المجاورة لها شخصية مميزة، كل منها يختلف تمامًا عن سائر البيوت المحيطة به، تتفاوت من البيت ورديِّ اللون ذي الطابقين الذي يحتل إحدى النواصي، إلى البيت المكعب الشكل والمحفوف بالواجهات الزجاجية الحداثية في نهاية الشارع.

أما بيت أطلس فبيت صغير على طراز الأكواخ، يقع بين بيتين أكبر حجمًا. عندما حضرتُ إلى هنا في المرة السابقة لاحظتُ أن له أكبر حديقة خلفية في البيوت الثلاثة، ما يعدني بمساحة حديقة هائلة ذات يوم.

يُدخل أطلس رقمًا عبر لوحة التحكم في جهاز الإنذار قائلًا:

- تسعة خمسة تسعة خمسة، قد تحتاجينه ذات يوم.

أردد:

- تسعة خمسة تسعة خمسة.

ألاحظ أنها نفس تركيبة الأرقام في رقم هاتفه. إنه شخص يميل للالتزام، وهذا يُعجبني.

الكود الخاص بجهاز الإنذار ليس مفتاحًا للبيت يأتمنني عليه، غير أنه يبدو لي في نفس الأهمية. يضع حقيبتي على الكنبة ثم يضيء نور غرفة المعيشة. أعطي ظهري إلى الحائط حتى أُتابعه وأُفسح له الطريق. من الجيد أنه قال إنه أحبَّ مشاهدتي له وهو يعمل في المطبخ، فهذه أفضل تسلية لي على الإطلاق. يُرضيني أن أعيش حياتي على ظهر ذبابة فوق حائطه فأُشاهده طوال الوقت. أسأله:

- ما روتينك اليومي حين تعود إلى البيت؟

يحني رأسه قائلًا:

- ماذا تعنين؟

أومئ إلى الغرفة وأقول:

- ماذا تفعل حين تعود إلى البيت في المساء؟ اعتبرني غير موجودة الآن.

يرنو إليَ في صمت، ثم يخطو نحوي ويقف أمامي حتى ليكاد يلتصق بي، يضع يده على الحائط بجانب رأسي ويميل عليَّ ويهمس قائلًا:

- حسنًا، أولًا أخلع حذائي.

أسمعه يُفلِت فردة حذائه من إحدى قدميه ويرمي به، ثم الفردة الأخرى، ويميل فجأةً فيضع فمه قريبًا من فمي، فيُمرِّر شفتيه بخفَّةٍ فوق شفتيَّ، مُطلِقًا ألعابه النارية أسفل جلدي.. يُكمل قائلًا:

- ثم...

يُقبِّل جانب فمي..

- أتحمَّم.

ويدفع بجسمه بعيدًا عن الحائط مُتراجعًا إلى الخلف، مُحدِّقًا في عينيَّ بتحدٍّ واضح.

ثم يختفي بداخل غرفة نومه.

أستنشق بعُمق حتى تنتظم أنفاسي، فيما أسمع صوت الدش ينهمر في حمام غرفته. أخلع حذائي وأضعه بجوار حذائه، وأمضي وراءه عبر الطرقة. أدفع الباب الموارب بهدوء وأدخل غرفة نومه لأول مرة. كنتُ قد رأيتها عبر محادثات الفيديو، غير أنني لم أصل هنا في زيارتي الأولى. أتعرَّف على ظهر السرير أسود اللون والحائط الأزرق في لون الجينز في خلفيته، أما بقية الغرفة فأراها لأول مرة. أتأمَّلها فيما أُفتِّش بعينيَّ عن باب الحمام.

لقد تركه أطلس مفتوحًا، وألقى بقميصه أمام فتحة الباب.

لا أعرف لماذا يتقافز قلبي كأنها المرة الأولى التي أرى فيها أطلس عاريًا من دون ثياب. لا يتعلَّق الأمر بقلَّة خبرتي بهذه المواقف، ولا به هو شخصيًّا، ولا حتى بالاستحمام معه، لكنْ مع كل مرة أكون معه فكأنما يُصاب قلبي بفقدان ذاكرة.

https://t.me/fantazynov

أصِلُ إلى باب الحمام وأصاب بإحباطٍ حين ألمح كابينة الاستحمام مختفية خلف نصف حائط من الحَجَر. أستطيع سماع صوت الرذاذ المتقاطع مع تدفُّق مياه الدش، والذي تتقلّص بسببه كل منحنيات جسدي.

لا أخلع ملابسي وأُضعها فوق ملابسه، بل أقترب ببطء من كابينة الاستحمام وألصق جسدي في حائط الحمام، وأحني رأسي بما يسمح فقط باستراق النظر إليه.

أجد أطلس واقفًا تحت الدش مغمَض العينين، والماء ينهمر على وجهه مباشرةً وهو يُخلل أصابعه بين خصلات شعره. أبقى صامتةً وثابتةً في مكاني، مسنودةً على الحائط وأنا أراقبه.

إنه يشعر بوجودي هنا، لكنه يتجاهل حضوري ويسمح لي بأن أتشرَّب المشهد حتى أرتوي منه. أريد أن أُمرِّر يدي صعودًا هبوطًا فوق عضلات كتفَيْه، وأريد أن ألثم النغزات المحفورة في أسفل ظهره. إنه جميل فوق الوصف.

حينما يشطف عن شعره ووجهه بقايا الصابون، تقع عيناه على عينيَّ وتضيقان، تغيمان، يُبحلِق في عينيَّ حتى يسقط بصري.

- لِيلِي..

ترتفع عيناي من جديد حتى تُلاقي عينَيه، فأجده يبتسم في دهاء، ثم يخطو نحوي بسرعة لا تسمح باستيعاب الموقف وينتزعني من الحائط الذي ألتصق به ويلفُّني سريعًا بين ذراعَيه، ثم يجذبني لداخل كابينة الاستحمام فأشهق من سُرعة ما يقع كل ذلك.

https://t.me/fantazynov

يُطبِق بفمه على شَهْقَتي وبيدَيه على فخذيَّ جاذبًا ساقيّ المختفيتين تحت الجينز الأزرق المُبتل حول خصره. يلتصق ظهري في حائط الكابينة حامِلًا عن أطلس بعضًا من وزني، فيتمكَّن من تحرير إحدى يدَيه.

وبهذه اليد الحرة يشرع في فَكِّ أزرار بلوزتي.

أساعده بكلتا يدَيَّ في فكِ الأزرار. نتوقَّف عن التقبيل حتى يُنزِلني على الأرض ويسلت بلوزتي من ذراعَيَّ، فتسقط على أرضية الاستحمام ويتطاير رشاش الماء علينا، في اللحظة التي تصل فيها أصابع أطلس لزر بنطالي الجينز.

يعود فمه الجائع ليُلاقي فمي، فيما تنزلق يداه بين ردفيَّ وسروالي الداخلي، سالِتًا ملابسي لأسفل في محاولاتٍ صعبة متتالية.

يقبض على بنطالي الجينز من جانبَيه، ويهبط بجسده جاثيًا أمامي ساحبًا بنطالي حتى قدميَّ، وحالما أشعر به حول كاحِليَّ أُخلِّص قدميَّ حتى أخلعه تمامًا، فيضع أطلس يدَيه على رِبلَتَي ساقيَّ ويرتفع بهما ببطء.

حين يقف أمامي من جديد، تتجمَّع أصابعه وراء ظهري عند كُبشَة حمالة الصدر. تتقلص معدتي حين يشرع في فكِّها. يلتقي فمه بفمي في قُبلة هادئة بطيئة الإيقاع، كأنما لحظة إزاحة قطعة الثياب الأخيرة هذه تستحق أن نتذوقها ببطء.

أشعر بيديه تتسلَّقان إلى كتفَيَّ، وبأصابعه تتسلل تحت الحمالتين وتنزلق بهما على ذراعيَّ. تبدأ حمالة الصدر في السقوط، فيبتعد أطلس

قليلًا ويرنو إليَّ حتى يُشبعِ ناظرَيه، وتُحاوط يده خصري ثم تنزلق فوق ردفي فتعتصرني.

أشبِّك ذراعيَّ خلف رقبته وأطوِّف بشفتيَّ حول فَكِّه حتى أرسو بفمي فوق أُذُنه وأقول:

- وماذا بعد؟

أرى القشعريرة التي تبرز على ذراعيه، ثم أراه يبتسم ويرفعني لأعلى ويسندني على الحائط بحيث يصبح خصري محاذيًا لخصره، فألفُّ ساقيَّ حوله حتى أشعر بصلابته، ويستجيب لحركتي بدَفْعَة سريعة تجعلني أشهق من قوتها. من الواضح أن كلينا لديه نفس الرغبة، لكنه برغم ذلك ينظر لي طلبًا لموافقتي على وُلُوجِه هنا في كابينة الاستحمام، وكنا قد تحدَّثنا من قبل عن استخدامي لموانع الحمل وعن التحاليل التي قُمنا بها، لذلك أومئ إليه وأنا أهمس بلهفة:

- نعم..

أستمسك بكتفَيْه بقوة حتى أُخفف الوزن عن ذراعَيه، فيستطيع أن يتخذ الوضع المناسب لوُلوُجه بداخلي. يستعمل ذراعه اليسرى في رفعي لأعلى واليمنى في تثبيت جسمه، ثم يميل بخصره ويعلو به حتى أشعر به بداخلي.

يزفر الهواء حول رقبتي في اللحظة التي أُطلِق فيها الهواء المحبوس داخل صدري، فيخرج بصوتٍ يُشبه التأوُّه ويُحمِّس أطلس حتى يُخرِج مني هذا الصوت مرة أخرى.

https://t.me/fantazynov

ساقاي مُلتفَّتان بإحكام حول خصره، غير أن اندفاعه الشديد بداخلي يتكفَّل بفكِّ تشابُكهما عند الكاحلَين. أبدأ في الانزلاق عليه، لكنه يرفعني لأعلى ويُعدِّل وَضْعَه حتى أمتلئ به من جديد.

أُطلِق آهة أخرى، فيندفع داخلي لمرة ثانية، وثالثة، وقد لا تكون المتعة هنا على حائط الكابينة المشبَّع بالماء مثل المتعة على السرير، لكنني مع ذلك لا أصل إلى كِفَايَتي من هذا الجانب الجَموح فيه.

يستمر في جموحه لعدة دقائق قبل أن تنقطع أنفاسنا فلا يُمكننا المواصلة دون الذهاب إلى السرير. لا يقول أي شيء، يخرج مني ويُنزلني على قدميَّ، ثم يُغلق صنبور الماء ويتناول منشفة ويبدأ في تجفيف شعري مُعتصِرًا منه الماء بكلتا يدَيه، ثم يهبط رويدًا فوق جسدي حتى يجفَّ بدرجة ما، فيُنشِّف جسمه في عُجالة ثم يُمسك يدي ويخطو بي لخارج الحمام.

لا أعرف كيف يستطيع شيء في بساطة إمساكه بيدي أن يجعل قلبي يتمدد في كل اتجاه ونحن في طريقنا إلى السرير.

يزيح أطلس الغطاء ويُجذبني حتى أرقى سريره. أجده مريحًا لدرجة الشعور بأنني أنام فوق سحابة. يندفع إلى جواري ويظل يقترب حتى لا يفصله عني أكثر من سنتيمتر واحد، ويرقد على جانبه بعد أن يدفعني حتى أنام على ظهري ويلتصق بي.

تُعجبني هذه الوضعية، تُعجبني طريقته في الاتِّكاء على مِرفَقه والتحليق قريبًا مني. تُعجبني تلك الابتسامة الخافتة المرتسمة في عينيه، كأنني جائزةٌ فاز بها.

يميل أطلس فوقي فلا نبدأ هذه المرة بالقُبُلات الهادئة، بل نغيب مباشرةً في قُبلة عميقة جائعة، تبدأ بلسانه الذي يغوص داخل فمي وتنتهي به وهو يبحث عن الواقي الذَّكريِّ ويرتديه دون أن يُقاطِع القُبلة ولا يُخفِت من عنفوانها. يُفسِح أطلس مساحةً لنفسه بين فخذيَّ، ثم يعتليني ويدفع بنفسه داخلي ويستمر في الاندفاع، حتى أجد نفسي أسقط مُفكَّكة كأجمل ما يكون.

***

أطلس راقد على ظهره، وأنا مُلتفَّة حول نفسي في حضنه، ساقي مفرودة على فخذه. تلك هي اللحظات التي أتوق إليها معه، الدقائق الهادئة التي نسرقها من فوضى الحياة، حيث نحن منفردَان، شبعانَان، راضيان. رأسي مرتاح فوق صدره وأصابعه تروح وتجيء على امتداد ذراعي.

يُقبِّل مُقدم رأسي ويقول:

- كم مضى من الوقت منذ تقابلنا صدفةً في الطريق؟

فأقول:

- أربعون يومًا.

فأنا أعدُّ الأيام يومًا بيوم.

يصدر منه صوتٌ يوحي بالاندهاش، فأسأله:

- لماذا تسأل؟ هل شعرتَ بمرور وقتٍ أطول من ذلك؟

- لا، كنتُ فقط أريد أن أتأكَّد إن كنتِ تعدِّين الأيام مثلما أفعل.

https://t.me/fantazynov

أضحك وأطبع شفتيَّ فوق جِلدِه، فوق القلب مباشرةً.

يسألني:

- كيف مضت الأمور اليوم في حفل عيد الميلاد؟

أعرف ما يريد أن يستفسر عنه دون حاجةٍ إلى الإفصاح به؛ يريد أن يعرف كيف عامَلَني رايل.

- الحفل كان جيدًا، تحدَّثتُ مع رايل لمدة خمس ثوانٍ تقريبًا.

- هل كان فظًّا؟

- لا، تجنَّب أحدنا الآخر أغلبَ الوقت.

يمرر أطلس أصابعه في شعري فيفرد خصلاته ويتركها تسقط فوق ظهري، ويُكرر الحركة من جديد قائلًا:

- تَقَدُّمٌ ملحوظ. أتمنى أن تمضى الأمور على نحو أفضل فيما بعد.

فأقول:

- أرجو ذلك.

أتمنى أن تتحسَّن الأمور بيني وبين رايل، لكني لن أسمح بعد اليوم لردود فعله بأن تتحكَّم في سعادتي، أنا مع أطلس بكل كياني وأريد أن أتواجد كُليًّا في هذا الجزء من حياتي، ولو تضايق رايل أو شعر بعدم الارتياح لهذا الوضع الجديد، فعليه أن يتحمَّل ذلك. أُكمل قائلة:

- ربما أطلب من أليسا أن تجلس معي أنا ورايل خلال هذا الأسبوع. أريد أن أناقش ما حدث وماذا سنفعل فيما بعد، لكني لا أريد أن أتناقش معه على انفراد.

- فكرة ذكية.

ربما لا أصل بعلاقتي مع رايل لما يتجاوز التفاهم المدني، وسأكون راضية تمامًا بهذا التفاهم المدني، ما لن أرضى به هو الإهانات ورسائل التهديد ونوبات الغضب المفاجِئة. أمامه الكثير ليعمل عليه، وأخيرًا أجد في نفسي الإرادة اللازمة لمُطالبته بهذا العمل.

كان يتوجَّب عليَّ أن أكون أكثر صرامة معه قبل ذلك بكثير، لكني كنتُ أُحاول أن أجعل الأمور تمضي بأقل الطرق درامية قدر المستطاع. أما الآن فقد اكتفيتُ من محاولات توفيق حياتي مع ما يُناسب رايل.

ولائي سيكون للأشخاص الذين يُدخلون الإيجابية فقط إلى حياتي، للأشخاص الذين يريدون أن يُساهموا في بناء حياتي ويروني سعيدة. أولئك مَن سأضعهم في الاعتبار حين أتخذ قرارات هامة تخُصُّ حياتي المستقبلية.

سأستمر في بذل ما أستطيعه من جهد، وهذا كل ما لديَّ. قد لا أكون قد أخذتُ القرارات الصائبة في التوقيتات الصحيحة، لكنْ حقيقة أني اتَّسمتُ بشجاعة اتخاذ القرار تستحق التقدير، وهذا ما سأواصل التركيز عليه.

يزجُّ أطلس بإصبعه أسفل ذقني ويُميل رأسي إلى الخلف حتى أنظر إليه. تبوح نظراته بأنه في المكان الصحيح الذي لا يريد سواه، يقول:

- لا يمكنني وصف سعادتي بما حدث الآن.

يجذبني إليه حتى ألتصق بصدره وأنظر في عينيه مباشرةً، ويُداعب جانب رأسي قائلًا:

https://t.me/fantazynov

- أتمنى لو أنني أستطيع الاحتفاظ بكِ في سريري كل ليلة، أن أتحمم معكِ وأطهو الطعام معكِ، أن أشاهد التلفزيون وأبتاع البقالة وأنا معكِ. أريد *كل شيء* معكِ. يثير حنقي أن نتعامل كأننا لا نعرف مسبقًا أننا سنقضي ما تبقى من حياتنا معًا.

من المذهل كيف تتضاعف نبضات القلب بهذه السرعة. أُمرر أصابعي فوق شفتيه وأقول:

- نحن لا ندَّعي أي شيء. سنقضي باقي العمر معًا.
- إلى متى ننتظر قبل أن نبدأ معًا؟
- مما يبدو علينا الآن، فقد بدأنا بالفعل.
- كم من الوقت عليَّ أن أصبر قبل أن أطلب منكِ أن تُقيمي هنا معي؟

تُدوِّم الحرارة في معدتي. أقول:

- ستة أشهر، على الأقل.

يهزُّ رأسه على طريقة مَن يُسجِّل ملاحظاتٍ ذهنية، ويقول:

- وكم عليَّ أن أنتظر حتى أتقدَّم لخِطبتكِ؟

يتعلّق شيء ما في حلقي، فيصبح من الصعب أن أبتلع ريقي..

- سنة، أو سنة ونصف.
- سنة من توقيت انتقالكِ للسكن معي؟ أم تعنين سنةً من *الآن*؟
- من الآن؟

يبتسم، ويجذبني حتى أعلوه تمامًا، قائلًا:

- يُسعدني أن أعرف ذلك.

لا أتمالك نفسي من الضحك ووجهي لصيق برقبته.

- هذا النقاش مفاجئ بالنسبة لي.
- بالطبع، سيقتلني المعالج النفسي حين أحكي له.

أبتسم وأنا أنزل من عليه وأنام على جانبي، وأستكين عند انحناءة ذراعه وأُمرِّر أصابعي على صدره نزولًا إلى بطنه متتبِّعةً حوافَّ قفصه الصدري. تتقلَّص عضلاته وتنتفض تحت أصابعي، فأسأله:

- هل تُمرِّن عضلاتك؟
- كلما أمكنني ذلك.
- من الواضح أنك تفعل.

يضحك أطلس في سعادة ويقول:

- هل تقصدين مُغازلتي يا لِيلِي؟
- بالطبع.
- لا أنتظر مجاملات. أنتِ عارية في سريري، فليس عليكِ أن تفعلي المزيد؛ لقد فُزتِ بي قبل سنوات طويلة.

أرفع رأسي وأبتسم، كأنه تحدٍّ يدفعني إليه..

- صحيح؟

فيهزُّ رأسه ويبتسم في كسل. يُمرِّر إبهامه فوق شفتي السفلى ويقول:

- إني واثق من كوني ممتلئًا عن آخري، أظنني حققتُ الاستنارة التامة هذه الليلة.

أُبقي عينيَّ في عينيه، لكنني أُعدِّل من وضعي وأهبط ببطء بمحاذاة جسمه، وأهمس قائلةً:

https://t.me/fantazynov

- أظن أنه باستطاعتي أن أُنال المزيد من إعجابك.

يُطلق زفيرًا عميقًا فيما أطبع قُبلةً على بطنه، وأنا لا أزال أُحدِّق بوجهه، وأُراقب في ابتهاجٍ ملامحه التي تتقلَّص فيما يُراقب ما أفعله.

يزدرد ريقه حين أشرعُ في إزاحة الملاءة عن نصفه الأسفل، تُظلم عيناه وهو يقول:

- *أوف، لِيلِي..*

يترك رأسه يسقط إلى الوراء فوق الوسادة، حين يبدأ لساني في تسلُّقه.

ويتأوَّه حين آخذه داخل فمي، فأُثبِت له كم كان مخطئًا في حُكمِه.

الفصل التاسع والعشرون

أطلس

لا أكتفي منها أبدًا، ولا بأس في ذلك ما دامت هي أيضًا لا تكتفي مني. أيقظتْني هذا الصباح بأن تسلَّقَتْ فوقي وقبَّلَتْ عنُقي. وانقلب بها الحال بعد ثوانٍ قليلة راقدةً على ظهرها وفمي يفعل بها الأفاعيل.

ربما نكون جائعَين لهذه الدرجة لأننا نعرف كم هو نادر أن نحصل على يومٍ كهذا، أو لأننا افتقدنا أحدنا الآخر لسنوات طويلة.

أو ربما يكون الحال هكذا حين تقع في الحب. ارتبطتُ بنساء أخريات غير لِيلِي، لكنني مقتنع الآن أنها المرأة الوحيدة التي عشقتُها بصدق.

تتضاعف مشاعري تجاهها فوق كل تصوُّر وكل تجربة سابقة. بل فوق المشاعر التي حملتُها إليها ونحن صغيران. الأمر يختلف الآن، إنه أقوى، وأعمق، وأشد إثارة. لا يوجد سبب في هذه الحياة يجعلني أتركها اليوم مثلما فعلتُ معها في السابق.

أعرف أنني كنتُ آنذاك في حالة ذهنية مختلفة كل الاختلاف في سن الثامنة عشرة، حالة جعلَتني لا أشعر بضرورة أن أبقى بجانبها مهما حدث. أما الآن فكُلِّي لها، وأكره حقيقةً فكرةَ أن نأخذ الأمور ببطء!

https://t.me/fantazynov

أتفهَّم السبب وراء هذه الرغبة من جانبها، مع ذلك ليس عليَّ أن أكون سعيدًا بذلك. أريدها بجانبي كل يوم، فأنا أشعر بفراغ رهيب في تلك الأيام التي أُحْرَم فيها من رؤيتها.

والآن وقد أمضينا الليلة معًا أشعر أن أَلَمَ البُعْد سيكون أكثر إيلامًا فيما بعد. سأكون أسوأ مزاجًا حين أضطر ألا أراها لمدَّة تفوق قدرتي على الاحتمال. الآن تقف بجواري تمامًا ونحن نغسل أسناننا، وقد بدأتُ منذ الآن أتهيَّب من ذهابها بعد قليل.

ربما لو عرضتُ عليها أن أطهو لها الفطور أكون قادرًا على استبقائها لساعة أخرى على الأقل.

تسألني لِيلِي:

- لماذا تحتفظ بفرشاة أسنان احتياطية؟

تبصق معجون الأسنان في حوض حمَّامي وتغمز لي قائلةً:

- هل يبيتُ عندك الكثير من الضيوف؟

أبتسم لها وأشطف فمي دون أن أُجيب على السؤال. اشتريتُ فرشاة الأسنان هذه لأجلها هي، غير أنني لا أريد الاعتراف بذلك. قمتُ خلال تلك السنوات الماضية بالعديد من الأشياء تحت تبرير يقول: *حتى إذا ما ظهرت لِيلِي*.

بعدما غادرَتْ بيتي قبل سنتين أثناء اختبائها من رايل، خرجتُ وابتعتُ الكثير من الأشياء تحسُّبًا لعودتها؛ فرشاة أسنان إضافية، وسادات وثيرة لغرفة الضيوف، ملابس، تحسُّبًا لظهورها لأي سبب طارئ.

كان لديَّ «عِدَّةٌ للطوارئ» باسم لِيلِي، لو جازَت التسمية، أظن أن الاسم الأنسب لها اليوم هو عدَّةُ مَبيت لِيلِي. وبالطبع، أحضرتها معي حين انتقلتُ إلى البيت الجديد. دائمًا ما كان الأمل يراودني في وجودنا معًا ذات يوم.

مهلًا، حتى أكون أمينًا مع نفسي كان لديَّ الكثير من الأمل. بنيتُ العديد من قراراتي على احتمالية أن تعود لِيلِي إلى حياتي، حتى إنني اخترتُ هذا البيت وفضَّلتُه على الآخر الذي كنتُ أفكِّر فيه لسبب بسيط هو الحديقة الخلفية؛ فقد بدَت لي وقتها كحديقة ستُغرَم بها لِيلِي..

أمسح فمي بفوطة يدٍ ثم أناولها إياها وأنا أقول:

- هل بإمكاني أن أطهو لكِ طعام الإفطار قبل ذهابكِ؟

https://t.me/fantazynov

فتقول:

- نعم، لكن عليكَ أولًا أن تُقبّلني، مذاقي الآن أفضل من السابق.

وتقف على أصابع قدميها فأُطوّقها بذراعيَّ وأرفعها باقي المسافة إلى فمي، وأُقبّلها وأنا خارجٌ بها من الحمام وأسقط بها فوق المرتبة، ثم أُحلّق فوقها.

- هل ترغبين في فطائر البانكيك؟ أم الكريب؟ أم البيض الأومليت؟ أم البسكويت مع الصوص؟

وقبل أن تُجيبني يقرع جرس الباب فأقول:

- لقد عاد جوش.

وأنقر نقرة سريعة على كتفها وأقول:

https://t.me/fantazynov

- جوش يحب فطائر البانكيك، هل يروقكِ ذلك؟

- أُحب البانكيك.

- إذًا هي البانكيك.

أتوجَّه لغرفة المعيشة وأفتح الباب لجوش، فأتجمَّد فجأةً لمرأى أمي أمام الباب.

أُطلق زفرة حارة، مستاءً من كوني لم أنظر في العين السحرية.

تنظر نحوي بجمود، يداها معقودتان أمام صدرها، تقول:

- تلقيتُ زيارة من إخصائي الشئون الاجتماعية أمس.

عيناها تُضمران اتهامًا لي، غير أنها لا تصرخ على الأقل.

لن أخوض نقاشًا كهذا أثناء وجود لِيلِي. أخطو إلى الخارج محاولًا إغلاق الباب، لكن أمي تدفعه حتى يفتح عن آخره، وتصيح:

- جوش، اخرج هنا حالًا!

أُبقي صوتي خفيضًا وأنا أقول:

- إنه ليس هنا.

- إذًا أين هو؟

- في بيت صديقه.

أتناول هاتفي من داخل جيبي وأتحقق من الوقت. قال براد إنه سيجيء بجوش قبل العاشرة صباحًا، إنها الآن العاشرة والربع. *أرجوكَ ألا تجيء به أثناء وجود ساتن.*

تُطالبني قائلةً:

- اتصل به.

الباب مفتوح عن آخره منذ دفعَتْه ساتن، لذا يُمكنني أن أرى برُكْن عينيَّ لِيلِي وهي تظهر في طُرقة البيت.

لم أُرِد لهذا الصباح أن ينتهي بهذا الشكل، أشعر بالندم يتسرَّب لداخلي حتى يملأني، أرنو إليها بنظرة مُعتذِرة ثم أُعيد انتباهي إلى ساتن. أسألها:

- ماذا قال لكِ الإخصائي الاجتماعي؟

يتلوَّى فمها وهي تنظر إلى يسارها وتقول:

- لن يُجروا تحقيقًا من الأساس، لو لم تُعِده إليَّ اليوم سأقوم باتهامك في محضر رسمي.

أعرف الخطوات التي تتخذها خدمة حماية الأطفال في حالة فتْح باب التحقيق، ولم يقوموا حتى بالاتصال بجوش لإجراء مقابلة، أقول لها:

- أنتِ تكذبين، وأطلب منكِ أن تُغادري الآن.

- سأُغادر حين آخذ ابني.

- (أُطلِق زفيرًا) إنه لا يريد أن يُقيم معكِ في الوقت الحاضر.

ولا في أي وقت في المستقبل، لكنني أحتفظ بهذه القَرْصَة فلا أقولها.

- لا يريد أن يُقيم معي؟!

هكذا تُردِّد ضاحكةً ثم تُعقِّب بقولها:

- وهل هناك طفل في هذه السن *يريد* أن يعيش مع أهله؟ وكم من الآباء لم يصفعوا طفلًا في هذه السن؟ إنهم لا ينتزعون الوصاية لسبب كهذا.. يا له من هراء!

تشبك ذراعيها أمام صدرها وتُكمل قائلة:

- السبب الوحيد الذي يجعلك تفعل هذا هو رغبتك في الانتقام مني.

لو كانت تعرفني بحق لَمَا اعتقدَت أنني انتقاميٌّ مثلها، غير أن الاستنتاج الذي توصَّلَت إليه يليق تمامًا بطبيعتها. أسألها بنبرة هادئة:

- هل تفتقِدينه؟ بكل أمانة، هل تفتقِدينه؟ لأنكِ لو كنتِ تفعلين هذا فقط لتثبتي شيئًا ما لشخص ما، فأرجو أن تتوقفي عن ذلك، أرجوكِ.

تظهر سيارة براد على أول الطريق، فأتمنى لو كانت ثمة طريقة لأطلب منه أن يستمر في القيادة ولا يتوقف، لكنه يدنو من الرصيف قبل أن أصل إلى هاتفي. تنظر ساتن في نفس الاتجاه فترى جوشِ يفتح الباب الخلفي لسيارة براد.

تخطو مباشرةً في اتجاه السيارة، فيتوقَّف جوش فور رؤيتها، بل إنه *يتجمَّد* في مكانه ولا يعرف كيف يتصرَّف.

تُشير ساتن بإصبعها نحو سيارتها وتقول له:

- هيا بنا، سنُغادر في الحال.

ينظر إليَّ جوش على الفور، فأهزُّ رأسي وأومئ إليه حتى يدخل البيت، فيما يشعر براد بأن ثمة شيئًا غير طبيعي فيركن السيارة ويفتح الباب.

ينظر جوش تحت قدمَيه ويخطو بسرعة عبر الباحة الأمامية عابرًا بمحاذاة ساتن ومهرولًا في اتجاهي فتمضي ساتن وراءه بإصرار، أُحاول أن أسحبه سريعًا لداخل البيت لأغلق الباب وراءه في وجهها، غير أنها تلحق به سريعًا فأتركها تدخل كي لا يصطدم بها الباب.

أظننا سنتصادم الآن لا محالة.

ألوِّح لبراد حتى يذهب، ثم أنظر إلى لِيلِي التي تقف مُستندةً إلى الحائط تراقب المشهد والاندهاش يرتسم على وجهها.

أُحرِّك شفتيَّ قائلًا: *أنا آسف*.

يُلقي جوش بحقيبة الظهر على الأرض ويجلس على الكنبة عاقدًا ذراعيه بصرامة، وقائلًا لساتن:

- لن أذهب معكِ.

- هذا القرار لا يعود إليك.

ينظر نحوي مباشرةً ويقول في توسُّل:

- لقد قُلْتَ إن بإمكاني المكوث معكَ هنا.

- نعم، بإمكانك.

تحدِجني ساتن بنظراتٍ كالخناجر كأنني شططتُ في الأمر.. قد تكون مُحِقَّة، قد لا يكون من شأني أن أتدخَّل بين أمٍّ وابنها الصغير،

لكن كان عليها أيضًا أن تُفكِّر مرتين قبل أن تجعلنا أخوَين، فلا أستطيع أن أُدير ظهري إليه آمِلًا أن يخرج من كل هذا مُعافًى. تقول له:

- لو لم تأتِ معي الآن، ستتسبب في القبض على أخيك.

يضرب جوش بيده فوق الكنبة وينهض واقفًا وهو يصيح:

- ولماذا لا يكون القرار قراري؟ لماذا أُجبَر على العيش مع أحدكما؟ لقد قلتُ لكما إني أريد أن أعيش مع أبي، لكن لا أحد منكما يُريد مُساعدتي في العثور عليه!

ينشرخ صوت جوش، فيمشي قاطعًا الطُّرقة ويَصفِق باب غرفته بعُنف فأجفل من الصوت.. أو ربما مما قاله قبل أن يركض إلى غرفته.

أيًّا كان السبب، أشعر بأنه قد أحْدَثَ ثُقْبًا في نفسي.

يُمكن لساتن أن ترى ما أنا عليه، فهي تُحدِّق فيَّ وتُقيِّم ردّة فِعْلي لما قام به.

ثم تبدأ في الضحك مني، وتقول:

- أوه يا أطلس، هل ظننتَ أنك أنجزتَ أي شيء؟ أنك كوَّنتَ *رابطة قوية* معه؟

تهزُّ رأسها وتُلقي يدَيها في هزيمة:

- خُذْهُ إلى أبيه، وستجيء إليَّ راكضًا في الأسبوع القادم، تمامًا كما فعلتَ في آخر مرة احتجتَ فيها لمساعدتي.

تمضي نحو الباب وتُغادر، وأبقى مذهولًا من كل ما حدث فلا أذهب حتى أُغلقه وراءها.

لِيلِي تفعل ذلك نيابةً عني. تتحرك نحوي بوجهٍ مِلْؤُه التعاطف، وحالما تجذبني إليها لتحتضنني أهزُّ رأسي وأفصِل نفسي عنها قائلًا:

- أحتاج لدقيقةٍ من فضلك.

https://t.me/fantazynov

https://t.me/fantazynov

الفصل الثلاثون

لِيلي

يدخل أطلس غرفة نومه ويُغلق الباب وراءه، فأجد نفسي وحيدةً في غرفة المعيشة. أشعر بحزن بالغ على كليهما، لا أُصدِّق أن أُمًّا تفعل هذا بابنَيها. *أو ربما أستطيع التصديق!* بعد سماعي قصصًا عنها فليس غريبًا أن أجدها معتوهةً هكذا، أما شكلها فلا أظنني توقَّعته قريبًا مما رأيت. أطلس وأخوه يُشبهانها بدرجةٍ كبيرة، ما يزيد من صعوبة أن أرى سلوكًا كهذا ينجم عن شخص شبيه بأطلس لهذه الدرجة؛ فهما على النقيض تمامًا من أحدهما الآخر.

أجلس على طرف الكنبة، مصدومةً مما شهِدتُه لتوِّي. لم أرَ أطلس متأثِّرًا هكذا في أي موقف من قبل. أريد أن أذهب إليه وأحتضنه، غير أني أتفهَّم تمامًا حاجته لأن ينفرد بنفسه لبعض الوقت.

وكذلك جوش، الفتى المسكين.

لا أريد أن أغادر قبل أن أودِّع أطلس، لكنني لا أريد إزعاجه خلال تلك اللحظات التي يحتاجها لاستعادة نفسه. أذهب إلى المطبخ وأفتح باب الثلاجة، وأبحث عما يمكن تحضيره لهما حتى يتناولا الفطور.

***

جعلتُ الإفطار بسيطًا على قدر المستطاع، فأعددتُ لهما بيضًا مقليًّا مع اللحم المقدَّد وأدخلتُ صينية البسكويت في الفرن، وحالما يكون البسكويت جاهزًا للتقديم أذهب لغرفة جوش وأطرق الباب. يمكنني على الأقل أن أعرض عليه شيئًا يأكله ريثما يخرج أطلس من غرفته.

يفتح جوش الباب مسافة بوصتين وينظر إليَّ. أسأله:

- ألا تريد أن تتناول شيئًا؟

- هل غادرَتْ ساتن؟

أومئ إليه بالإيجاب، فيفتح الباب ويتبعني عبر طرقة البيت. يجلب لنفسه مشروبًا بينما أُخرِج أنا البسكويت من الفرن وأضع لكلٍّ منَّا طبقَ فطوره. أجلس على الجانب المقابل من الطاولة فيختلس النظرات أثناء تناوُله الطعام، كأنه يقيسني في عقله. يسألني:

- أين إيميرسون؟

- إنها مع عمَّتها.

يومئ جوش ويلتقم قضمة أخرى من طعامه، ثم يقول:

- منذ متى وأنتِ مرتبطة بأخي؟

- (أهز كتفي) الإجابة تعتمد على تعريفك للارتباط، فأنا أعرفه منذ كان عمري خمسة عشر عامًا، لكن أول موعدٍ غرامي يضربه معي كان قبل شهر ونصف.

تبدو الدهشة علي وجهه وهو يقول:

- فعلًا؟! هل كنتما مجرد صديقين وقتها أم أكثر من ذلك؟

- بل أكثر من ذلك (أرشف القهوة وأضعُها بحِرْص) لم يكن لدى أخيك مكانًا يُقيم فيها حين التقَيتُه، فساعدتُه لمدَّة.
- (يتَّكئ بظهره إلى الخلف) فعلًا؟! تصوَّرتُ أنه كان يعيش مع أمي.
- نعم، حين تسمح له هي وأبوك بأن يبقى معهما، لكنه كان يُمضي الكثير من الوقت في محاولة للبقاء والصمود دون مساعدة.

آملُ ألا أكون قد قلتُ أكثر مما يجب، لكنني أشعر أن جوش يحتاج لتكوين فكرة أكثر دقة عن أطلس، لذلك أقول:

- خذ أخاكَ برِفْق، فهو يهتمُّ كثيرًا بك.

يُحدِّق إليَّ جوش لبرهةٍ ثم يومئ مُتفهِّمًا، ويميل فوق الطبق من جديد ليقضم من اللحم المقدد، لكنه يُسقط اللحم من فمه بداخل الطبق ويمسح فمه بمنديل ورقي ويقول:

- عادةً ما يطهو الطعام أفضل من ذلك.
- (أضحك) هذا لأنني أنا مَن طهوتُ الطعام.
- أوه، اللعنة.. آسف.

لا أعتبرها إهانةً على الإطلاق فأنا واثقة أنه اعتاد مذاق أطلس في طهي الطعام. أسأله:

- أتريد أن تحترف الطهي مثله؟ لقد أخبرني بأنك تُحب المساعدة في أعمال المطعم.
- (يهز كتفيه استهانةً) لا أعرف. إنه عمل ممتع. ربما، أعتقد أن التعب سينال مني لو استمررتُ في هذا العمل لفترة. إنه يعمل

الليالي الطوال. أظنني سأُرهَق من أي عمل بعد سنوات قليلة فلا أعرف حقيقةً ما يمكنني عمله.

- أحيانًا أشعر بأنني لا أعرف ما أريد أكونه في المستقبل إلى الآن.

- ظننتُ أنكِ تملكين محلًّا للزهور أو شيئًا من هذا القبيل، هذا ما أخبرني به أطلس.

- هذا صحيح، قبل ذلك كنتُ أعمل في وكالة تسويقية.

أزيح طبقي جانبًا وأطوي ذراعيَّ فوق الطاولة، وأُكمل قائلةً:

- لا أزال أشعر نفسَ شعورك، أخشى الملل، لماذا نُطالَب بأن نختار شيئًا واحدًا فقط لنُجرِّب فيه نفسنا وننجح فيه؟ ماذا لو أردتُ أن أفعل شيئًا مغايرًا تمامًا كل خمس سنوات؟

يومئ جوش موافقًا بشدة على ما أقول، ثم يُعلِّق قائلًا:

- المدرِّسون يتحدثون كما لو كان علينا أن نختار شيئًا واحدًا نُحبُّه ونستمر فيه إلى الأبد، لكنني أريد أن أفعل مئات الأشياء.

تُعجبني طريقته وهو يتحدَّث الآن في حيوية وحماس، يذكِّرني كثيرًا بأطلس الصغير، أسأله:

- أعطني أمثلة..

- أريد مثلًا أن أحترف صيد الأسماك، لا أعرف حقيقةً كيف أصطاد السمك غير أن الأمر يبدو ممتعًا بالنسبة لي. كما أريد أن أكون طاهيًا محترفًا. وأحيانًا أفكِّر كم هو ممتع أن أصنع فيلمًا.

- أحلم أحيانًا بأن أبيع محل الزهور وأفتح محلًّا للملابس.

- وأريد أن أصنع الأواني الفخارية وأبيعها في المعارض.
- أريد أن أكتب كتابًا ذات يوم.
- أما أنا فأريد أن أكون قائد سفينة.
- أظنه من الممتع أن أعمل مدرِّسةَ رسم.
- ومن الممتع أن أعمل حارسًا لملهى ليلي.

أُطلق الضحكات إثر هذه الجملة، لكنني لستُ الوحيدة التي أضحك عليها، ننظر أنا وجوش نحو أطلس الواقف مائلًا عند فتحة الباب، يضحك من الحوار الدائر بيننا.

أستريح لرؤيته في مزاج أفضل من ذلك الذي تركَتْهُ عليه أمه. يبتسم لي في حنان، فيقول له جوش:

- لقد أعدَّت لنا لِيلِي طعام الإفطار.
- أرى ذلك بوضوح.

يتقدَّم نحوي أطلس ويطبع قُبلةً فوق خدي، ثم يلتقط قطعةً من اللحم المقدد ويقضم منها.

يُتمتم جوش محذِّرًا:

- إنه سيئ بدرجة ما.
- لا تُسئ لحبيبتي وإلا توقَّفتُ عن طهي الطعام لك.

يسرق أطلس آخر قطعة لحم مقدد من طبق جوش، فيقول الأخير وهو يتصنَّع الحماس:

- هذا البيض رائع يا لِيلِي.

أضحك على طريقته، بينما يجلس أطلس في المقعد المجاور لي. بقَدْر ما أريد أن أقضي معه بقية اليوم، أدرك أنني مكثتُ هنا أطول

https://t.me/fantazynov

مما انتويْت. كما يبدو أن عليه هو وجوش أن يقوما اليوم بالكثير من المهام. أقول بأسف:

- عليَّ أن أذهب.

يومئ أطلس في تفهُّم، فأتراجع بالمقعد عن الطاولة وأقول:

- سأدخل لآخذ حاجياتي.

أخطو لداخل غرفة النوم دون أن أُغلِق الباب ورائي، فأسمع الحوار الدائر بينهما فيما أوضِّب حقيبتي.

يقول أطلس:

- هل لك رغبة في عمل مشوار اليوم؟

- إلى أين؟

- عثرتُ على عنوان أبيك.

أتوقَّف عن جَمْع حاجياتي وأقترب قليلًا من الباب حتى أسمع ردَّ جوش.

- فعلًا؟!

ثمة حماس جديد في صوت جوش.

- هل يعرف أننا سنذهب إليه؟

- لا.. توصلتُ فقط لعنوانه ولا أعرف طريقةً بعد للاتصال به، لكنك على حق في كونه يعيش في فيرمونت.

يمكنني من مكاني أن أسمع الخوف الذي يحاول أطلس إخفاءه في نبرة صوته. *إلهي، إني لا أريد له ذلك!*

أسمع جوش يركض تجاه غرفته قائلًا:

- سيُصدَم تمامًا حينما يرانا!

أنتهي من توضيب حقيبتي بقلبٍ ثقيل الآن، وحين أعود إلى المطبخ أجد أطلس واقفًا أمام الحوض مُحدِّقًا عبر النافذة إلى الباحة الخلفية. لا يسمع خطواتي، فأضع يدي فوق كتفه.

يجذبني إليه على الفور ويُقبِّل جانب رأسي قائلًا:

- سأصطحبكِ لسيارتكِ.

يحمل حقيبتي إلى السيارة ويضعها في المقعد الخلفي. أفتح باب السيارة، فيحضنني مجددًا قبل أن أركب.

هذا الحضن يذكِّرني بتلك الليلة التي حضر فيها أطلس إلى شقتي وهو بحاجةٍ لحضن شبيه؛ حضن طويل وحزين، يجعلني لا أريد أن أُفلِته. أسأله:

- ماذا تظنُّه سيحدث حين تذهب إلى هناك؟

يُفلِتني أخيرًا مُبقيًا يده على خاصرتي فيما يتكئ على سيارتي، يتنهَّد مُمَرِّرًا إصبعه من عروة الحزام في بنطلوني الجينز، ويقول:

- لا أعرف.. لماذا أشعر بكل هذا القلق عليه؟

- لأنك تُحبه.

يُدير عينيه إليَّ ويقول:

- ألِهذا أشعر بالقلق الدائم عليكِ؟ لأنني أحبكِ؟

ينقطع نَفَسِي قليلًا وهو يطرح سؤاله، وأقول:

- لا أعرف.. هل تعرف أنت؟

يضغط أطلس بأصابعه خلف خصري ويجذبني إليه، ثم يصعد بيده ويتلمَّس منبت عنقي بإصبعه حتى يلمس الوشم، يقول:

https://t.me/fantazynov

- لِيلِي، لقد أحببتُكِ لسنوات وسنوات وسنوات، وأنتِ تعرفين ذلك جيدًا.

يُبعِد إصبعه ويلثمني في نفس المكان، فأحتاج لكل عزيمتي حتى أُحافظ على اتزاني إزاء كلماته المصحوبة بهذه القُبلة.

- أحببتُكَ لنفس هذه المدة.

يهز رأسه قائلًا:

- أعرف هذا، لا أحد فوق هذه الأرض يُحبني بنفس القَدْر.

يحاوط رأسي بكلتا يديه يرفع وجهي إليه حتى يطبع قُبلةً على شفتيَّ. وحين يُفلِتني ينظر إليَّ في اشتياق كأنما غادرتُ بالفعل فانتابه الحزن إثر ذهابي. أو ربما أتخيَّل فقط هذا الشعور، لأنني أشعر به بالمثل.

أقول له:

- سأتصل بكَ الليلة.. أحبك.

- وأنا أيضًا أحبكِ، حظًّا سعيدًا اليوم.

أعود إلى البيت بمشاعر متضاربة. لقد فاقت كل لحظة من لحظات هذا اليوم جميعَ ما أملتُ فيه. ومعرفتي بما هو مُقبِل عليه يجعلني أشعر كأنما انكسرَت قطعة من قلبي حتى تبقى معه.

سأُفكِّر فيه طوال اليوم. أرجو ألا يجِدا تيم، وفي حالة ما إذا وجداه بالفعل، فإني آمل أن يتَّخذ جوش قراره الصحيح.

الفصل الحادي والثلاثون

أطلس

تستغرق القيادة إلى هناك ثلاث ساعات. لم يقُل جوش الكثير؛ كان يقرأ أثناء المشوار، غير أنه لو كان متوترًا مثلي فلا أظنُّه قد استوعب أي شيء مما قرأه. إنه عالق في نفس الصفحة منذ خمس دقائق، وفيها رسمة كأنها لمشهد في إحدى المعارك، لكن كل ما أراه منها هو العُري.

أسأله:

- هل عدد المانجا هذا مناسب لشخص في الثانية عشرة من عُمره؟

يحرك الكتاب قليلًا كي لا أرى منه إلا الغلاف، ويقول:

- نعم، مناسب.

يهبط صوته لأوكتاف كامل وهو يكذب هذه الكذبة. من المُمكن وَصْفُه بالكاذب الفاشل على أقل تقدير، لو اختار أن يبقى معي سيكون سهلًا جدًّا أن أكتشف كذبه.

لو انتهى به الأمر معي، فربما عليَّ أن أبتاع له بعض الكُتُب التي تُساعد على تعلُّم التوازن في الحياة. سأملأ أرفف كُتُبه بالروايات

https://t.me/fantazynov

المصوَّرة التي يحبها، ثم أدُسُّ فيما بينها بعضًا من اختياراتي كتعويض نقص مهاراتي كوصيّ عليه؛ كُتُب مثل: *الجامح، رجل بما يكفي، فن اللا مبالاة*. تبًّا، ربما أُدُسُّ أيضًا بعض النصوص المقدَّسة من كل ديانة عظمى على مستوى العالم؛ سأستعين بكل وسيلة متاحة أمامي.

بدايةً من اليوم على وجه الخصوص. بالقدر الذي يرى به جوش رحلته هذه كرحلةٍ ذات اتجاه واحد، أعرف في صميم قلبي أنه سيعود معي إلى بوسطن؛ آملُ فقط ألا يعود وهو يركل ويصرخ.

حين يقول جهاز تحديد المواقع إننا سننعطِف إلى الشارع المقصود، تشتدُّ قبضة جوش على كتاب المانجا. لا يرفع عينيه عن الكتاب، مع أنه لم يقْلِب الصفحة بعد. سرعان ما أعثر على عنوان تيم مكتوبًا فوق إفريز أمام بيت متهالك، فأركن السيارة أمامه. البيت على الناحية الأخرى من الطريق، وجوش لا يزال يتصنَّع الانهماك في قراءة القصة.

أقول:

- لقد وصلنا.

يترك جوش الكتاب وينظر لي أخيرًا، أشير إلى البيت فيُحدق فيه جوش لمدة عشر ثوانٍ ثم يزجُّ بالكتاب في حقيبته.

لقد جلب معه معظم أشيائه. الملابس التي اشتريتُها له، بعض كتبه، جميعها محشور في حقيبة الظهر هذه فلا تكاد تُغلق، ويحملها فوق حِجْرِه أملًا في أن يجد أباه مُرحِّبًا ببقائه.

يسألني:

- هل بإمكاننا أن نتمهل قليلًا؟
- بالتأكيد.

وبينما ينتظر يتململ بعصبية ويفرك في كل شيء؛ هوايات التكييف، حزام الأمان، الموسيقى عبر البلوتوث. تمضي عشر دقائق أخرى وأنا أنتظر في صبر حتى يستجمع الشجاعة التي سيستعين بها على فَتْحِ باب السيارة.

أرمق البيت، مُحوِّلًا انتباهي عن جوش لبعض الوقت. ثمة سيارة فورد قديمة بيضاء في ممر السيارات، وفي الغالب هي السبب في أن جوش لم يستجمع شجاعته بعد ليعبر الشارع ويطرق الباب، فهذا مؤشر لوجود شخص ما في البيت.

لم أجرِّب إقناعه بالعدول عن كل ذلك لأني أعرف جيدًا هذا الشعور بالرغبة في التعرف على أبيه، سيظل يعيش في هذا الخيال حتى يتمكن من مواجهة الحقيقة. عندما كنتُ طفلًا، كنتُ أضع آمالًا كُبرى على فكرة العائلة مثله، لكن بعد سنواتٍ من الإحباط أدركتُ أن كونكَ وُلِدتَ بين مجموعة من الناس لا يعني بالتحديد أن تكون عائلتك.

أخيرًا يسألني جوش:

- هل أذهب فأطرق الباب؟

إنه خائف، وللأمانة لا أجد في نفسي الشجاعة القصوى في هذه اللحظة، لقد مررتُ بالكثير مع تيم ولا آملُ أن أراه من جديد، وأخشى كثيرًا من النتيجة المحتمَلة لهذا اللقاء.

https://t.me/fantazynov

لا أعتقد أن هذا المكان هو الأفضل لجوش، ولستُ في موقع يسمح لي بأن أمنعه عن أبيه، غير أن أكبر مخاوفي هو أن يختار البقاء هنا، أن يفعل تيم كما فعلَتْ أمي ويفتح ذراعيه لاستقبال جوش لمجرد عِلْمِه أن هذا هو الشيء الوحيد الذي لا أريد حدوثه.

أقول له:

- أستطيع أن أذهب معك لو أردْتَ.

على الرغم من أنه أبعد شيء عن رغبتي، لأني سأضطَر لأن أقف أمام هذا الرجل متصنِّعًا عدم الرغبة في لَكْمِه من أجل أخي الصغير.

لا يتحرك جوش لبرهة. أُحدق في شاشة هاتفي عازمًا أن أبدو صابرًا حتى يستجمع شجاعته، مع أني أرغب حقيقةً في أن أدفع السيارة وأبتعد به عن هذا المكان.

أشعر بعد قليل بإصبع جوش يتحسس نُدبَة قديمة في ذراعي، إنه يُحدق في ذراعي متأمِّلًا تلك الندوب شبه المُختفية، والتي نتجَت عن الخراء الذي تحمَّلتُه أثناء وجودي مع ساتن وتيم. غير أن جوش لم يسألني قط عن هذه الندوب.

- هل تيم مَن فعل هذا بك؟

أقبض بيدي الأخرى على ذراعي وأومئ بالإيجاب قائلًا:

- نعم، كان هذا منذ زمن طويل. وربما تختلف معاملته لابنه كُليَّةً عن طريقة تعامُله مع ابن زوجته.

- وما الفارق إذًا؟ لو كان قد تعامل معك بهذه الطريقة، فلماذا يُمنَح فرصةً أخرى معي؟

إنها أول مرة يقترب فيها جوش لهذا الحد من الاعتراف بأن أباه ليس بطلًا.

لا أريد أن أكون الشخص الذي يُلام في المستقبل على القطيعة بينه وبين أبيه، ومع ذلك أريد أن أقول له إنه مُحِق؛ لا يجب أن يُمنَح أبوه فرصةً ثانية، لقد هجَرَه ولم ينظر وراءه ولا لمرة وحيدة، ولا يوجد مبرر معقول لأن يهجر شخصٌ ابنه.

ثمة اعتقاد سامٌّ يُفيد بأن أفراد العائلة الواحدة يجب أن يظلُّوا متكاتفين مهما كانت الظروف، لمجرد أنهم عائلة واحدة. أما أنا فأرى أنَّ أفضَل ما قُمتُ به لنفسي أني تركتُهم ومضيتُ بعيدًا، وما أخشاه الآن هو مصير جوش لو لم يفعل ما فعلتُ آنذاك.

ينظر جوش في اتجاه البيت، تتسع عيناه قليلًا فأتحفَّز للنظر في نفس الاتجاه.

يظهر تيم خارجًا من الباب الأمامي للبيت في طريقه إلى شاحنته، فيما نراقبه أنا وجوش بنفس الصمت المشحون بالذهول.

إنه يبدو هزيلًا؛ أكبر سنًّا وأقل حجمًا، أو ربما أشعر بذلك لأنني لم أعُد طفلًا صغيرًا كما كنت.

إنه يكْرَع آخر ما تبقَّى في علبة البيرة ويفتح الباب الأمامي، ثم يرمي بالعلبة الفارغة في قعر الشاحنة وينحني باحثًا عن شيء ما في كابينة الركاب.

يهمس جوش قائلًا:

- لا أعرف ما عليَّ فِعْلُه الآن.

https://t.me/fantazynov

يبدو لي الآن كصبي في الثانية عشرة من عمره يُعايش توتُّرًا لم يعرفه من قبل، وإنه ليكسر قلبي أن أراه في هذه الحالة من العصبية، عيناه تستحلفانني لأنطق بالحقيقة حين تعودان لتنظرا إليَّ، كأنما يريدني أن أوجِّهه للقرار الصحيح في هذه اللحظة.

لم يسبق أن نطقْتُ بكلمة سيئة في حق تيم أمام جوش، غير أن شعوري بأني لستُ أمينًا معه الآن في إبداء الرأي يُشعرني بأنني لا أقوم بواجبي كأخ. قد يكون صمتي في مسألة كهذه أشد إيذاءً من الصدق.

أتنهَّد وأضع هاتفي جانبًا مركزًا كل اهتمامي في هذه اللحظة، ما لا يعني أنني لم أكن أضع كل تركيزي من قبل، بل كنتُ أحاول أن أترك له المساحة التي يحتاجها، والتي لا يبدو أنه يريدها حقيقةً، إنه يريد الصراحة الجارحة وإلا فما فائدة الأخ الأكبر إن لم تكن هذه الصراحة؟

أقول في اعتراف:

- لا أعرف أبي، أعرف اسمه فقط. قالت لي ساتن إنه هجَرَنا وأنا صغير، غالبًا في نفس عمرك حين غادركما تيم. كنتُ أتضايق جدًّا من حقيقة أني لا أعرف أبي، وكنتُ شديد القلق عليه ظنًّا مني أن ثمة شيئًا بشعًا يمنعه عن المجيء إلينا، كأن يكون مسجونًا في مكان ما بسبب تُهمةٍ ظالمة. كنتُ بارعًا في اختراع تلك السيناريوهات الخارجة عن المنطق لكي أُبرر غيابه عن حياتي برغم معرفته بوجودي، فكيف يكون لديك ابن ولا تسعى لمعرفته؟!

لا يزال جوش يرمق تيم عبر الباحة الأمامية، غير أني أرى بوضوح كيف يمتص كل كلمة أنطق بها.

- لم يُرسل أبي يومًا أية نقود لرعايتي كطفل، لم يفعل أي جهد على الإطلاق، لم يتجشَّم عناء البحث عني على جوجل، لأنه لو فعل شيئًا من هذا لعثر عليَّ بكل سهولة. اللعنة! أنت فعلتَ هذا في عمر الثانية عشرة، لقد عثرتَ عليَّ ولستَ إلا صبيًّا صغيرًا، فما باله وهو شخص بالغ لعين!

أتحرَّك حتى أستحوذ على كل انتباهه وأُكمل قائلًا:

- هكذا حال تيم، إنه شخص بالغ قادر على الفعل، لو كان يهتم لأي شيء سوى نفْسِه لكان قدَّم أي جهد مهما كان بسيطًا. إنه يعرف اسمك، يعرف المدينة التي تعيش فيها، يعرف سنك.

تلتمع عينا جوش بالدموع وأنا أُسترسل قائلًا:

- لا يقبل عقلي أن يكون هذا الرجل أباك، وأنك تريد لنفسك مكانًا في حياته فيما هو لا يبذل أقل جهد في سبيلك، فوجودك يمنحه امتيازًا خاصًّا يا جوش، صدِّقني، لو علمتُ بوجودك لكنتُ قد دَككْتُ البنايات في سبيل البحث عنك.

بمجرد أن أقول ذلك، تجد أول دمعة طريقها لخارج عينه، فيُشيح بوجهه سريعًا ويرنو خارج الشباك الجانبي، بعيدًا عن بيت تيم، بعيدًا عني. أراه يمسح عينيه فينكسر قلبي حزنًا عليه.

كما يشتعل قلبي غضبًا أنهم تعمَّدوا إبقاءه بعيدًا عني. كانت أمي تعرف تمام المعرفة أني سأكون أخًا جيدًا لجوش، وهذا ما جعلها

تختار أن تُفرقنا حتى لا يحتلَّ أحدنا جزءًا من حياة أخيه. كانت تعرف أن حبي له سيفوق في مقداره ما يمكنها أن تمنحَه من الحب، لذلك اختارَت بأنانية شديدة أن تُفرِّق بيننا.

غير أنني لا أريد أن يؤثِّر غضبي تجاه أمي وطليقها تيم، وحتى تجاه أبي، على قرار جوش. إنه ناضج بما فيه الكفاية كي يتخذ قراره بنفسه، ويستطيع أن يَزِنَ صراحتي أمام أَمَلِه في أبيه، وسأدعم قراره أيًّا ما كان.

حين يعاود النظر إليَّ، أجد عينيه مليئتين بالدموع والأسئلة والعجز عن اتخاذ القرار. إنه ينظر لي كما لو كان منوطًا بي أن أتخذ القرار نيابةً عنه.

أهز رأسي وأقول:

- لقد سرقوا منا اثنتي عشرة سنة يا جوش، لا أظنني أستطيع مسامحتهم على ذلك، لكنني في الوقت نفسه لن أستاء منك لو أردتَ أن تُسامحهم، فقط أريد أن أكون أمينًا معك. أنت شخص مستقل بذاته، لو أردتَ أن تمنح أباك فرصةً للتعرُّف عليك سأضع ابتسامةً لطيفة على وجهي وأمضي معك إلى باب بيته. فقط أخبرني بالطريقة التي تحتاج بها دعمي وسأدعمك مهما كان.

يومئ جوش ويمسح بطرف قميصه دمعة أخرى فرَّت من عينيه. يجذب نَفَسًا عميقًا ويقول مع زفيره:

- إنه يملك شاحنة.

لا أفهم المقصد من وراء هذه العبارة، لكنني أنظر في نفس الاتجاه الذي يرنو إليه، نحو شاحنة تيم.

يقول جوش:

- كنتُ طوال الوقت أتخيَّله رجلًا فقيرًا لا يستطيع العودة إلى بوسطن، حتى إنني تصوّرت لبعض الوقت أنه عاجزٌ بدنيًّا عن قيادة سيارة، ربما لضعف شديد في نظره أو أي سبب آخر. لا أعرف.. لا يُمكنني أن أتصوَّر أنه يملك شاحنة ولم يبادر بأية محاولة.

لن أقطع حبل أفكاره، أريد فقط أن أبقى بجانبه فيما يتوصَّل إلى قرار.

- إنه لا يستحقُّني، ألا ترى ذلك.

يقولها في صيغة عبارةٍ عوضًا عن سؤال.

- كلاهما لا يستحقك.

يبقى ثابتًا لمدة دقيقة كاملة، يُحدِّق عبر النافذة المجاورة لي، ثم ينظر إليَّ بصرامة ناهضًا في جلسته وقائلًا:

- هل تذكر الواجب الذي لم أُكمله؟ شجرة العائلة؟

يجذب حزام الأمان ويوصده حوله:

- لم يُشيروا أبدًا لحجم شجرة العائلة، لذلك سأرسُم فسيلةً صغيرة بلا أفرع.

ثم يخبط بيديه فوق تابلوه السيارة قائلًا:

- هيا بنا.

https://t.me/fantazynov

أُغرق في الضحك حين يقول ذلك. كنتُ أتوقَّع هذه النتيجة، غير أن الطريقة التي يغزل بها هذا الصبي خفة ظله في اللحظات الأكثر كآبة تجعلني أتفاءل وأطمئن إلى أن أموره ستمضي على ما يُرام.

- فسيلة صغيرة، ها؟

أُدير محرك السيارة وأربط حزام الأمان وأكمل قائلًا:

- ربما ينجح هذا الاقتراح.

- يمكنني أن أرسم فسيلة لها فرعان صغيران، أحدهما لك والآخر لي. سنكون وحدنا في شجرة عائلتنا الجديدة الصغيرة؛ شجرة تبدأ بنا فحسب.

أشعر بحرارة تتجمَّع وراء مُقلتيَّ فأُخرج النظارة الشمسية من تابلوه السيارة وأضعها قائلًا:

- شجرة عائلة جديدة تمامًا تبدأ بنا نحن الاثنين.. هذه الفكرة تروقني فعلًا.

- (يهز رأسه) وسنقوم بعملٍ أفضل كثيرًا في المحافظة عليها مما فعله آباؤنا السيئون.

- لن يكون هذا صعبًا بالمرة.

أرتاح كثيرًا بعد قراره، ربما يغير جوش رأيه في المستقبل، لكن لديَّ اعتقاد قاطع بأنه حتى لو استعاد علاقته بأبيه فيما بعد، فلن يختاره أبدًا عليَّ. إنه يذكِّرني بي في مثل سنِّه، والإخلاص يبدو سمةً واضحة فينا معًا.

- أطلس.

يقولها جوش حالما أضع ناقل الحركة في وضع الاستعداد للقيادة.

- ماذا هنالك؟

- هل يمكنني أن أُشير إليه بالإصبع الأوسط؟

أنظر خلفي إلى تيم وبيته وشاحنته.. صحيح أنه طلب طفولي، لكنني سعيد بالاستجابة له على هذا النحو:

- أرجوك.

يميل جوش ناحية شباكي قدر ما يسمح له حزام الأمان، فأفتح الشباك وأضغط آله التنبيه فينظر نحونا تيم ونحن نتحرك بالسيارة.

يرفع له جوش إصبعه الأوسط صائحًا:

- مؤخِّـ ... ــرة!

يقولها عبر شباكي، وحين نبتعد عن مجال رؤيته يسقط جوش فوق مقعده غارقًا في الضحك.

أقول له:

- مؤخرة يا جوش، إنها كلمة واحدة.

فيُعيدها بالنطق الصحيح:

- مؤخرة.

فأقول:

- شكرًا، الآن توقَّف عن قولها فلا تزال في الثانية عشرة من عمرك.

https://t.me/fantazynov

الفصل الثاني والثلاثون

لِيلي

هل أنتِ في البيت؟

الرسالة من أطلس، فأرُدُّ عليها: *لمدة دقيقة، لماذا تسأل؟*

أضع طعام إيمي في حقيبة الحفاضات ثم أهرع حول الغرفة لأجمع الملابس والغيارات. أضع أيضًا علبة حليب الرُّضَّع إذ لم تعُد إيمي ترضع طبيعيًّا، ثم أحملها في عجالةٍ وأنا أقول:

- هل أنتِ مستعدة للذهاب إلى رايلي؟

تبتسم إيمي لسماع اسم رايلي.

حين أخذتُ إيمي صباح اليوم من بيت أليسا، تحدثتُ معها هي ومارشال بخصوص ما دار بيني وبين رايل. رأت أليسا أن إطلاع المحامية على رسائل رايل حركة ذكية، وقالت إن الوقت قد حان لعَقْدِ جلسة جادَّة مع رايل؛ أشعر بتوتر شديد، لكن وقوف أليسا ومارشال في ظهري يطمئنني إلى حدٍّ كبير.

قبل أن أصل إلى باب الشقة أسمع طرْقًا مفاجئًا، أنظر من خلال العين السحرية فأجد أطلس واقفًا خلف الباب وحده بدون جوش،

https://t.me/fantazynov

فيسقط قلبي على الفور. *هل اختار أن يبقى مع أبيه ويترك أطلس؟*
أفتح الباب بسرعة.

- ماذا حدث؟ أين جوش؟

يبتسم أطلس، فأرتاح مباشرةً حين أرى الثقة التي تمتلئ بها ابتسامته:

- إنه بخير، تركته في بيتي.

أُطلق زفيرًا وأقول:

- أوه، إذًا لماذا جئتَ هنا؟
- كنتُ أقود سيارتي في طريقي إلى المطعم، ففكرتُ أن أصعد لأسرق حضنًا.

أبتسم، ويُمسك أطلس الباب المفتوح لي، لا يستطيع احتضاني كما يُحب لأنني أسند إيميرسون فوق خصري، فيطبع قُبلةً سريعة على جانب رأسي.

أقول له:

- يا لك من كاذب، شقَّتي ليست في طريقك على الإطلاق، واليوم هو الأحد، ما يعني أن مطعمك مغلق.

يُعلِّق قائلًا:

- ما هي إلا تفاصيل.. إلى أين؟
- بيت أليسا، سنتعشَّى عندها الليلة.

أحمل حقيبة الحفاضات فوق كتفي، لكنه يأخذها مني.

- سأتمشَّى معكِ إلى الخارج.

يحمل الحقيبة فوق كتفه. تحاول إيمي الوصول إليه فنندهش من كونها مستعدةً للانتقال من ذراعيَّ إلى ذراعَيه. تضع رأسها على صدره فيستوقفني هذا المشهد للحظة، كما يستوقف أطلس أيضًا ويجعله يبتسم لي، ثم يستكمل المسير في اتجاه سيارتي وهو ممسك بيدي طوال الوقت.

آخذ إيمي منه وأضعها في كرسي الأطفال. الآن صرنا في وضع يسمح له بأن يضمَّني في حضن حقيقي. يجذبني إليه، وأشعر بحوار كامل يجري عبر هذا الحضن. يضمُّني بطريقة تُشعرني بأنه يحتاج لمَن يقوِّيه، كأنه يريد أن يأخذ قطعةً مني ويحملها معه. أسأله وأنا أتراجع إلى الخلف:

- إلى أين أنت ذاهب؟

- أنا ذاهب إلى المطعم بالفعل. طلبتُ من ساتن أن تلتقيني هناك. نحتاج لأن نتناقش بجدية حول موقف جوش، وأُفضِّل أن أناقش ذلك على انفراد بيني وبينها. إنها تتغذَّى على الحضور الجماهيري، وأرفض أن أمنحها ذلك.

- يا للدهشة، أنا ذاهبة إلى أليسا من أجل تلك الجلسة مع رايل التي أخبرتك بأني أريد عَقْدَها معه. هل هذا يوم الأحد المخصَّص لحل المشكلات؟

- (يضحك برقَّة) أرجو ذلك.

أقبِّله وأنا أقول:

- أتمنى لك حظًّا سعيدًا.

فيبتسم بلطافةٍ قائلًا:

- ولكِ أيضًا، انتبهي لنفسكِ، واتصلي بي حالما تستطيعين.

يُقبّل شفتيَّ لمرة أخيرة، ثم يُفلتني وهو يقول:

- أحبكِ يا صغيرتي.

يمشي إلى سيارته. لا أعرف لماذا تتركني كلماته حائرةً لهذا الحد، لكني أبتسم وأنا أدخل السيارة. *أحبكِ يا صغيرتي*. لا أزال أبتسم وأنا أبتعد بالسيارة، ويُفاجئني مزاجي الجيد باعتبار ما أنا في طريقي إليه، وكيف كانت زيارته مجرد مداخلة عفوية وليست لقاء متفقًا عليه. أنا ذاهبة للقاء أليسا ومارشال على العشاء، ورايل لا يعرف أني هناك لهدف محدد.

***

- لازانيا؟

أسأل مارشال حالما يفتح لي الباب الأمامي، فباستطاعتي أن أشمَّ رائحة الثوم والطماطم من الممر الخارجي.

- إنها الطبخة المفضلة عند أليسا.

هكذا يقول وهو يُغلق ورائي. يمُدُّ ذراعَيه إلى إيمي ويجذبها نحوه قائلًا:

- تعالي إلى عمكِ مارشال.

https://t.me/fantazynov

تُكركر حين ترى الوجه الذي يصنعه لها. إنه من الأشخاص المفضَّلين لإيمي، وأظننا سنجد صعوبةً كبيرة في العثور على طفلٍ لا يُحب مارشال. أسأله:

- هل أليسا في المطبخ؟

يهزُّ رأسه قائلًا بهمس:

- نعم، وهو كذلك في المطبخ. لم نذكُر أمامه أنكِ ستجيئين هنا.

- حسنًا.

أضع حقيبة الحفاضات وأذهب صوب المطبخ. أرى والدةَ رايل وأليسا جالسةً مع رايلي في غرفة المعيشة حين أعبر من جانبها، ألوِّح لها بالتحية فتبتسم لي، لكنني لا أتوقَّف للحديث معها بل أذهب مباشرةً لأليسا.

حين أعبر باب المطبخ أرى رايل واقفًا مستندًا إلى البار، يثرثر مع أليسا بحديث اعتيادي، لكن بمجرد أن تقع عيناه عليَّ يتصلَّب عموده الفقري وينهض واقفًا في اعتدال.

لا أُبدي أي ردة فعل على الإطلاق، لا أريده أن يتصوَّر أن باستطاعته أن يتحكَّم فيَّ بدءًا من هذه اللحظة.

كانت أليسا تنتظر وصولي، لذا تُبدي ترحيبها بي بإيماءة طفيفة ثم تُغلق باب الفرن على اللازانيا وتقول:

- توقيت مثالي.

وتضع المسَّاكات فوق الكاونتر وتُشير إلى طاولة الطعام وتقول:

- أمامنا خمسة وأربعون دقيقةً حتى تصير جاهزة للتقديم.

https://t.me/fantazynov

وتقودنا أنا ورايل إلى الطاولة.

- ما الموضوع؟

يسأل رايل وهو ينظر إلينا أنا وأليسا رواحًا وجيئة.

فتقول أليسا:

- مجرد نقاش عادي.

وتحُثُّه على الجلوس، فيُدير عينيه ويتَّخذ على مضضٍ مقعدًا مُقابلًا لنا أنا وأليسا. يستند إلى الوراء ويطوي يديه أمام صدره، فتنظر نحوي أليسا كأنها تدعوني للحديث.

لا أدري كيف لا أشعر بالخوف الآن، ربما لأن أطلس خاض نقاشًا سابقًا مع رايل وطرح خلاله أغلب مخاوفي، وربما لأن وجود أليسا ومارشال معنا بداخل الشقة يمنحني طبقة إضافية من الحماية، حتى وجود والدة رايل برغم أنها لا تعرف أي شيء عما سيحدث الآن، فرايل يُحافظ على سلوكياته في وجود أمه، وهذا يجعلني ممتنة لوجودها الآن.

أيًّا ما كان ما يمنحني القوة في هذه اللحظة، سأحرص على الاستفادة منها. أبادره قائلةً:

- لقد سألتني بالأمس إن كنتُ قد تحدَّثتُ مع المحامية، وها أنا أقول لك إنني قمتُ بذلك فعلًا وكان لها بعض الاقتراحات.

يعض رايل على شفته السفلى لمدة ثوانٍ، ثم يرفع حاجبًا يُفيد بأنه ينصتُ جيدًا إلى الكلام.

- أريدك أن تخوض برنامج التحكُّم في الغضب.

حالما تخرج هذه الكلمات من فمي، ينطلق رايل في الضحك. ينهض واقفًا متأهبًا لدفع مقعده وإنهاء النقاش، لكن بمجرد أن يفعل هذا تقول له أليسا:

- اجلس، من فضلك.

يُقلِّب رايل عينيه بيني وبينها. تمضي ثوانٍ وهو يستوعب ما يجري هنا، من الواضح أنه يشعر بوجود فخ ما في هذه اللحظة، لكنني لم آتِ هنا لأتعاطف معه، لا أنا ولا أخته.

إنه يُحب أليسا ويُقدِّرها كثيرًا، لذلك يُعاود الجلوس على مضض برغم غضبه.

- وأثناء خَوْضِك برنامج التحكُّم في الغضب، أُفضِّل أن تكون زياراتك لإيميرسون هنا في بيت أليسا، أو في أي مكان يتواجد فيه مارشال وأليسا.

يُحوِّل رايل عينيه الآن إلى أليسا.. لو كان قد حدجني في الماضي بنظرات كهذه تحمل الاتهام بالخيانة لانتابتني قشعريرة الخوف، أما الآن فلا تترك فيَّ أي أثر.

أُكمل كلامي:

- وبناءً على تعاملاتك معي خلال الفترة القادمة، سنُقرر معًا كعائلة الوقتَ المناسب لحصولك على زيارات غير خاضعة للرقابة مع البنتَين.

- *البنتَين*؟

يُكررها رايل بارتياب وهو ينظر إلى أليسا، ويُكمل بصوتٍ أكثر حدَّة:

- هل أقنعوكِ أنتِ أيضًا بأني خَطِرٌ على ابنة أختي؟!

يُفتَح باب المطبخ ويدخل مارشال، يتخذ مقعدًا على رأس الطاولة وينظر إلى رايل وأليسا ثم يقول لها:

- أمُّكِ تجالس البنتَين في غرفة المعيشة.. ماذا فاتَني من هذا النِّقاش؟

فيسأله رايل:

- هل أنت على عِلْم بهذا؟

فيُحدِّق فيه مارشال ثم يميل إلى الأمام قائلًا:

- هل أنا على عِلْم بأنك فقدتَ السيطرة على أعصابك مع لِيلِي قبل أسبوع وحشَرْتَها في الباب؟ أم تقصد إن كنتُ على عِلْم برسائل التهديد التي أرسلتَ بها؟ أم تهديداتك حين قالت إنها ستلجأ إلى المحامية؟

يحمرُّ وجه رايل ويظل، لكنه لا يُبدي رد فعل مباشر وهو يرمق مارشال بوجهٍ خالٍ من التعبير، إنه محصور في الركن الآن ويعرف ذلك جيدًا. يُتمتم قائلًا وهو يهزُّ رأسه:

- اللعنة على هذا التدخُّل.

إنه حانق، متوتر، يشعر بخيانة ما. كل هذا مفهوم. أمامه الآن أن يُبدي تعاونًا من ناحيته، أو أن يتسبب في شرخ العلاقات القليلة التي تبقَّت في حياته.

يرميني رايل بنظرةٍ يائسة ويقول بشيء من العجرفة:

- وماذا بعد؟

أُجيب:

- لقد عاملتُك كأفضل ما يكون يا رايل، وأنت أكثر مَن يعرف ذلك، لكنْ من الآن فصاعدًا لن يعنيني إلا مصلحة إيميرسون، أرجو أن تعيَ هذا جيدًا، فلو أقدمتَ على أي شيء يُمثِّل تهديدًا أو إيذاءً لي أو لابنتنا سأبيع كل ما أملك لكي أُقاضيكَ في المحكمة.

وتقول أليسا:

- وسأُساعدها.. أُحبكَ لكنني سأُساعدها.

يتقلَّص فك رايل، لكن دون ذلك فإن وجهه يبقى خاليًا من التعبير. يرمق أليسا ثم مارشال. ثمة توتُّر محسوس يسود المطبخ، ومعه الدعم الواضح من أليسا ومارشال. أكاد أبكي من شعوري بالامتنان لهما.

أكاد أبكي لأجل الضحايا الذين لا يجدون أناسًا كهذين.

يغلي رايل من داخله لبرهةٍ تطول. الصمت يسود، لكنني قلتُ كلَّ ما لديَّ، ووضَّحتُ تمامًا أن لا مجال للتفاوض في هذا الأمر.

يتراجع بكرسيِّه بعد قليل، وينهض واقفًا. يضع يديه حول خصره ويُحدِّق أسفل قدميه، ثم يسحب نَفَسًا عميقًا قبل أن يتوجَّه صوب باب المطبخ. وقبل أن يُغادر يستدير ناظرًا تجاهنا دون أن يستقر بعينيه على أحد، ويقول:

https://t.me/fantazynov

- لديَّ عطلة يوم الخميس القادم، سأكون هنا في حوالي العاشرة وأريد أن أجد إيميرسون في انتظاري.

يُغادر أخيرًا، وعندها تنهار كل دفاعاتي وأتصدَّع تمامًا. تُحاوطني أليسا بذراعيها وأنا أبكي، لا من الغضب بل من شعوري بالخلاص، بالارتياح التام. أشعر كأننا أنجزنا شيئًا في غاية الأهمية، أقول لأليسا من بين دموعي:

- لا أعرف ماذا أفعل لو كنتما غير موجودَين.

تضمُّني أليسا وتمسح على شعري وتقول:

- ستكونين بائسة جدًّا يا عزيزتي لِيلِي.

فنشرع في الضحك معًا..

الفصل الثالث والثلاثون

أطلس

اتصلتُ بساتن بعدما وصَّلتُ جوش إلى البيت، وطلبتُ منها أن نتقابلٍ في بيبز. وصلتُ قبل الموعد بساعة. لم أطهُ لها طعامًا من قبل، لذا فكّرتُ أن إعداد وجبةٍ لضيافتها سيكون له تأثير ما، كأنْ يُبهجها أو يجعلها في مزاج طيب على الأقل؛ أي شيء يقلل من رغبتها في الشجار.

يُصدر هاتفي طنينَ ورود رسالة جديدة، فأخطو مُبتعدًا عن الفرن وأنظر إلى الشاشة، كنتُ قد طلبتُ منها أن ترسل رسالة حين تصل إلى المكان حتى أفتح لها. وها هي تصل مبكرةً خمس دقائق.

أمشي عبر ظلام المطعم وأضيء بعض الأنوار في طريقي. أراها تقف أمام المطعم تدخِّن سيجارة. حين ترى الباب يُفتح تُطفئ عقب السيجارة في أديم الشارع وتتبعني إلى الداخل.

تسألني:

- هل جوش موجود هنا؟

فأُشير نحو الطاولة قائلًا:

- لا، أنا وأنتِ فقط. تفضّلي بالجلوس، ماذا تشربين؟

https://t.me/fantazynov

تنظر إليَّ في صمتٍ للحظات، ثم تقول:

- نبيذ أحمر، أو أي زجاجة مفتوحة لديك.

تجلس في رُكنٍ مُنزَوٍ من الصالة، وأعود لكي أُعِدَّ الأطباق؛ الجمبري مع جوز الهند المفضَّل لديها، والذي رأيتها تقع في غرامه وأنا في سن التاسعة.

كان ذلك خلال الرحلة الوحيدة التي أخذتني إليها وأنا صغير، ذهبنا إلى شبه جزيرة كيب كود على مسافة ليست بعيدة من بوسطن، وهي المرة الوحيدة التي أتذكَّر فيها أني قضيتُ أيَّ وقتٍ مع أمي في يوم عطلة. عادةً ما كانت تنام أو تواصل الشراب في أيام العطلات، لذلك فإن ذكرى هذا اليوم في كيب كود حين جرَّبنا الجمبري مع جوز الهند لأول مرة ظلَّ لها مكانة عندي.

أضع الأطباق والمشروبات على صينية وأحملها إلى الطاولة التي تجلس إليها أمي. أرصُّ أمامها الطعام والنبيذ، ثم أجلس قبالتها وأدفع إليها بأدوات المائدة.

تُحدِّق في الطبق لبرهة ثم تقول:

- هل طهوتَ هذا بنفسك؟

- نعم، الجمبري مع جوز الهند.

- وما المناسبة؟ (تفرد منديل المائدة) هل هذا اعتذار عن تصوُّرك السابق بأنك تستطيع رعاية صبي مثله؟

تضحك كأنها قالت نكتة، غير أن الهدوء الذي يسود المطعم يجعل الضحك يتلاشى في الفراغ. تهزُّ رأسها وتتناول كأس النبيذ وترشف منه.

أعرف أنها تفوقني خبرةً بجوش باثني عشر عامًا، لكنني مستعد لأن أراهن على معرفتي به أكثر منها. والأرجح أن جوش يعرفني أكثر منها مع أنني عِشتُ معها سبعة عشر عامًا. أسألها:

- ماذا كان طعامي المفضَّل في صباي؟

تُحدِّق فيَّ بلا تعبير. ربما كان سؤالًا صعبًا. أقول:

- حسنًا، ماذا كان فيلمي المفضَّل؟

لا إجابة.

- لوني المفضَّل؟ نوع الموسيقى؟

أعطيها خيارات إضافية أمَلًا في أن تُجيب على أحدها على الأقل.

لا تستطيع. تهزُّ كتفَيها وتضع كأس النبيذ.

أسألها:

- ما نوع الكُتُب التي يُحب جوش قراءتها؟

فتسألني:

- هل هذا سؤال خادع؟

أتَّكئ إلى الخلف مُحاولًا إخفاء انفعالي، غير أنه يعيش ويتنفَّس في كل خلية مني، أقول لها:

- أنتِ لا تعرفين أي شيء عن اللذين أنجبتهما إلى العالم.

https://t.me/fantazynov

- كنتُ أمًّا وحيدة لكليكما يا أطلس، لم أجد الوقت للاهتمام بما تُحبان أن تقرآه بينما أسعى لمجرد البقاء على قيد الحياة.

تُسقِط الشوكة التي كانت توشك على استعمالها وتقول:

- إلهي!

أقول:

- لم أطلب منكِ المجيء هنا لأضايقكِ.

أرشف من كوب الماء ثم أدور بإصبعي حول حافته وأُكمل قائلًا:

- لا أحتاج حتى لاعتذار، ولا هو يحتاج.

أنظر إليها مباشرةً، مذهولًا مما أوشك على قَوْلِه لها فلم أجئ حتى أقول هذا الكلام، غير أن الأشياء التي دفعتني إلى المجيء هنا بدافع من الأنانية ليست ما يُلِحُّ عليَّ الآن. أقول:

- أريد أن أمنحكِ فرصةَ أن تكوني أمًّا أفضل بكثير له.

- قد يكون الموضوع أنَّ عليه هو أنْ يكون ابنًا أفضل لي.

- إنه صبي في الثانية عشرة، لذا فهو جيد بما يناسب مرحلته العمرية، كما أنه ليس مسئولًا عن العلاقة التي تجمعكِ به.

تَحُكُّ ذقنها ثم تُشيح بيدها في الهواء وتقول:

- ماذا وراءك؟ لماذا أتيتَ بي إلى هنا؟ هل تريدني أن أستعيده لأنك لا تستطيع رعايته؟

- هذا أبعد شيء عما أريده. أريدكِ أن تتنازلي عن الوصاية القانونية لي، وإن لم تفعلي سنذهب إلى المحكمة ونتكلَّف مبالغ طائلة لا يريد أي منا أن يتكبَّدها. لكني لو اضطررتُ

لذلك سأذهب بالملف كاملًا إلى القاضي، الذي بمجرد النظر إلى سوابقكِ سيُجبركِ على الخضوع لعام كاملٍ من دروس التنشئة الأبوية، التي يعرف كلانا أنكِ لن تُطيقي إكمالها.

أميل إلى الأمام طاويًا ذراعيَّ معًا، وأقول:

- كل ما أريده هو الوصاية القانونية عليه، لا أن أجعلكِ تختفين من حياته، هذا ما لا أريده لكما، فآخر ما أتمناه للصبي أن ينشأ شاعرًا بأنكِ لا تحبينه كما شعرتُ أنا من قبل.

تتجمَّد في جلستها إثر سماع كلامي فأتناول شوكتي وآخذ قضمة من طبق العشاء.

تُحدِّق فيَّ بينما ألوك طعامي، وتستمر في التحديق فيما أجرع من كوب الماء لأبتلع الطعام. أثق أن عقلها يسابق بحثًا عن سُبَّة أو تهديد من اختراعها، فلا يجد أي شيء.

- سنتجمَّع هنا على العشاء مساء كل ثلاثاء، كعائلة. سيكون مرحَّبًا بكِ على الدوام، وأثق في أنه سيفرح باجتماعنا معًا. لن أطلب منكِ سِنْتًا لأجله، كل ما أطلبه أن تجيئي مساء كل أسبوع وأنتِ راغبة في معرفة تطوراته، حتى لو اضطُررتِ لادعاء الاهتمام.

ألمح أصابع ساتن ترتعش فيما تمُدُّ يدها إلى كأس النبيذ، هي أيضًا تنتبه لارتعاشتها فتقبض يدها قبل الوصول إلى الكأس وتُعيدها لحِجْرِها. تقول:

- لا بد أنك نسيتَ كيب كود، ما دمتَ تراني أمًّا فظيعةً لهذه الدرجة.

- بل أتذكَّر كيب كود. إنها الذكرى الوحيدة التي أُحاول أن أتمسَّك بها حتى لا أمقتكِ. لكن بينما تشعرين بأنكِ فعلتِ شيئًا رائعًا أن منحتني تلك الذكرى الوحيدة، سأعمل على أن أمنح جوش شيئًا مماثلًا في كل يوم من أيام حياته.

تنظر ساتن لأسفل حين أقول ذلك. لأول مرة يبدو عليها أنها تختبر مشاعر أخرى غير السخط والانفعال.

قد ينطبق عليَّ أيضًا نفس الوصف. حين قررتُ أن أخوض هذا النقاش معها وأنا في الطريق عائدًا من بيت تيم، كنتُ عازمًا على قطع الصلة بينها وبين حياتنا إلى الأبد. لكن حتى الوحوش لا تستطيع أن تستمر في البقاء دون قلبٍ ينبض في صدورها.

ثمة قلب في مكان ما بداخلها، ربما لم يُخبرها أحد من قبل بأنه يُقدِّر وجوده وأنه لا يزال ينبض بالمشاعر.

- شكرًا لكِ.

هكذا أقول لها.

تختلج عيناها وتنظر في عينيَّ؛ تظن أنني أضعها في اختبار ما بهذا التعليق.

أهزُّ رأسي مضطربًا بما أوشك أن أقوله لها:

- كنتِ أمًّا عازبة، وأعرف أن أبوَينا لم يُساعداكِ في أي شيء. لا بد أن ذلك كان صعبًا للغاية بالنسبة إليكِ. ربما تشعرين بالوحدة أو بالاكتئاب. لا أعرف لماذا لا ترين الأمومة على

حقيقتها كهديةٍ مهداةٍ إليكِ، لكن ها قد أتيتِ الليلة، وهذا جهدٌ يستحق الشكر.. فشكرًا لكِ.

تنظر إلى سطح الطاولة، وينتابها رد فعل غير متوقَّع على الإطلاق، إذ تبدأ كتفَاها في الارتعاش، لكنها تُقاوم الدموع بكل ما لديها من قوة. ترفع يديها على الطاولة وتعبث في المنديل بعصبية لكنها لا تُضطر قط لاستعمالها لأنها لا تسمح لدمعةٍ واحدة أن تسيل من عينيها.

لا أعرف ما الذي مرَّت به فجعلها بهذه الصلابة، لا ترضى أبدًا أن تُظهِر ضعفها. ربما يأتي اليوم الذي تُخبرني فيه بكل شيء، لكن عليها أن تفعل الكثير حتى تُثبت أمومتها لجوش قبل أن نصل معًا لهذه النقطة.

تجذب كتفَيها من جديد وتستقيم في جِلستها وتقول:

- ما موعد العشاء الأسبوعي في أيام الثلاثاء؟

- السابعة مساءً.

تهزُّ رأسها وتبدو كأنها ستُغادر المكان.

فأقول لها:

- أستطيع أن آتي لكِ بعُلبة لتأخذي باقي الطعام.

تومئ موافِقةً وتقول:

- نعم أُحب ذلك، لطالما كان طبقي المفضَّل.

- أعرف، أتذكَّر كيب كود جيدًا.

آخذ طبقها إلى المطبخ وأجهِّزه لتأخذه معها.

***

https://t.me/fantazynov

حين أصل إلى البيت أجد جوش نائمًا على الكنبة، وفيلم الأنمي يُعرَض في التلفزيون، فأضغط زرَّ إيقاف التشغيل وأضع الريموت على الطاولة.

أتأمَّله وهو نائم لبرهة مغمورًا بالارتياح بعد هذا اليوم الطويل. كان محتمَلًا أن تأخذ الأمور مجرًى مُغايرًا تمامًا. أزمُّ شفتيَّ معًا حابسًا ذلك الإرهاق النفسي الذي يجتاحني وأنا أتأمَّله نائمًا في سلام. أدرك فيما أحدق فيه أنني أراه مثلما ترى لِيلِي ابنتها إيميرسون، بكل ما فيها من افتخار.

https://t.me/fantazynov

أسحب عليه الغطاء المفرود على ظهر الكنبة، ثم أخطو إلى الطاولة حيث ترك جوش واجبه المدرسي؛ لقد انتهى منه تمامًا، حتى شجرة العائلة.

رسم فسيلةً صغيرةً تنبتُ من الأرض، يتفرَّع منها فرعان صغيران، أحدهما يُدعى جوش والآخر أطلس.

https://t.me/fantazynov

الفصل الرابع والثلاثون

لِيلِي

كدتُ لا أرى الرسالة من شدة استعجالي هذا الصباح. زُجَّ بها من تحت الباب الأمامي فاندسَّ جزء منها تحت سجادة المدخل.

كانت إيمي مسنودة على جانب خصري، وحقيبة يدي مع حقيبة الحفاضات معلقتان على كتفي، والقهوة في يدي الخالية، وتمكنتُ بصعوبة من الانحناء والتقاط الرسالة دون أن يقع مني أي شيء. أمٌّ خارقة بالطبع.

كان عليَّ أن أنتظر حتى أحصل على لحظة هادئة أثناء العمل لكي أفتحها. وحين أفتحها وأرى خط يد أطلس تسري بداخلي موجة ارتياح، ليس لأني ظننتُ أن الرسالة من شخص آخر غير أطلس، فمنذ عدة أشهر ونحن معًا ويترك لي الرسائل بين الحين والآخر، غير أن هذه هي أول رسالة لا يخشى جزءٌ مني أن يفتحها، فليس ثمة احتمال أن تكون رسالةً من رايل.

أسجل ملاحظة ذهنية حول أهمية هذه اللحظة.

كثيرًا ما أفعل هذا؛ ملاحظات ذهنية حول الأشياء ذات الأهمية الخاصة التي تُبرهن على أن حياتي تعود أخيرًا لمجراها الطبيعي. لم

https://t.me/fantazynov

أعُد أفعل ذلك بنفس المعدَّل السابق ما أجده شيئًا جيدًا. صار رايل يحتل الآن جزءًا صغيرًا من حياتي لدرجة أني أنسى أحيانًا كيف كنتُ أتصوَّر الأمور بيننا ستظل معقَّدة إلى الأبد.

لا يزال جزءًا أساسيًّا من حياة إيمي، لكنني حرصتُ على دفع الأمور في مسارٍ أكثر تنظيمًا معه. يُحاول أحيانًا أن يُقاوم صرامتي فيما يخُصُّ زياراته لإيمي، غير أنني لن أكون مرتاحةً أبدًا حتى تستطيع أن تُخبرني بنفسها ما يجري أثناء زيارات رايل. آملُ أن تكون تدريبات التحكم في الغضب قد حققت بعض الفائدة، وليس هناك إلا الوقت شاهدًا على هذا الأمر.

لا يزال الاتصال بيني وبين رايل مقصورًا على أضيق الحدود، لكني لم أرِد من وراء طلاقنا إلا التحرر من الخوف، وهذا ما تحقق لي بالفعل.

أختبئ الآن بداخل الخزانة في غرفة المكتب متربِّعةً على الأرض، حتى أقرأ هذه الرسالة دون أن يُقاطعني أحد. مضت شهور منذ أجبرتُ أطلس على الاختباء هنا بداخل الخزانة، ولا تزال رائحته عالقة بالمكان.

أفتح الرسالة وأتقفَّى القلب الصغير الذي رسمه أعلى الصفحة الأولى على اليسار، وأشرع في الابتسام مع قراءة أول كلمة.

عزيزتي لِيلِي،

لا أعرف إن كنتِ على دراية بتاريخ اليوم، لكننا وبصفة رسمية نتواعد منذ نصف عام كامل. هل يحتفل الناس بمناسباتٍ نصف

سنوية؟ كان يمكن أن أُهديكِ باقةً من الزهور، غير أني لا أُريد أن أُرهِق صاحبة محل الزهور كثيرًا.

لذا قررتُ أن أهديكِ هذه الرسالة بدلًا من الزهور.

يقولون إن لكل حكاية وجهَين، وقد قرأتُ حكايتَين من حكاياتكِ، وبرغم أنهما وقعتا كما وصفتيهما بالضبط، فإن ما وصلني منهما يختلف كثيرًا عما وصفتِه.

لقد عبرتِ سريعًا على هذه اللحظة في مذكّراتكِ، برغم أنها كانت تعني لكِ الكثير لدرجة أنكِ صنعْتِ هذا الوشم الذي يُخلِّدها. لكنني لستُ متأكدًا من أنكِ تعرفين ما تعنيه تلك اللحظة بالنسبة لي.

تقولين إن أول قُبلة ضمَّتنا معًا كانت على سريركِ، لكن من وجهة نظري فلا أعتبر هذه قُبلتنا الأولى. كانت أول قُبلة في منتصف يوم إثنين.

كانت أثناء الفترة التي كنتُ خلالها مريضًا وكنتِ تُراعينني وتهتمّين لشأني. عرفتِ أنني مريض بمجرد مروري زاحفًا عبر شبّاككِ. أتذكّر كيف تصرَّفتِ على الفور، فجَلَبتِ لي الدواء والماء والبطاطين، وأجبرتني على النوم في سريركِ.

لا أتذكَّر أني مرضتُ لهذا الحد في حياتي، أعتقد أنكِ شَهِدتِ أسوأ أيامي على الإطلاق، مع أنني خبرتُ الكثير من الأيام السيئة، لكن وأنتِ تمُرّين بلحظات الألم نفسها فإن جرثومة المعدة تبدو لكِ أسوأ ما يمكن أن يمُرَّ عليكِ على الإطلاق.

https://t.me/fantazynov

لا أتذكَّر الكثير من تلك الليلة، لكني أذكر يديكِ جيدًا. كانت يداكِ قريبتَين مني باستمرار، فإما تطمئنَّان على حرارتي أو تمسحان وجهي بقطعة قماش أو تُمسكان بكتفيَّ كلما أصابني تقلُّص شديد أثناء الليل بجوار سريركِ.

هذا كل ما أتذكَّره: يداكِ. كنتِ تضعين طلاء أظافر ذا لون وردي فاتح، حتى إنني أذكر اسم اللون نفسه لأنني كنتُ بجواركِ وأنتِ تطلين أظافركِ. كان اسمه «زنبق المفاجآت» (Surprise Lily) وقد أخبرتِني بأنكِ اخترتِه لأنه يحمل اسمكِ.

كنتُ بالكاد أفتح عينيَّ، لكن في كل مرَّة أفتحها أرى يديكِ الرقيقتَين المساندتَين بأظافرهما المطلية بزنبق المفاجآت الذي يحمل اسمكِ، تحملان لي زجاجة المياه، تُقدمان لي الدواء، تتحسسان خطوط فكِّي.

حقًّا يا لِيلِي، أتذكَّر تلك اللحظة برغم أنكِ لم تكتبي شيئًا عنها.

وبعد ساعات المرض الطويلة، أتذكَّر أنني استيقظتُ، أو على الأقل صرتُ أكثر وعيًا بما يُحيط بي، الضربات تتوالى داخل رأسي، والعطش يُجفف فمي، والوسن يُثقل على جفوني، ومع ذلك أشعر بكِ.

أشعر بنَفَسكِ فوق ذقني، وأناملكِ تتحسس فكِّي، تتلمَّس عظامه نزولًا لذقني.

كنتِ تظنينني نائمًا فلا أعرف أنكِ تتحسسين وجهي، تتأملينني، غير أنني لم أشعر بشيء كما شعرتُ بكِ في تلك اللحظة.

كانت اللحظة نفسها التي أدركتُ فيها أني أحبكِ. أسِفتُ أني أدرك أمرًا بهذه الجسامة والروعة في أثناء يوم بائس كهذا، لكن الحب غمرني تمامًا لدرجة أني أوشكتُ على البكاء لأول مرة منذ سنوات، ولم أعرف كيف أتعامل مع مثل هذا الشعور.

صدقيني يا لِيلي، لقد خضتُ حياتي حتى هذه اللحظة دون أن أعرف طبيعة الشعور بالحب، لم أشعر كيف يكون الحب بين الأم وولدها، بين الأب وولده، حتى بين الإخوة. وحتى التقيتُكِ آنذاك لم أكن قد قضيتُ وقتًا طويلًا هكذا مع شخص لا تربطني به صلة قرابة، خاصة مع فتاة. لم أُمضِ وقتًا كافيًا للتعرُّف على فتيات أو ليتعرَّفن عليَّ، أو لتكوين أي صلة عميقة مع أي شخص، لم أقابل فتاةً تُثبت لي اهتمامها ولا مساندتها ولا قلقها عليَّ ولا أي شيء مما رأيتُه معكِ وحدكِ.

لا أقول إنها اللحظة التي أدركتُ فيها أني مُغرم بكِ، بل كانت أول لحظة أُدرك فيها أني أُحب أي شيء، أي شخص، اللحظة الأولى على الإطلاق. كانت المرة الأولى التي أشعر فيها بقلبي يتحرَّك نحو أي شيء، بشكل إيجابي على الأقل. ثمة أشخاص قبلكِ جعلوا قلبي يتقلَّص فَرَقًا، على العكس تمامًا مما فعلته أنتِ به. فحين مَسَّتْ أصابعكِ ذقني كما قطرات المطر الرقيقة، شعرتُ بقلبي يتمدَّد ويتمدَّد حتى يوشك أن ينفجر.

في تلك اللحظة تظاهرتُ بأني أستيقظ ببطء، مددتُ ذراعي لأُغطِّي عينيَّ، فسحبتِ يدكِ بسرعة. أذكر أنني رفعتُ عُنُقي ونظرتُ

https://t.me/fantazynov

إلى شبّاككِ لأعرف إن كان النور قد بدأ يسطع بالخارج، فوجدتُ النهار قد بدأ يطلع بالفعل، فجذبتُ نفسي خارج سريرِك متظاهرًا بأني لا أعرف أنكِ مستيقظة، فنهضتِ وسألتِني إن كنتُ سأغادر بيتكِ، فاحتجتُ لأن أبلع ريقي حتى أجد صوتي وأتكلَّم إليكِ، وبالكاد غادر صوتي فمي فقلتُ شيئًا من قبيل: «أبواكِ سينهضان قريبًا».

قلتِ لي إنكِ ستذهبين سريعًا إلى المَدرسة وتعودين لي في غضون ساعتين، فهززتُ رأسي دون أن أتفوه بشيء فقد كنتُ مريضًا جدًّا، لكن كان عليَّ أن أُغادر حجرة نومكِ في أسرع وقتٍ حتى لا أقع في قَوْلٍ أو فِعْلٍ يتسبب لي في أي إحراج. لم أكن أثق كثيرًا في الشعور المفاجئ الذي أخذ ينبض أسفل جلدي، والذي أخذ يتشكل في صورة احتياجٍ حارقٍ لأن أنظر في عينيكِ وأقول: إني أحبكِ يا لِيلِي! من المضحك كيف تظهر سريعًا تلك الرغبة العارمة في الاعتراف بالحب حالما يشعر به المرء لأول مرة. بدت الكلمات كأنها تتشكّل وحدها داخل صدري، وبرغم أنني كنتُ أضعف كثيرًا من أي وقت، فلم يحدث قط أن سارعتُ هكذا لرَفْع زجاج نافذتكِ والزحف لخارجها.

أغلقتُ النافذة وجلستُ مستندًا إلى جدار بيتكِ الخارجي البارد، وأطلقتُ زفيرًا طويلًا سرعان ما تحوَّل إلى ضباب، فأغمضتُ عينيَّ، وبعد أسوأ ثماني ساعات مرَّت عليَّ في حياتي على الإطلاق، وجدتُني أفغر فمي عن ابتسامة.

أمضيتُ باقي النهار أفكّر في الحب. حتى بعد عودتكِ لي إثر خروج أبويكِ في ذاك اليوم، وقضائي عدة ساعات أخرى مريضًا في

بيتكِ، ظللتُ أفكر في الحب. كلما مرَّت أمام نَاظِرَيَّ أظافركِ المطلية بزنبق المفاجآت وأنتِ تقيسين حرارتي، كنتُ أفكر في الحب. كلما دخلتِ إلى الغرفة وسوَّيتِ البطانية ودسستِها بإحكامٍ أسفل ذقني، كنتُ أفكر في الحب.

وأخيرًا وحين بدأتُ أشعر بتحسُّن طفيف قُرْبَ موعد الغداء، وقفتُ أسفل الدُّش هزيلًا وجافًّا بسبب المرض، وبرغم ذلك بدا لي كأنني أكثر طولًا من أي وقت.

طيلة هذا الصباح ومرورًا بسائر ساعات اليوم، ظللتُ أفكر أن ثمة شيئًا شديد الأهمية قد حدث لي. كانت المرة الأولى التي أشعر فيها بومضة مما يُمكن أن تكون عليه الحياة. قبل هذه اللحظة، لم أهتم بالتفكير في الحب، أو أن تكون لي عائلة في يوم من الأيام، أو حتى فكرة أن يكون لي عمل ناجح. بدت الحياة لي حتى هذه اللحظة كحِمْلٍ يجب عليَّ أن أتحمَّله، كشيء ثقيل ومظلم بحيث يجعل الاستيقاظ صعبًا والنوم مخيفًا على نحو ما. كل ذلك لأنني عشتُ ثمانية عشر عامًا دون أن أعرف ماهية الشعور بالاهتمام الشديد بشخصٍ ما، كيف تريد له أن يكون أول ما تفتح عينيك لتراه في الصباح. هنالك امتلأتُ بالرغبة في أن أصنع شيئًا من نفسي، فقط لأنكِ أول إنسانٍ أرغب من أجله في أن أصبح شخصًا أفضل.

كان هذا في اليوم الذي تمدَّدنا فيه معًا على الأريكة وقلتِ لي إنكِ تريدينني أن أشاهد معكِ كارتونكِ المفضَّل. كانت المرة الأولى التي أجدكِ تقتربين حتى أضمكِ إليَّ، فيلتصق ظهركِ في صدري تحت

البطانية وذراعي ملفوف حولكِ بإحكام. كان من الصعوبة بمكان أن أركِّز في التلفزيون، مع استمرار كلمتَي «إني أحبكِ» في دغدغة حَلْقِي صعودًا إلى فمي، وكنتُ لا أريد أن أتفوّه بها بعد، ولا أستطيع أن أتفوَّه بها لأنني لم أُرِد أن تظنيني أتعجَّل الأمور، أو أن هاتين الكلمتين لا تَزِنان عندي الكثير، فقد كانتا أثقل شيء حملته في حياتي على الإطلاق.

أفكر في ذلك اليوم كثيرًا يا لِيلِي، وليس لديَّ أدنى فكرة إن كان هذا ما يشعر به الآخرون حين يقعون في الحب، كأن طائرة سقطَت من السماء وارتطمَت بك وحدك. فأغلب البشر يشعرون بالحب يتسرَّب دخولًا إلى حياتهم وخروجًا منها طوال الوقت. يولَدون وهُمْ ملفوفون فيه ويمضون في طفولتهم محميّين به، ويجدون أناسًا في حياتهم يستقبلون منهم الحب بالمثل، لذلك لستُ متأكِّدًا إن كان يصدم الناس كما صدمني، في لحظةٍ دقيقةٍ كتلك، وبهذا الجبروت الرهيب.

كنتِ ترتدين ذلك التيشيرت الذي أحبه. كان واسعًا جدًّا عليكِ، لذلك يسقط الكُمَّان كل حينٍ عن كتفيكِ. كان مفترضًا أن أشاهد الكارتون، غير أني وجدتُ نفسي غير قادرٍ على منع نفسي من التحديق في تلك المساحة العارية بين عنقكِ وكتفكِ، وفيما أتأملها شعرتُ ثانيةً بهذه الرغبة الجارفة في قَوْلِ إني أحبكِ يا لِيلِي، وكانت الكلمات هناك فوق حافة لساني بالتحديد، فمِلْتُ إلى الأمام وطبعتُ الكلمات فوق جلدكِ.

وهناك بقيت مطبوعة، مخفية وهادئة، حتى امتلكتُ شجاعةَ أن أفوه بها إليكِ بصوتٍ عالٍ بعدها بستة أشهر.

لم أكن أعرف أنكِ تتذكرين هذه القُبلة، أو أيًّا من المرات التي قبّلتُكِ فيها في نفس الموضع بعد ذلك اليوم. حتى حين قرأتُها في مذكّراتكِ وجدتُكِ تتجاوزينها بعجالة حتى تصِلين إلى ما تعتبرينه بالفعل قُبلتنا الأولى، لذلك لم أعرف من قريب ولا من بعيد أنها تعني لكِ أي شيء حتى تلك اللحظة التي رأيتُ فيها الوشم. لا أعرف كيف أصف لكِ ما يعنيه لي أن أعرف أنكِ وضعتِ قلبكِ في نفس البقعة التي دفنتُ فيها يومًا، وفي سرية كاملة، كلماتي القائلة: إني أحبكِ يا لِيلِي.

أريدكِ أن تعديني بشيء يا لِيلِي.. حين تنظرين إلى هذا الوشم، لا أريدكِ أن تفكري في أي شيء غير الكلمات التي كتبتُها في هذه الرسالة، وفي كل مرة أُقبّلكِ في هذه البقعة، أريدكِ أن تستعيدي السبب الذي جعلتني أُقبّلكِ هناك لأول مرة. إنه الحب.. اكتشافه، مَنْحه، استقباله، الوقوع فيه، الحياة به، والرحيل من أجله.

أكتب هذه الرسالة بينما أجلس على أرضية غرفة جوش. ما حدث في هذه الليلة بيني وبين جوش هو ما أشعل ذاكرتي على نحو ما. إنه مريض بميكروب في المعدة، ربما ليس مريضًا بنفس الدرجة التي كنتُ عليها في اليوم الذي أدركتُ فيه أني أحبكِ، لكنه مريض جدًّا على أية حال. انتقلت إليه العدوى من ثيو، الذي كان مريضًا مثله قبل أيام.

لم أرعَ شخصًا مريضًا من قبل، لهذا ليس لديَّ أي دواء على الإطلاق. أظن أني موشك على الذهاب إلى الصيدلية، قد أسرِّب هذه الرسالة تحت عقب باب شقتكِ في طريقي إلى هناك.

ليس أمرًا مسليًا على الإطلاق أن يراعي المرء شخصًا مريضًا؛ الأصوات، الروائح، قلة النوم، الوضع تقريبًا بنفس السوء بالنسبة لمَن يُقدِّم الرعاية للشخص المريض. كلما قستُ له حرارته، أو أجبرته على شُرْب الماء، فكَّرتُ فيكِ وفي طريقة رعايتكِ لي بتلك الأمومة الفطرية الرقيقة. أُحاول أن أُقلِّد ذلك وأنا أهتمُّ بجوش لكنني لا أعتقد أني أُجيد هذا الأمر مثلكِ من قريب ولا بعيد.

كنتِ صغيرةً جدًّا، أكبر قليلًا من جوش الآن، لكن أُراهن أنكِ كنتِ تعيشين عمرًا أكبر من عمركِ. أعرف ذلك يقينًا بالنسبة لي، مررنا بأمور ليس مقبولًا أن يمُرَّ بها أي طفل، ما يجعلني أتساءل إن كان جوش يعيش سنَّه أو يشعر بأنه أكبر سِنًّا نتيجةَ كل ما مَرَّ به.

أريده أن يعيش سِنَّه الصغيرة لأطول مدة يستطيعها. أريده أن يستمتع بوقته معي. أريده أن يعرف ماهية الحب قبلي بكثير، وأتمنى أن يكون الحب قد تسرَّب إليه ببطء حتى لا يجرفه دون مقدِّمات كما فعل بي. أريد أن يكبر فيه، محفوفًا ومحاطًا به. أريده أن يشهده بعينيه.

أريد أن أكون مثالًا جيدًا له. أريدنا نحن الاثنين أن نكون مثالًا جيدًا له، ولإيميرسون. أنا وأنتِ يا لِيلي.

لقد مرَّت ستة أشهر.

تعالي واسكُني معي.

محبتي،

أطلس

بمجرد أن أنتهي من قراءة الرسالة، أضعها من يدي وأمسح عينيَّ. لو كان هذا مقدار بكائي حين يطلب إليَّ أن أنتقل للسكن معه، فكيف سأنجو من الموقف لو تقدَّم لي بطلب الزواج.

أو القَسَم الذي يُفترض أن أقوله في حفل الزفاف.

أتناول هاتفي وأتصل بأطلس عبر محادثة فيديو، فيرنُّ الهاتف لعشر ثوانٍ طويلة، وحين يردُّ أخيرًا أجده مُمدَّدًا على كنبة غرفة المعيشة، يبتسم في مواجهة إرهاق لا يخفى على أحد بسبب صحيانه طيلة الليل مع جوش.

- كيف حالكِ يا جميلة؟

صوته بالكاد يوحي بالاستيقاظ.

- مرحبًا.

تتخذ يدي شكل قبضة وعليها أريح ذقني، أُحاول التحكُّم في ابتسامتي الغامرة.

- كيف حال جوش؟

- إنه بخير، نائم، لكن أعتقد أني سهرتُ أكثر مما يجب، عقلي مشحون لدرجة لا يستطيع معها أن يَكُفَّ عن العمل.

- أطلس.

أقول اسمه بنبرة تعاطُف لأنه يبدو مُنهَكًا تمامًا، ثم أُكمِل قائلةً:

- هل تحتاج لأن آتي إليكَ وأحضنك؟

https://t.me/fantazynov

- هل تعنين أن تأتي إلى بيتي وتحضُنينني؟
- (أبتسم لمقولته) نعم، هذا بالضبط ما عنيته. هل تحتاجني أن آتي لبيتكَ وأعطيكَ حضنًا؟
- (يومئ بالإيجاب) نعم يا لِيلِي، تعالي إلى البيت.

الفصل الخامس والثلاثون

أطلس

يسألني براد:

- ألستَ غنيًّا؟ لماذا لا تُوظِّف شخصًا يقوم بهذا بدلًا منك؟
- لا أملك إلا المطعمَين، ما يعني أني لستُ قريبًا من وصف غنيّ، ثم لماذا أوظِّف شخصًا وأنتما متاحان لي؟

فيقول ثيو:

- نحن نهبط السلم على الأقل.
- انتبه لما يقوله ابنك يا براد.. كسوة فضية.

ليس أمامنا الكثير لكي ننقله، إذ لم تحتَج لِيلِي أن تنقل معظم أشيائها لبيتي لأنه مفروش بالكامل، لذلك تبرَّعَتْ بأغلب حاجياتها لملجأ للمتضررين مِن العنف المنزلي، فنحن نحتاج لأن نفرِّغ شقتها تمامًا قبل حلول المساء.

براد هو الشخص الوحيد الذي يملك شاحنةً فيمَن أعرفهم، لذلك ساعدني هو وثيو في تحميل الأشياء التي لا تستوعبها سيارتانا؛ سرير إيميرسون، تلفزيون غرفة المعيشة، وبعض اللوحات المعلَّقة على الجدران.

جوش أسعدهم حظًّا؛ ذهب لتمرين البيسبول فلم يضطر للمشاركة في التعزيل.

https://t.me/fantazynov

نالت مني الدهشة حين عاد إلى البيت قبل أشهر وقال إنه سجَّل اسمه في الاختبارات. ثم انضمَّ إلى الفريق ومنذ ذلك الحين وهو يعطيه جلَّ اهتمامه، وصرنا نتناوب أنا ولِيلِي على حضور المباريات فلم نفوِّت إحداها.

أرسلتُ لأمِّنا جدول المباريات، غير أنها لم تظهر حتى الآن في أية مباراة. حضرَت مرة وحيدة في أمسيات العشاء التي صرنا نُقيمها كل ثلاثاء. كنتُ أتمنى أن أجد منها رغبةً أكبر في المشاركة، لكن ليس ثمة ما يدهشني في موقفها، وأظن أن جوش يشاركني نفس الرأي. لكننا لا نضع تركيزنا في نواقص حياتنا، بل نركِّز على الجوانب الإيجابية، وهناك الكثير مما يستحق الامتنان، أهمه أني صرتُ وصيًّا على جوش، وأن لِيلِي وإيميرسون تنتقلان للسكن معنا. من المضحك أن ترى كيف تتحوَّل الحياة بهذه السرعة.

بل إنني أجد صعوبةً في أن يستقر أطلس العام الماضي على رأي بخصوص أطلس العام الحالي.

حينما أهبط درجات السلم إلى نهايتها أجد لِيلِي في طريقها للصعود. تبتسم لي وتعطيني قُبلة وهي تمُرُّ بجانبي، ثم تصعد السلم ركضًا فوق باقي الدرجات.

يهزُّ ثيو رأسه قائلًا:

- لا أصدِّق إلى الآن أنك استطعتَ أن تمضي معها لهذا الحد.

يرفع صندوقًا برُكبته ثم يدفع باب الخروج بظهره ويُمسكه مفتوحًا لنا أنا وبراد، لكنني أتوقف عند مدخل الجراج.

هناك سيارة تُشبه تمامًا سيارة رايل تصطف في مكان لوقوف السيارات على مسافة قصيرة من شاحنة براد.

يغمرني شعور بالرهبة، فلم أتقاطع معه في أي موقف منذ ذلك اليوم الذي حاول فيه أن يتعارك معي في المطعم، وقد مضت شهور على هذا الموقف. ليس لديَّ أدنى معرفة بمدى تقبُّله الآن لفكرة ارتباطنا أنا ولِيلِي، غير أن النظرات التي يُطلقها في اتجاهي تنبئ بأنه ليس مستعدًّا لتقبُّل الفكرة بعد.

يوجد شخص آخر معه؛ رجل آخر يفتح باب الركاب ويُغادر السيارة، ومما أخبرتني به لِيلِي قد يكون الرجلُ نسيبَ رايل. التقيتُ من قبل والدةَ لِيلِي، كما قابلتُ أليسا وابنتها رايلي، لكنني لم أُقابل مارشال بعد.

أمشي إلى شاحنة براد وأضع الصندوق الذي أحمله، جاعلًا عيني طوال الوقت على سيارة رايلي. يعود ثيو وبراد إلى الداخل دون أن ينتبها لوجود رايل. يحمل مارشال إيميرسون من المقعد الخلفي ويغلق باب السيارة. يبقى رايل داخل السيارة فيما يقترب مارشال مني حاملًا إيميرسون.

يمُدُّ يده إليَّ قائلًا:

- مرحبًا، ألستَ أطلس؟ أنا مارشال.

أصافحه وأقول:

- هذا صحيح، يُسعدني لقاؤك.

يومئ بامتنان، لكن حين تراني إيميرسون يُضطر مارشال إلى الإمساك بها في مكانها، إذ يجدها ترتمي بجسمها في اتجاهي فأقترب منها وأحملها منه، قائلًا:

- مرحبًا إيمي، هل قضيتِ وقتًا ممتعًا اليوم؟

يرمقنا مارشال للحظات ثم يقول:

https://t.me/fantazynov

- كن حذرًا معها، فقد تقيَّأتْ مرَّتين على ثياب رايل؟
- هل تُعاني من شيء؟
- هي بخير، لكنها أمضَت اليوم كاملًا معنا، وقد أكلَت الفتاتان الحلويات في الصباح، ومزيدًا منها بين الوجبات، ثم المزيد من الحلويات وقت الغداء، وأيضًا...

يُلوِّح مارشال بيده في حنق ويُكمل قائلًا:

- لِيلِي وأليسا معتادتان على هذا الأمر.

تَشُبُّ إيميرسون وتشُدُّ نظارة الشمس من فوق رأسي، تُحاول أن تضعها على وجهها لكنها تنثني منها فأُساعدها في تعديل وضعها حتى تضعها أخيرًا بالطريقة الصحيحة. تبتسم لي، وأبتسم لها في المقابل.

ينظر مارشال إلى السيارة التي يقعد فيها رايل، ثم يعاود النظر إليَّ قائلًا:

- يؤسفني أنه لا يريد مغادرة السيارة، لا يزال الأمر غريبًا بالنسبة إليه، أن تنتقل هي للسكن معك.

حين يقول «هي»، أفهم أنه لا يقصد لِيلِي فهو ينظر نحو إيميرسون.
أهزُّ رأسي في تفهُّم وأقول:

- لا بأس، لا أتصوَّر أبدًا أن يكون الأمر سهلًا بالنسبة إليه.

يعبث مارشال بشعر إيمي ثم يقول:

- سأُغادر الآن حتى تنتهوا مما تفعلون. من الجيد أن التقينا أخيرًا يا أطلس.
- نعم، أشعر بنفس الشيء.

أعني هذا حقًّا، إذ يبدو مارشال شخصًا جديرًا بالصداقة في ظروف أخرى.

يستدير عائدًا إلى سيارة رايل، لكنه يتوقَّف قبل أن يخطو بعيدًا ويستدير نحوي قائلًا:

- أودُّ أن أشكرك، فلِيلِي تعني الكثير بالنسبة لزوجتي، لذا.. نعم، شكرًا لأنك جعلتَ لِيلِي سعيدة، وهي تستحق ذلك.

وفور أن يقول ذلك يهُزُّ رأسه ويرفع يده قائلًا:

- سأذهب الآن قبل أن يبدو له الأمر غريبًا أكثر من اللازم!

يمشي في خط مستقيم نحو سيارة رايل، فأتمنى لو لم يمضِ سريعًا هكذا فقد كنتُ أودُّ أن أشكره بالمثل، فأنا أعرف كم ساند لِيلِي وكم تعني لها مساندته.

يغلق مارشال باب السيارة خلفه فينطلق رايل بها مباشرةً.

أرنو إلى إيمي التي تعض الآن على نظارة الشمس، أقول:

- أتريدين أن تُسلِّمي على مامي؟

أمشي بها صوب المبنى، لكنني أتوقَّف عن السير حين ألمح لِيلِي واقفةً أمام الباب.

حالما تراني واقفًا تستدير وتمسح عينيها سريعًا. لا أعرف لماذا تبكي الآن لكنني أُكمل السير ببطء حتى أمنحها الفرصة لتمحو دموعها قبل أن تُرحِّب بابنتها. وبعد ثوانٍ تستدير إليها بابتسامة واسعة لتأخذ مني إيمي. تسألها:

- هل قضيتِ وقتًا ممتعًا مع أبيكِ اليوم؟

تُمطرها بالقُبلات. وحين تنظر لي أحدجها بنظرة متسائلة عن سبب بكائها، فتُشير إلى موقف السيارات حيث كانت سيارة رايل تقف قبل قليل.

تقول:

https://t.me/fantazynov

- لم يكن هذا الموقف هيِنًا. أعلم أن مارشال أتى معه، مع ذلك فكونه وافق أن يتركها معك ويذهب...

تشرع في البكاء من جديد، تتنهَّد وتحوِّل عينيها لأعلى امتعاضًا بسبب انفعالها الذي يغلبها.

- من الجيد معرفة أن الرجال الذين يُشكِّلون جزءًا من حياتها يستطيعون أن يتظاهروا على الأقل بالتوافق معًا لأجلها.

إني في الحقيقة أُبادلها نفس الشعور بالارتياح لما حدث. من الجيد أنها كانت بالطابق الأعلى حين وصلا، وبرغم أن رايل مكث في السيارة وترك لمارشال مهمة تسليمها لي، تبقى خطوة في الاتجاه الصحيح. ربما احتجنا أنا ورايل تبادُلًا من هذا النوع مثلما احتاجتْه لِيلِي.

لقد أثبتنا أن التعاون ممكن، مهما كان واخزًا لكلينا.

أمسح خدَّ لِيلِي المبتل بالدموع وأُعطيها قُبلة سريعة قائلًا:

- أُحبكِ.

أضع يدي خلف ظهرها وأصطحبها إلى السلم وأنا أقول:

- بقِيَ مشوار واحد فقط قبل أن تلتصقي بي إلى الأبد.

فتضحك لِيلِي وتقول:

- لا أستطيع الانتظار حتى ألتصق بك إلى الأبد.

الفصل السادس والثلاثون

لِيلي

أنام ملتفَّةً حول نفسي في كنبة أطلس، مُرهقةً من التعزيل.

كنبتنا نحن *الاثنين*.

سأحتاج لبعض الوقت حتى أعتاد الوضع الجديد.

ثيو وجوش ساعداني في تفريغ الصناديق وترتيب حاجياتنا أنا وإيميرسون، فقد تأخَّر أطلس في العودة من العمل. أستيقظ مبكرًا فيما يعود هو متأخرًا، لكن يبقى ممتعًا أن نحصل على المزيد من بعضنا البعض، حتى لو كان بشكل عابر أثناء اليوم، كما أن لدينا أيام الآحاد التي نقضيها معًا.

أما الليلة فمساء الجمعة، وغدًا السبت، وهذه أكثر أيام أطلس ضغطًا، لذلك أقوم بتسلية جوش وثيو حتى ترجع أمي مع إيميرسون. نشاهد ثلاثتنا فيلم *البحث عن نيمو*، وها هو يكاد يصل إلى نهايته.

للأمانة لم أتوقَّع أن يشاهداه إلى نهايته، فهما في عمر يميل فيه المراهقون لمقاطعة أفلام ديزني، غير أني أتعلَّم الآن أن هذا الجيل الجديد المسمى Gen Z سلالة جديدة من البشرية، وكلما قضيتُ وقتًا أطول معهما أدركتُ أن هذا الجيل يختلف عن أي جيل سابق

عليهم، فهم أقل عُرضةً للتأثر بأقرانهم وأكثر دعمًا للآخرين وتفرُّدًا في شخصياتهم. أشعر بالغيرة منهم بدرجة ما.

ينهض جوش عند نهاية الفيلم ونزول التترات.

أسأله:

- هل أعجبك الفيلم؟

يهزُّ كتفيه قائلًا:

- إنه مُضحك جدًّا، مع الوضع في الاعتبار أنه يبدأ بمذبحة عنيفة لكل هذا الكافيار.

يحمل كيس الفشار إلى المطبخ، بينما يظل ثيو محدقًا في شاشة التلفزيون، هازًّا رأسه ببطء.

لا أزال عالقةً في ما قاله جوش واصفًا بداية الفيلم.

يقول ثيو:

- لا أفهم.

- لحظة الكافيار؟

ينقل نظره بيني وبين التلفزيون، ويقول:

- لا ليس هذا، لا أفهم لماذا قال لكِ أطلس إنه بلغ الشاطئ أخيرًا، فليست مقولة مقتبسة من الفيلم، مع أنه أخبرني بأنه قالها بسبب *البحث عن نيمو*، فانتظرتُ أن يقولها أحد حتى وصل الفيلم نهايته.

أعرف أن عليَّ أن أعتاد أشياء كثيرة الآن طالما انتقلتُ للسكن مع أطلس، غير أن حديثه مع هذا الصبي عن علاقتنا ليس بين الأشياء التي قد أعتادها مهما طال الوقت.

تتحوَّل الحيرة في عينَي ثيو كأنما بضغطة مفتاح للإنارة، فيقول:

- أوه.. *أوه*.. لأنهم كلما هبطَتْ بهم الحياة لأسفل يستمرُّون في السباحة، فأطلس كان يريد أن يقول إن الحياة لن تستمر في... *حسنًا*.

يستمرُّ عقله في الخوض في أفكاره بسرعة ميلٍ في الدقيقة. يهُزُّ رأسه وهو ينهض واقفًا ويُتمتِم قائلًا:

- لكنني لا أزال أراها جملةً ركيكة.

وفور وقوفه يُصدر الهاتف طنينًا في يده فيقول:

- عليَّ أن أذهب الآن، فقد وصل أبي.

يعود جوش إلى غرفة المعيشة ويسأل ثيو:

- ألن تبيت معنا؟

- هذه الليلة لن أستطيع؛ سيأخذني أبواي لمكان ما في الصباح.

- أريد أن أذهب لمكان ما.

يتردد ثيو قليلًا ويقول وهو يلبس حذاءه:

- صحيح، لا أعرف.

- إلى أين يأخذاك؟

يحدجني ثيو سريعًا قبل أن يعود بعينيه إلى جوش، قائلًا:

- إنها مسيرة.

يقولها بصوت خافت، بنبرة تحذيرية على نحو ما.

يحني جوش رأسه قائلًا:

https://t.me/fantazynov

- مسيرة؟ لماذا تبدو غريبًا في كلامك؟ مسيرة من أي نوع؟ مسيرة اعتزاز؟

يزدرد ثيو ريقه كأنما لم يخُض نقاشًا كهذا مع جوش من قبل، فأشعر بالتوتُّر نيابةً عنه. لكني عرفتُ جوش بما يكفي في الشهور الماضية حتى أعرف إلى أي مدى يُقدِّر صداقة ثيو.

يأخذ جوش حذاءه ويجلس بجانبي على الكنبة ويشرع في ارتدائه، يقول:

- ماذا تعني؟ ألن يُسمَح لي بالذهاب إلى المسيرة معكم لأني أحب الفتيات؟

يُبدِّل ثيو قَدَمًا بقَدَم ويقول:

- بل بإمكانك الذهاب. أنا... لم أعرف إن كُنت تعلم بالأمر أم لا.

يُدوِّر جوش عينيه ويقول:

- يمكنك يا ثيو أن تعرف الكثير عن شخص ما من معرفة تفضيلاته في كُتُب المانجا، لستُ غبيًّا.

أقول:

- *جوش.*

يتناول معطفه من خزانة الملابس ويقول:

- عفوًا، هل يمكنني المَبيت عند ثيو الليلة؟

يُذكِّرني موقف جوش في هذه اللحظة الفارقة بينهما بمواقف أطلس.

جوش المتفهِّم.

غير أن سؤاله الخاص بذهابه مع ثيو يُحيِّرني بدرجةٍ ما. تتسع عيناي قليلًا، لم أقضِ في هذا البيت سوى أربعة أيام ولم يطلب مني جوش إذنًا لعمل أي شيء من قبل ولا وضعنا أنا وأطلس قواعد البيت التي سنتَّبعها، أجد نفسي أقول:

- نعم، بالتأكيد. لكن عليكَ أن تُخبر أخاك بمكانك.

لا أظن أن أطلس سيُمانع في مَبيته مع ثيو، وطالما صِرنا نعيش معًا الآن فلا بد أن نواجه أشياء من هذا النوع مع جوش وإيميرسون، مَن يتعامَل مع كلٍّ منهما، ومتى، وكيف. أجد في نَفْسِي حماسًا لكل ذلك، فأنا أُرغب في اكتشاف الحياة مع أطلس.

لم ترجع أمي مع إيميرسون حتى الآن، لذا حين يُغادر ثيو وجوش أجد البيت هادئًا وفارغًا لأول مرة منذ انتقلنا هنا. هذه أول مرة أكون فيها وحدي تمامًا في هذا البيت، وها أنا أقضي هذا الوقت المنفرد في التنقُّل بين الغرف وتفقُّد الخزانات والتآلُف مع بيتي الجديد.

بيتي الجديد. كم هو ممتع أن أقولها!

أخرج إلى الباحة الخلفية وأختار كرسيًّا في أحد الأطراف وأجلس لكي أتأمَّل المكان، إنها أنسب باحة خلفية لعمل حديقة رائعة، ليس لها مثيل في قلب المدينة، كأن أطلس بحث عن بيتٍ جديد حتى تكون له حديقة رائعة تحسُّبًا لظهوري مجددًا في حياته. أعرف أنه اختار هذا البيت لسبب مُغاير تمامًا، لكن يبقى ممتعًا أن أتخيَّل هذا.

أُفاجأ برنين الهاتف، وأجد أطلس يُعاود الاتصال بي عبر الفيديو.

- مرحبًا.

- ماذا تفعلين؟

- أختار أفضل مكانٍ لحديقتي. طلب جوش أن يبيت مع ثيو وسمحتُ له. أرجو أن يُوافقك ذلك.

- يُوافقني بالطبع. هل ساعداكِ في أي شيء؟

- نعم، لقد انتهينا من أغلب الأشياء.

يبدو أطلس مرتاحًا لهذه الإجابة، يمسح بيده جانب وجهه كأنما ليتخلَّص من التوتر. يبدو أن يومه كان مشحونًا فوق المعتاد، غير أنه يخفيه تحت ابتسامة لطيفة ويقول:

- أين إيميرسون؟

- أمي في طريقها إليَّ عائدةً بها.

يتنهَّد كأنما يُحزنه ألا يستطيع رؤيتها الآن ويقول:

- يبدو أني بدأتُ أفتقدها.

يقولها بسرعة ورِقَّة، كأنما يخشى من الاعتراف بأنه بدأ يُحب ابنتي. لكنني ألتقط كلماته وأحتفظ بها مع باقي الكلمات الرقيقة التي قالها من قبل. يقول أخيرًا:

- سأعود إلى البيت خلال ثلاث ساعات. هل سأجدكِ مستيقظة؟

- لو وجدتَني نائمة، ستعرف ما عليك القيام به.

يهزُّ أطلس رأسه بخفَّة ويتبسَّم بجانب فمه قائلًا:

- أُحبك، سأراكِ قريبًا.

- وأنا أُحبك، مثلك تمامًا.

حالما نُنهي المحادثة أسمع صوت إيميرسون الجميل، فأستدير على الفور. تقف أمي في مدخل الباحة حاملةً إيميرسون، التي تبتسم لي كأنما التقطَت جزءًا من المحادثة.

أنهض كي آخذ منها إيميرسون، فترتمي عليَّ وتلتصق بي. يبدو أن الليلة ستمضي سهلةً، فحينما تُعانقني بهذه الطريقة تكون جاهزة للنوم دون إبطاء. أشير لأمي حتى تجلس إلى جواري.

أجدها تقول:

- مكان لطيف.

هذه أول مرة تجيء إلى هنا، أُفكِّر أن أُطوِّف بها في أنحاء البيت، غير أن إيميرسون تفرُك وجهها في صدري من الآن في محاولة أخيرة لمقاومة التعب، وأريد أن أُمهِلها الفرصة للسقوط في النوم قبل أن أقوم مع أمي.

تقول أمي:

- كم هو رائع هذا المكان لعمل حديقة. هل تعتقدين أن أطلس اختار هذا البيت خصيصًا لهذا السبب، أملًا في أن تعودي إلى حياته؟

أهزُّ كتفي وأقول:

- كنتُ أسأل نفسي هذا السؤال، لكنني لا أُريد أن أفترض شيئًا بلا دليل.

أصمت قليلًا، ثم أستدير وأنظر إلى أمي حين أستوعب السؤال جيدًا.. أن أعود إلى حياته؟ لم أخبرها أن أطلس كان صديقي قديمًا في ماين، وافترضتُ أنها لا تتذكَّره.

اعتقدتُ أنها لا تربط قط بين هذا الأطلس الذي دخل حياتي مؤخرًا وأي شخص من الماضي.

تلاحظ الدهشة التي ترتسم على وجهي فتقول:

- إنه اسم نادر يا لِيلِي، حتمًا أتذكَّره.

أبتسم لها، وأظلُّ حيرانةً من كونها لم تأتِ على ذِكْرِ ذلك من قبل، فأنا أواعِد أطلس منذ ستة أشهر، وقد التقَت أمي به عدة مرات.

ربما لا يكون في الأمر ما يُدهش، فلطالما وجدَتْ أمي صعوبة في الإفصاح عما يُخالجها. لا يُمكنني لومها فقد قضت سنوات طويلة مع رجلٍ حبس صوتها، فلا بد أن تُعاني صعوبة في تعلُّم استعماله من جديد.

أسألها:

- لماذا لم تقولي شيئًا من هذا؟

تهزُّ كتفيها وتقول:

- قدَّرتُ أنكِ ستقولين من نفسكِ حين تريدين إخباري.

- أردتُ إخباركِ بالطبع، لكني خشيتُ أن تشعري بالغرابة في حضوره بعد ما فعله فيه أبي.

تنظر بعيدًا عني، وتمسح بعينيها جنَبات الباحة الخلفية. تصمت لبرهة ثم تقول:

- لم أقُل لكِ ذلك من قبل، لكنني تحدَّثتُ مرة مع أطلس. عدتُ من العمل مبكرًا فوجدتُكما نائمَين على الكنبة. لكِ أن تتخيَّلي الصدمة!

تضحك وتُكمل قائلةً:

- كنتُ أراكِ فتاةً في غاية اللطف والبراءة، ثم ها أنا أراكِ فوق كنبة غرفة المعيشة مع فتى غريب. كنتُ على وشك أن أصرخ فيكِ حينما استيقظ وبدا خائفًا جدًّا، ليس مني أنا، هذا ما

أدركه الآن حين أفكِّر في الأمر. بل بدا خائفًا من احتمالية أن يفقدكِ بسبب الموقف. على أي حال، غادر سريعًا وفي صمتٍ تام، فتبِعتُه إلى الخارج لكي أُهدِّدَه وأقول له ألا يعود هنا أبدًا، ثم فوجئتُ به.. يفعل أغرب شيء يمكن أن تتصوَّريه يا لِيلِي.

أقول وقلبي ينحشر في حَلْقِي:

- ماذا فعل؟!

- لقد عانقني.

هكذا تقول بنبرةٍ تُخالطها ضحكة خافتة.

يسقط فكي وأنا أقول:

- *عانقكِ*؟ أمسكتِه مُتلبِّسًا مع ابنتكِ فيقوم بمعانقتكِ؟

تهزُّ رأسها وتقول:

- هكذا فعل، وكان عناقًا فيه تعاطف شديد، كأنه يشعر بأسفٍ حقيقي عليَّ، شعرتُ به في حُضنه لي، كأنما يُشجِّعني ويريد أن يُطمئنني، ثم.. ثم مضى بعيدًا. لم تكن ثمة فرصة لأن أصرخ فيه لوجوده في بيتي دون رقابةٍ مع ابنتي. ربما كانت هذه خطته للخروج من الموقف، ربما قَصَدَ التلاعُبَ بي، لا أعلم حقيقةً.

أهزُّ رأسي نافيةً هذا التفسير وأنا أقول:

- لم يكن تَلاعُبًا.

أطلس المتفهِّم.

تقول أمي:

- كنتُ أعرف أنكِ تلتقينه، وكنتِ تُخفينه عن أبيكِ فقط لا عني أنا، لذلك لم يكن غضبي بدافع شخصي. لم أتدخَّل قط فقد كنتُ سعيدةً أن تجدي شخصًا يكون بجانبكِ يا لِيلِي.

تُشير إلى البيت في الخلفية وتُكمل قائلةً:

- وانظري لنفسكِ الآن وقد حصلتِ عليه إلى الأبد.

تجعلني هذه القصة أضمُّ إيميرسون وأشدُّ ذراعيَّ حولها أكثر من ذي قبل.

تقول أمي:

- يُسعدني أن أجد رجلًا يُعطيكِ أحضانًا ذات معنى مثل ذاك الحضن الذي تلقَّيتُه منه.

أقول بنبرةٍ حيادية:

- إنه يُعطيني ما هو أخطر كثيرًا من الأحضان الرائعة.

فتسخر أمي قائلةً:

- لِيلِي!

وتقف هازَّةً رأسها في استهجان وتقول:

- سأروِّح للبيت الآن.

أضحك من نفسي حين تُغادر أمي، ثم أستخدم يدي الحرة في كتابة رسالة لأطلس..

أحبك بجنون، أيها الأحمق.

الفصل السابع والثلاثون

أطلس

يسألني:

- هل أنت جاد في القيام بذلك؟

أقف أمام المرآة أعدِّل من وضع رابطة عنقي. يجلس ثيو على الكنبة مُحاولًا إقناعي بأن أتركه يقرأ قسمي الخاص بحفل الزفاف، لكني أقول له:

https://t.me/fantazynov

- لن أقرأه عليك.
- ستُحرِج نفسك.
- لن يحدُث، القسم جيد لا تشوبه شائبة.
- أطلس، اسمعني، أنا أُحاول مساعدتك، فمِن معرفتي بك قد تُنهي القسم بشيء من قبيل: إنها حقًّا أُمنِيتي، أن تكوني أنتِ سمكتي.

أضحك من كلامه، فها أنا منذ سنتين كاملتين لا أزال أتساءل من أين يأتي بهذه العبارات، أقول له:

- هل تُمرِّن نفسك على هذا الأمر حين تستلقي وحدك أثناء الليل؟

https://t.me/fantazynov

- لا، بل تحضرني بشكل طبيعي.

يطرق شخص ما على الباب ويواربه قائلًا:

- خمس دقائق.

ألمح نفسي لمرة أخيرة في المرآة قبل أن أستدير نحو ثيو وأسأله:

- أين جوش؟ أريد أن أتأكَّد من أنه مستعد.

- ليس مُصرَّحًا لي أن أخبرك.

أحني رأسي قائلًا:

- أين هو يا ثيو؟

- آخر مرة رأيته فيها كان في كشك الحديقة ولسانه مُدلًّ في حَلْقِ فتاة.. سيجعل منكَ جَدًّا عما قريب.

- أنا أخوه، سأُصبح عمًّا لا جَدًّا.

أنظر عبر النافذة وأرى كشك الحديقة فارغًا فأقول:

- اذهب واعثُر عليه، من فضلك.

يُشبهني جوش كثيرًا، غير أنه واثق من نفسه مع الفتيات أكثر من حالي حين كنتُ في عُمره. لقد بلغ لتوِّه الخامسة عشرة، وهو العُمر الأقل تفضيلًا بالنسبة لي. أثق أنه حين يبلغ سنَّ القيادة في العام القادم فسيجعلني أكبر عشرة أعوام في خطوة واحدة.

أريد أن أفكر في شيء آخر غيره، فأنا أشعر بالتوتر من الآن. ربما يكون ثيو على حق وعليَّ أن أتذاكر القَسَمَ ثانيةً حتى أتأكَّد من أنني لا أريد تعديل شيء أو إضافة شيء.

أتناول الورقة من داخل جيبي وأفردها أمامي، ثم أمسك بالقلم تحسُّبًا لإجراء أية تغييرات في اللحظة الأخيرة.

عزيزتي لِيلِي،

اعتدتُ أن أكتب لكِ الرسائل التي لن يقرأها أحد سواكِ، ما جعلني أجد صعوبةً وأنا أحاول لأول مرة أن أكتب هذا القسم. فكرة أن يُقرأ عليكِ جَهارًا أمام جمع من الناس بدت مخيفةً على نحوٍ ما.

غير أن القسم لا يُقصد به أن يُقال على انفراد، بل إن هدفه أن يكون وعدًا يُعبّر عن نوايا الشخص في العَلَن، سواءً شَهِدَ عليه الله، أو شهِدَه الأصدقاء والأقارب.

شيء من شأنه أن يجعلكِ تتساءلين، أو بإمكاني أن أقول على الأقل إنه جعلني أتساءل عن الغاية وراء أن يكون القسم عامًّا على ملأ من الناس. لم أقدر أن أمنع عقلي عن مساءلة التاريخ عما يمكن أن يكون قد حدث في الماضي فخلق ضرورةَ أن يكون الحب مشهودًا من الناس.

هل يعني هذا أن ثمة نقطة على الطريق حُنِثَ فيها بوَعْد؟ غُدِر فيها بقَلْب؟

إنه لشيء مُحبِط أن يجلس المرء ويُفكِّر في سبب وجود القَسَم من الأساس. لو وثقنا في الجميع أن يحفظوا عهودهم، فلن تكون ثمة ضرورة لأي قَسَم. سيقع الناس في الغرام ويستمرون هكذا مخلِصين إلى الأبد؛ انتهى الأمر.

لكن هذه هي المسألة، في ظني. نحن بشر، والبشر من شأنهم أن يكونوا مُحبِطين في بعض الأحيان.

https://t.me/fantazynov

هذا الإدراك أخذني لمسار آخر في عملية التفكير فيما أكتب هذا القَسَم، فشرعتُ أتساءل، لو كان البشر غالبًا مُحبِطين ونادرًا ناجحين في الحب، فماذا باستطاعتنا أن نفعل حتى نضمن أن تعبُر عاطفتنا من اختبار الزمن؟ لو كان نصف الزيجات ينتهي بالطلاق، فهذا يعني أن نصف الأقسام التي قطعها البشر علي أنفسهم قد انتهَت إلى الحنث بها، فكيف نضمن ألا نجد أنفسنا بين الأزواج الذين يندرجون في تلك الإحصاءات؟

للأسف، يا عزيزتي لِيلِي، لا نستطيع. كل ما نستطيعه أن نتمنى فقط، لكن لا يمكننا أن نضمن أنَّ الكلمات التي نقف هنا ونَعِدُ بها بعضنا البعض في هذا اليوم، لا تنتهي في ملف أحد المحامين المختصين بقضايا الطلاق بعد مرور عدة سنوات.

إني أعتذر منكِ، فأنا أري الآن أن هذا القَسَم يجعل الزواج يبدو كدورة شديدة الإحباط تنتهي في نصف الوقت فقط بالنهاية السعيدة.

لكن بالنسبة لشخصٍ مثلي، فإني أعتبره شيئًا مثيرًا للحماس.

نصف الوقت؟

نسبة خمسين بالمائة؟

واحد من كل اثنين؟

لو قال لي أحدهم حين كنتُ مُراهقًا إن فرصة أن أعيش معكِ عمرًا بأسره هي خمسون بالمائة، لشعرتُ بأنني أكثر البشر حظًّا فوق هذا الكوكب.

لو قال لي أحدهم إن أمامي فرصة تُقدَّر بنسبة خمسين في المائة أن تقعي في غرامي، لكنتُ تساءلتُ عما فعلتُه حتى أكون جديرًا بكل هذا الحظ.

لو قال لي أحدهم إننا سنتزوج ذات يوم، وسيكون من حظي أن أمنحكِ شهر العسل الذي تحلمين به في أوروبا، وأن زواجنا سيُكتب له النجاح بنسبة خمسين بالمائة، لكنتُ سألتُ على الفور عن مقاس إصبعكِ حتى نبدأ في الإعداد للزواج.

قد تكون فكرة أنَّ انتهاء الحب أمرٌ سلبي بالضرورة ليست إلا وجهة نظر فحسب، فبالنسبة لي لا تعني فكرة انتهاء الحب إلا أن ثمة حبًّا كان موجودًا عند نقطة ما، ولقد عِشتُ فترة من حياتي قبلكِ دون أن أشعر بوجوده على الإطلاق.

لم تكن نسختي خلال سن المراهقة لترى احتمالية انكسار القلب كشيء سيئ لا تُريده أن يحدث لها، كنتُ أحسد أي شخص أحب شيئًا ذات يوم لدرجة تجعله يتألم لخسارته، فقبلكِ لم أقابل الحب قط.

ثم ظهرتِ بعد ذلك، فغيَّرتِ كل شيء. لم أجد الفرصة فقط لأن أكون أول شخص يقع في غرامكِ، بل عِشتُ كسرة القلب معكِ أيضًا، ثم كأنما بمعجزة، حصلتُ على فرصة ثانية للوقوع في غرامكِ من جديد.

مرتان في العُمْر الواحد.

كيف يتأتَّى لرجلٍ أن يكون محظوظًا لهذه الدرجة؟

https://t.me/fantazynov

ومع الوضع في الاعتبار جميع الأشياء، فإن حقيقة أني هنا الآن، أن كلينا هنا الآن في يوم الزفاف، هي بكل صراحة أعظم من أي شيء حلُمتُ به في حياتي. نَفَس واحد، قُبلة واحدة، يوم واحد، عام واحد، حياة واحدة. سآخذ ما تهبينه لي، وأقسِم أن أرعى من الآن فصاعدًا كلَّ لحظةٍ يُقدِّر لي الحظ السعيد أن أعيشها معكِ، مثلما رعيتُ كلَّ لحظةٍ عشناها معًا قبل اليوم.

ومن باب التفاؤل أقول إننا سنعيش معًا ما تبقى من حياتنا في سعادة، حتى نصير عجوزَين هزيلَين يلزمنا يوم كامل حتى أصل إلى شفتيكِ وأطبع عليهما قُبلةً تقول تُصبحين على خير. لو حدث ذلك، فأُقسِم لكِ أن أكون شديد الامتنان لهذا الحب الذي حَمَلنا معًا عبر سنوات حياتنا.

أما من باب التشاؤم، فأقول إننا قد نكسر قلبَينا غدًا من جديد؛ أعرف أننا لن نفعل ذلك، لكن حتى لو فعلنا فأُقسِم أني سأكون شديد الامتنان لهذا الحب الذي وصل بنا لانكسار القلب حتى آخر يوم في حياتي. لو كان قد كُتِب لي أن أنتهي كرقَم في الإحصاءات، فلن أختار شخصًا سواكِ كي أُسجَّل معه في تلك الإحصاءات.

غير أنكِ أخبرتِني ذات يوم أني شخص واقعي، لذا أريد أن أُنهي هذا القَسَم بواقعية تامة. في صميم قلبي أؤمن بأننا سنُغادر هذا المكان الليلة حتى نخوض معًا رحلة مليئة بالهضاب والوديان والجبال والأخاديد، ستحتاجين أحيانًا أن أُمسِك بيدكِ بينما نهبط هضبةً من الهضاب، وفي أحيان أخرى سأحتاجكِ لكي تقوديني أعلى جبلٍ من

الجبال، لكن في جميع الأحوال، ومن الآن فصاعدًا، سنواجه كل شيء معًا، فقد صِرنا أنا وأنتِ طرفًا واحدًا يا لِيلِي، في الأفراح والأتراح، في السَّعَة والضِّيق، في الصحة والمرض، في ما مضى وإلى الأبد، ستكونين الشخص المفضَّل لديَّ، دائمًا ما كنتِ، دائمًا ما ستكونين. أُحبكِ، وأُحب كل ما هو أنتِ.

أطلس

أُطلِق زفيري حتى آخره، الورقة ترتعش في يدي، الكلمات كما أريدها بلا زيادة أو نُقصان، لذلك أطوي الورقة في الوقت نفسه الذي يدخل فيه جوش الغرفة بصُحبة دارين وبراد وثيو ومارشال.

يُمسك مارشال الباب مفتوحًا ويقول:

- هل أنت مستعد؟ لقد حان الوقت.

فأومئ برأسي، شاعرًا بأنني أكثر جاهزية من أي وقت، لكن قبل أن أُعيد القَسَم إلى جيبي أُقرِّر أن أُجري تعديلًا طفيفًا عليه. لا أمَسُّ ما هو مكتوبٌ بالفعل، لكن أُضيف فقط سطرًا وحيدًا في الختام.

وأخيرًا: إنها أُمنِيتي، أن تكوني سمكتي.

https://t.me/fantazynov

كيان للنشر والتوزيع

أفضل دار نشر مصرية ٢٠٢١

للتواصل معنا :

kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زوروا موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: 0235918808

هاتف محمول: 01001872290/ 01000405450

وللاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتّابنا الثقافية، يمكنكم متابعتنا على حسابات التواصل الاجتماعي التالية:

KayanPublishing

https://t.me/fantazynov